رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الرابع

العالمية والدولة الإنسانية

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بالرياض)



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم

رسول الله وخاتم النبيين/ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري ـ الرياض، ١٤٣٢ هـ

٢٦٤ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

٥ مج

ردمك: ٩ ـ ٧٥٦٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)

٣ ـ ٧٥٧٠ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (ج٤)

١ ـ السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٢/٥١٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١

ردمك: ٩ ـ ٧٥٦٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م

• اسم الكتاب: رسول اللّه وخاتم النبيين دين ودولة ـ العالمية والدولة الإنسانية
• تـــــأليـــــف: أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري
• الطبعة الأولى: ذو الحجة ١٤٣٢ هـ ـ نوفمبر 2011م

ص. ب: 10437 ـ الريـاض 11635
E-mail: azizomary@hotmail.com

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
ص. ب: 5261 ـ 13 بـيروت ـ لبنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com

رسول الله وخاتم النبيين
ديـن ودولـة

القسم الرابع

العالمية والدولة الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾

[سورة المائدة: ٣]

وفود القبائل[1]

الوفود جمع وفد، وهي الجماعة المختارة من القوم، ليتقدموهم في لقاء العظماء والزعماء والمسير إليهم وتمثيلهم في المهمات.[2]

دعوة الرسول ﷺ عالمية للناس كافةً ولذلك فقد حرص ﷺ منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل أفراداً وجماعات،[3] وعرض الدعوة عليهم.

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، عشرة أبواب في الوفود، سماها بأسماء القبائل، وتضمنت ما يزيد على ثلاثين حديثاً، ج٥/ ١١٥، حتى ج٥/ ١٢٣، وأُلِّف العديد من الكتب حول الوفود.

(٢) انظر: النووي شرح صحيح مسلم، ج ١/ ١٨١.

(٣) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب.

وانظر: الثعالبي؛ عبدالعزيز، معجز محمد رسول الله، (الفصل الأول الرسالة المحمدية إلى الأمم كافة)، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ج١/ ٢١.

وقد زاد هذا الأمر بعد تضييق قريش على الرسول ﷺ، فكان يدور على القبائل في المواسم يعرض عليهم الإسلام، ويطلب نصرته. وكان معه في معظم جولاته على القبائل صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو رضي الله عنه عالم بالقبائل والأنساب.[١]

وقد تفاوتت ردود القبائل عليه، وكانت النتيجة شيوع خبر الرسول ﷺ والرسالة في مختلف القبائل. قابل الرسول ﷺ قبل الهجرة أفواجاً كُثُراً من مختلف القبائل ولم يبق حي من العرب إلا سمعوا بالرسول ﷺ ودعوته.[٢]

وبعد الهجرة انتشرت أخبار الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وخصوصاً بعد معركة بدر، وتزايدت الأخبار بعد مختلف الحوادث ومراحل الصراع المتعددة مع قريش في مكة ويهود في المدينة.

وصلح الحديبية تضمن: (أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)،[٣] ومن ثَمَّ كان على القبائل القريبة من الأحداث اختيار أحد طرفي الصراع حليفاً لها، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخل بنو بكر في عقد قريش، وكان اعتداء

---

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص٢/ ٣٨٧.

(٢) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب.

(٣) انظر: صلح الحديبية من هذا الكتاب.

بني بكر على خزاعة بمساعدة قريش علامة لنقض قريش عهدَها مع الرسول ﷺ ما أدى لفتح مكة، والقضاء على سلطة المشركين فيها.

وبعد الفتح أصبح الأمر واضحاً أمام جميع قبائل العرب في أن السيادة الوحيدة في جزيرة العرب للإسلام ونبيه ﷺ.

فبدأت وفود القبائل تتكاثر في السنة التاسعة حتى سمي بعام الوفود،[١] مع أن بعضاً منها وصل قبل ذلك العام، كما أن بعضها قدم مبكراً في السنة الخامسة للهجرة، ثم قدم مرة أخرى سنة تسع للهجرة.[٢] وكانت كل قبيلة تستعرض مكانتها وشرفها، حيث يخطب خطباؤهم وتلقى القصائد من شعرائهم، وكان الرسول ﷺ يأمر أناساً من أصحابه بالرد عليهم الخطبة بالخطبة، والقصيدة بالقصيدة، فكانت أهداف الرسول ﷺ إعلاء كلمة الله والدعوة إليه وإلى دينه ونشر القيم والعدل، دون عصبية ولا فخر، ولذلك كانت نتائجها مذهلة وباهرة سامية المضمون أمام الآخرين، عالية الهمة والمستوى، ما جعل وفود القبائل يقرون له ﷺ بذلك. وكان ﷺ يكرم الوفود ويجيزهم ويعلمهم ويأمر الصحابة بتعليمهم، كما كان ﷺ يعين

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٥٥٩.

(٢) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/ ٥٤٢.

عليهم عند مغادرتهم من يتدبر أحوالهم،[1] ويرتب زكواتهم ويواسي فقراءهم من أغنيائهم ويكون أميراً عليهم ومعلماً لهم.

كما كان ﷺ يجيب على مختلف أسئلتهم التي كثير منها يرتبط بواقع يعيشونه، أو طعام أو شراب يتناولونه في مناطقهم، أو قضايا محددة تقلقهم، وتخصهم دون غيرهم أحياناً.

وقد وقعت أثناء لقاءاتهم بالرسول ﷺ بعض الأحداث التي تنزلت فيها آيات من الكتاب، كما حصل مع وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات.[2]

وقد ربط ابن هشام بين الوفود ونزول سورة النصر فقال: (أفواجاً يضربون إليه من كل وجه) يقول تعالى لنبيه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر].[3]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، ج٦/ ٤٦.
وانظر: وفد بني تميم من هذا الكتاب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، ج٦/ ٤٦
وانظر: تفسير ابن كثير، ج٢/ ١٧٤٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٠.

وافد دوس (الطفيل بن عمرو)[1]

دوس قبيلة يمنية تلتقي مع الأزد في النسب، تعود إلى زهران بن كعب وغلب عليها حالياً اسم زهران،[2] موطنها جنوب الطائف فيما يعرف حالياً[3] بمنطقة الباحة، وكان لهم فيها حصن مشهور، ولها مكانة بين قبائل العرب في حينها.[4]

كانت قريش قبل هجرة رسول الله ﷺ حريصة على منع القادمين إلى مكة من الاستماع لرسول الله ﷺ. يروي الطفيل أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها: (فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق بين جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنّه ولا تسمعنّ منه شيئاً. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، ج٥/ ١٢٣.
انظر: ترجمته بتوسع عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٣٤٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ١٧٥.

(٢) انظر: السمعاني، الأنساب، ج٥/ ٣٦١.
ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٩.

(٣) انظر: (بتاريخ ١/ ٥/ ١٤٣٢هـ www.ar.wikiPedia.org).

(٤) انظر: السمعاني، الأنساب، ج٥/ ٣٦١.

أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرسُفاً[1] فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه. قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال فسمعت كلاماً حسناً قال: فقلت في نفسي: واثكْلَ أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسُف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك. .

قال فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: ((اللهم اجعل له آية)).

---

(١) الكُرسف هو: القطن.

قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَةٌ ـ أي عقوبة ـ وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثمية، قال حتى جئتهم فأصبحت فيهم قال فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عني يا أبَتِ، فلست منك ولست مني قال: ولِمَ يا بني؟ قال قلت: أسلمتُ وتابعت دين محمد ﷺ قال: أي بني فديني دينك؟ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت لِمَ؟ بأبي أنت وأمي، قال: قلت: قد فرق بيني وبينكِ الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشرى ـ قال ابن هشام: ويقال ـ حمى ذي الشرى ـ فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمىً حموه له، وفيه وشل من ماء يهبط من جبل. قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً، قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادْعُ الله عليهم فقال: ((اللهم اهدِ دوساً)) ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم. قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر. حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين). (١)

كان إسلام الطفيل كما هو واضح في مكة، حيث عاد بعدها داعية في قومه، وأسلم على يديه قلة واستعصت عليه القبيلة، فجاء مرة أخرى إلى الرسول ﷺ في المدينة وشرح له الوضع، وطلب منه أن يدعو على القوم، إلا أنه دعا لهم كما جاء في رواية البخاري، حيث قال الطفيل: (إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال: اللهم اهدِ دوساً وأتني بهم). (٢) وقد استجيبت دعوة رسول الله ﷺ فأسلمت دوس وجاء وفدها مع الطفيل بن عمرو ومعه سبعون أو ثمانون رجلاً من القوم، وقد كان الطفيل مع رسول الله ﷺ حين فتح مكة وبعثه رسول

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ٣٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، (باب: قصة الطفيل بن عمرو الدوسي) ج٥/ ١٢٣.

الله ﷺ لتحطيم بعض الأصنام في نواحي دوس،[1] ثم كان مع رسول الله ﷺ حتى توفي ﷺ فشارك في القضاء على المرتدين في معارك متعددة، حتى استشهد رضي الله عنه في موقعة اليمامة في السنة الحادية عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[2]

وفد عبد القيس[3]

عبد القيس قبيلة من ربيعة بن نزار،[4] مواطنهم في نواحي البحرين منهم حاضرة وبادية، كانت صلتهم بالإسلام قديمة، حيث قدم وفد منهم قبل السنة الخامسة للهجرة، وفيهم الأشج ابن عبد القيس أحد حكمائهم، وقد أثنى الرسول ﷺ عليه بقوله: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)).[5]

وقد كان قدوم الوفد الأول في وقت مبكر من الصراع بين

---

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات ج٢/ ١٥٧، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ٣٨٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٢٥٨؛ وانظر: ترجمته في الإصابة لابن حجر، ج٢/ ٢٢٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/ ١١٦.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٠٧، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٥.

(٥) هو: عبدالله بن عوف، وقيل المنذر بن عوف؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٣٥٦.

قريش والرسول ﷺ، فقد ورد عند البخاري في صحيحه باب سماه (باب وفد عبد القيس)،[١] أورد فيه حديثاً عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فقال: ((مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى))، فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم، حدثنا بجُمُلٍ من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به مَنْ وراءنا قال: ((آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع؛ الإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخُمُس، وأنهاكم عن أربع؛ ما انتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت)).[٢] وكان هذا الوفد قد جاء بإسلام قوم من بني عبد القيس.[٣]

كان فيهم الجارود بن عمرو، الذي رغب في الإسلام وكان على النصرانية، فقال: إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه)) فأَسْلَمَ وأسلم أصحابه.[٤] وقد حسن إسلام هذا الوفد من عبد القيس ونقلوا الإسلام إلى

---

(١) صحيح البخاري، ج٥/ ١١٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج١/ ١١٦؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٥. (وهذه أنواع من الأواني ينتبذ فيها الخمر).

(٣) انظر: صحيح البخاري، ج٥/ ١١٦؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٥٧٥.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٢١٦، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٥.

(جواثا) في البحرين وما حولها، ولذلك ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما): (أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثى يعني قرية في البحرين).[1]

وقبل مغادرتهم إلى البحرين طلبوا من الرسول ﷺ الحِمْلان، فاعتذر إليهم ((ما عندي ما أحملكم عليه))،[2] فقالوا: يا رسول الله: فإن بيننا وبين بلادنا ضوالّ من ضوال الناس، أفنتبلغ بها إلى بلادنا؟ فنهاهم الرسول ﷺ عنها. وقال: ((إنما هي حرق النار))، وهكذا علمهم الرسول ﷺ حرمة أموال الناس، فرغم حاجتهم وكون هذه الضوال في الصحراء لا أحد يعلم مالكها، ومع ذلك نهاهم عنها.[3] وذكر أن الرسول ﷺ أثنى عليهم قبل وصولهم فقال: ((سيطلع عليكم من هاهنا وفد هم خير أهل المشرق))،[4] فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً فبشرهم.

وهكذا رجع القوم بأحسن دين وأحسن أخلاق وأمانة. وحين حدثت الردة في المنطقة وفي قومهم بعد وفاة الرسول ﷺ

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/ ١١٦. (ولا يزال مسجد جواثا بآثاره القديمة معروف إلى اليوم في الأحساء في ناحية من القطيف المدينة المشهورة حالياً وقد وقفت عليه بنفسي).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٥.

(٣) رواه مسلم، وانظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦١.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية ج١/ ٩٠.

بتأثير المناذرة الذين سعوا إلى ردتهم وعودتهم إلى النصرانية، قام فيهم الجارود فخطب فيهم ودعاهم إلى الإسلام، وأعلن ثباته عليه وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه يُكفر من لم يشهد بذلك.[1]

وفد ثقيف.

ثقيف تعود إلى هوازن من مضر.[2] كانت تسكن الطائف، أقرب المدن إلى مكة، وأكثرها علاقة بها، والطائف طيبة الهواء غزيرة الإنتاج الزراعي، ذات أودية زراعية منتجة ومشهورة، كان تجار مكة يتخذون فيها المزارع والمتنزهات، يفرون إليها من حر مكة في فصل الصيف.[3]

وكانت هوازن تجاور ثقيفاً في الطائف وما حولها إلا أن السيطرة على داخل الطائف كانت لثقيف، فكانت ثقيف حاضرة الطائف، وهوازن باديتها، ثقيف على الشِّرك يعبدون اللات الصنم العربي المشهور،[4] الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٧٥.
(٢) السمعاني، الأنساب، ج٣/ ١٣٤، وأنظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٢٦٦.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ١١ والبلادي، معجم معالم الحجاز ج٥/ ٢٢٤.
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ٨٨٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ١١؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ٨٨٦.

﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]. وقد شاركت ثقيف ضد الرسول ﷺ في غزوة حنين مع هوازن وغيرها من القبائل،[1] وانتهت المعركة بانتصار المسلمين عليهم بعد اضطراب في المعركة، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة].

ثم سار ﷺ إلى الطائف في شوال سنة ثمان للهجرة، بعد حنين، وحاصرها قرابة العشرين يوماً فاستعصت عليه، رغم استعماله للدبابة والمنجنيق، وساهمت أسوار الطائف في منعتها.

وبعد رؤيا رآها ﷺ أدرك أن الطائف لن تفتح الآن فغادرها عائداً إلى مكة.[2]

وعند الجعرانة كان ﷺ قد جمع الغنائم فيها، أتاه وفد من هوازن وهم بادية الطائف ولهم أسرى من غزوة حنين وهم ذليلون مستشفعين برسول الله ﷺ طالبين أن يرد أموالهم

(١) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. ص ٤٩١.

(٢) انظر: غزوة حنين وحصار الطائف من هذا الكتاب.

وسباياهم، فخيرهم ﷺ بين الأموال أو السبايا فاختاروا السبايا، فأطلق الرسول ﷺ ما له ولآله من السبايا، فتأسى بهم المسلمون وأعتقوا سبي هوازن، وكان زعيمهم مالك بن عوف فاراً عند ثقيف في الطائف فأبلغ ﷺ قومه: أنه إن جاء مسلماً تائباً رد عليه ماله وأهله ومائة من الإبل، فسمع مالك بذلك، فجاء إلى الرسول ﷺ تائباً مادحاً النبيَّ ﷺ، فاستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف والتضييق عليهم في الطائف، حيث كانت ملجأ للفارين بعد فتح مكة، فأخذ يضيق على ثقيف ويغزوها، فضاقت بهم الحال، وفي الوقت نفسه قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ مسلماً، وكان محبوباً في قومه، فخرج إليهم في الطائف يدعوهم إلى الإسلام (فلما أشرف على عِلِّيَّةٍ له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل لعروة ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني فيهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: ((إن مَثَله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه)).[1]

ثم أن ثقيفاً بعد هذه الحادثة بأشهر اقتنعت أن لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ، فأعدوا وفداً يترأسه عبد ياليل بن عمرو

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٣٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٧٨.

ابن عمير (فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة،[1] ألفوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رعيتها نُوَباً على أصحابه ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وأخذ يشتد، ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ.[2] فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروّح الظهر معهم، وعلمهم كيف يُحيون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ وسلم ضرب عليهم قُبة في ناحية مسجده، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٣٩ (وقناة من أكبر أودية المدينة وأخطرها تحيط به المزارع، عليه عدد من السدود ويقع بالقرب من قبور شهداء أحد ويرفده عدد من الشعاب النازلة من الجبال ـ عبد العزيز كعكي؛ معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ج٢م٢ ص٦٣٤).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٣٩.

الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يُطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي (اللات) لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يَدَعْها شيئاً يُسمّىٰ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يَسْلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يَدْخُلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ((أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه)) فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة). [(١)]

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أَمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، [(٢)] وقد بقي

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٤٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٣٩، ٥٤٠.

أميراً عليها بقية عهد النبي ﷺ، ثم طيلة خلافة الصديق رضي الله عنه بعد ذلك. [(١)]

وقد تعلم الوفد شيئاً من القرآن وأمور الدين، ووافق الرسول ﷺ على أن يتولى هدم اللات غيرهم، على أن لا تقر لحظة واحدة، وبعث معهم وفداً مهمته هدم الصنم في حماية من قومهم حتى يقوم بهدمها، فبَكت على الصنم نساء من ثقيف، [(٢)] ثم انتشر الإسلام بين ثقيف وأهل الطائف الحاضرة، فكان أهلها ممن ثبتوا على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يرتدوا. [(٣)]

وفد بنو سعد بن بكر.

بنو سعد بن بكر هم فرع من هوازن المضرية، [(٤)] ومواطنهم جنوب الطائف، اسْتُرضِعَ فيهم الرسول ﷺ، وقد أورد ابن هشام قصة وفادته ممثلاً قومه حيث قال: بعثت بنو سعد بن بكر (ضمام ابن ثعلبة) وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٣٧٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٤٢.
(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥.
(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٥.

وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: (أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ ((أنا ابن عبد المطلب)) قال: أمحمد؟ قال: ((نعم))، قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومغلظٌ عليك في المسألة فلا تَجِدنّ في نفسك، قال: ((لا أجِدُ في نفسي، فَسَلْ عما بدا لك))، قال: أَنْشِدُكَ الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: ((اللهم نعم))، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: ((اللهم نعم))، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: ((اللهم نعم))، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة؛ منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: ((إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة)). [1]

---

(١) ابن هاشم، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٤.
(والعقيصة مجموعة من الشعر تربط بتداخل وتجعل كرمّانة من خلف الرأس؛ المعجم الوسيط، ص٦١٥).

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئس اللات والعزى قالوا: مَهْ يا ضُمام اتقِ البرص، اتقِ الجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضُمام بن ثعلبة. (١)

وهكذا كان هذا الأعرابي واضحاً في أسئلته، مصدقاً لما دعاه إليه النبي ﷺ حاملاً الخير لقومه، مُباركاً في دعوته لهم، عرفوه وصِدْقَه فصدقوا ما حمله من إيمان، فكان كما قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة). (٢)

وفد بني تميم(٣)

إحدى القبائل العدنانية، ينتسبون إلى مُرّ بن أد، وهي من

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٤/ ٥٧٣، ٥٧٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب وفد بني تميم، ج٤/ ١١٥.

أكبر قبائل العرب،[1] مواطنهم في البحرين وشرقي نجد ونواحي الأحساء.[2]

وقد جاء وفدهم في السنة التاسعة للهجرة بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك، وقد ذكر أنَّ لهم وافداً أو أفراداً مثلوا قومهم قبل هذا العام. وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه (باب وفد بني تميم) أورد فيه أحاديث عدة.[3]

قدم وفدهم على رسول الله ﷺ في المدينة بعد عودته من غزوة تبوك، وكان وفدهم من أشهر وفود القبائل على رسول الله ﷺ في الأحداث، وفيهم زعماء مشهورون على مستوى القبائل العربية، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، والحبحاب ابن يزيد، وعطارد بن حاجب، وعُيَيْنة بن حصن وغيرهم.[4]

ولما وصل الوفد إلى المدينة كان ﷺ في حجرات أمهات المؤمنين، فدخلوا المسجد وأخذوا ينادون رسول الله ﷺ: (أن أخرج علينا يا محمد فإن مَدْحنا زين وذمّنا شين)،[5] فتأذى

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٠٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٠٧.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٥؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨١.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ١١٥ ـ ١١٦.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٠.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٢.

رسول الله ﷺ من قولهم ذلك وقال: ((ذاك الله عزّ وجل))،[1] وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [الحجرات].

وبعد خروج الرسول ﷺ طلبوا أن يأذن لخطيبهم عطارد بن حاجب، فألقى خطبة جاء فيها: الحمد لله الذي له الفضل والمن علينا وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها بالمعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق. واستمر في مدح بني تميم حتى فرغ من خطبته.[2]

فلما فرغ أمر الرسول ﷺ ثابت بن قيس بن الشماس بإجابته فقام رضي الله عنه خطيباً وكان مما قال: الحمد لله الذي السموات والأرض من خلقه، قضى فيهن أمره، ووسِع كرسيُّه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من علمه... وواصل خطبته التي كانت مليئة بالإيمان والصدق والدعوة إلى الله تعالى والثناء على الله ورسوله ﷺ.[3]

بعد ذلك قام شاعر تميم (الزبرقان بن بدر) وألقى قصيدة أمام رسول الله ﷺ، كانت مركزة على الفخر بقومه بني تميم ومنها:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٢.

(٣) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٢.

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا
منا الملوك وفينا تُنصب البِيَعُ[1]

فدعا الرسول ﷺ حسان بن ثابت أن يجيبه بعد فراغه، فقال حسان رضي الله عنه قصيدة عصماء منها:

إنّ الذوائبَ من فِهرٍ وإخوتهمْ
قد بيّنوا سُنّة للناس تُتّبعُ

يرضى بها كلٌّ من كانت سريرتُه
تقوى الإله وكُلَّ الخيرِ يَصْطنِعُ[2]

فكانت معاني حسان تحمل معاني الإسلام السامية، والفخر بها وبرسول الله ﷺ، وقيل إنه تبودلت قصائد أخرى بين الزبرقان وحسان رضي الله عنه، فلما فرغوا قال الأقرع بن حابس (وأبي إن هذا الرجل لمؤتَى له، لَخطيبُه أخطبُ من خطيبنا، ولَشاعِرُه أشعرُ من شاعرنا، ولأَصواتهم أحلى من أصواتنا).[3]

وقد أسلم القوم وتعلموا من رسول الله ﷺ، وأمر بعض الصحابة بتعليمهم، وكانوا يسألون رسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال:

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٤. (البيعة تأتي بمعنى التولية وتنصيب الأمراء والملوك؛ المعجم الوسيط، ص٧٩).

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ١٧٥، ١٧٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٧.

(أتى نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: ((اقبلوا البشرى يا بني تميم)) قالوا يا رسول الله قد بشّرتنا فأعطنا، فَرُئي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن فقالوا: اقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله). [1]

وحينما أراد الوفد العودة إلى ديارهم أجازهم الرسول ﷺ، وكان لأبي بكر ولعمر رأيان مختلفان حول تعيين أمير على القوم فقد روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردْتَ إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات] حتى انقضت). [2]

وفد بني عامر

بنو عامر بن صعصعة من قيس عيلان من مضر. [3] يقيمون

(١) انظر: صحيح البخاري، باب وفد بني تميم، حديث رقم: ٤٣٦٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير «سورة الحجرات»، باب ولا ترفعوا، ج٦/ ٤٦؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج٢/ ١٧٤٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢ / ٢٧١.

في نواحي نجد القريبة من المدينة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أناساً من أصحابه لدعوتهم، فقتلوا في حادثة بئر معونة المشهورة.[١]

وقد قدم وفد من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل، وهو ممن قاتل أصحاب النبي ﷺ في بئر معونة، وكان أعرابياً قاسياً، فطلب منه النبي أن يسلم فقال: ما تجعل لي إن أسلمت فقال ﷺ: ((لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم))، فقال للنبي ﷺ: اجعل لي الأمر من بعدك فقال ﷺ: ((ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل)) قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر،[٢] فقال ﷺ: ((لا))، قال عامر: لا، ثم هدد الرسول ﷺ قائلاً: أما لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، فقال ﷺ: ((يمنعك الله اللهم اكفني عامر بن الطفيل))، فأصيب بغدة في عنقه، كان يصيح منها ومرض في بيت سلولية، ثم كره الموت في بيتها فركب فرسه خارجاً وهو يقول: أغدة كغدة الإبل، وموت في بيت سلولية وسار عليه حتى مات.[٣]

وكان معه في الوفد أربد بن قيس، وهما ينويان اغتيال

---

(١) انظر: حادثة بئر معونة من هذا الكتاب.

(٢) الوبر، يقصد به البادية نسبة إلى رعاة الإبل وهي ذات الوبر، والمدر هم أهل القرى.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٦٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج١/ ١٠٠٨.

النبي ﷺ، وعاد إلى قومه، وكان سيئ الأدب مع الله حتى أنه قال: لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل، فخرج بعد ذلك بيوم أو يومين فأصابته صاعقة فأحرقته وقيل: نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد]. [١]

وفد بني حنيفة[٢]

بنو حنيفة قبيلة تنتسب إلى لحيم بن صعب من بني بكر بن وائل. [٣]

كانت مواطن بني حنيفة في اليمامة في الوادي المشهور باسمهم وما يتفرع منه، وكانت مناطق زراعية مشهورة بإنتاج القمح والتمور وغيرها يصل إنتاجها إلى مكة،[٤] فكان أن وجد بينها وبين قريش شيء من التبادل التجاري. وقبل فتح مكة أُسر أحد زعمائهم وهو ثمامة بن أثال، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد فجاءت برجل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/١٠٠٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية. ج٤/٥٦٨.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٥/١١٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٩.

(٤) انظر: عبدالله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض ١٤٠٠هـ.

من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي خير يا محمد: إن تقتلني تقتل ذا دمٍ وإن تُنعم تنعم على شاكرٍ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتُرك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تُنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة ؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صَبَوْتَ، قال: لا ولكن أسلمتُ مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. (١)

وقد خص البخاري شخص ثمامة بن أثال بالمشاركة في عنوان باب («وفد بني حنيفة بعد إسلامه، وكيف رأى ثمامة

---

(١) رواه البخاري، باب وفد بني حنيفة، ج٤/ ١١٧، ١١٨.

صدق رسول الله ورحمته وحسن معاملته» لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلي، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليّ).[1]

وبعد إسلامه خرج إلى مكة معتمراً. وقد علمت قريش بإسلامه فأخذوه وآذوه ثم خلوا سبيله، خشية أن يؤثر ذلك في استيرادهم للطعام من اليمامة. وبالفعل لما وصل إلى اليمامة منعهم أن يحملوا الطعام إلى مكة ويجلبوا عليها شيئاً، فتضرر المكّيون، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ في ذلك مذكرين إياه بصلته للرحم، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين شراء الطعام من اليمامة.[2]

وكان ذلك جُزءاً من الحصار الاقتصادي لمكة، وكان لإسلام ثمامة من بني حنيفة دور في وصول الدعوة إلى اليمامة مواطن بني حنيفة، وتأثر أُناس منهم وسماعهم بالدعوة ومضمونها.

وفي السنة التاسعة من الهجرة كان ضمن الوفود التي قدمت على رسول الله وفد من بني حنيفة، منهم أناس[3] من أشرافهم، معهم مسيلمة الكذاب، قبل ادعائه النبوة وفي بداية تفكيره بذلك.

---

(١) البخاري، ج٤/ ١١٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٦٣٩.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٦٣٩.

(٣) انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج٥/ ١١٨.

وقد أنزلهم الرسول ﷺ في دار (رملة بنت الحارث)، وكانت معدّةً لضيوف رسول الله ﷺ، فجاءهم رسول الله ﷺ وفي يده جريدة من نخل، ومعه بعض الصحابة فيهم (ثابت بن قيس بن شماس)، فوقف عليه رسول الله ﷺ فكلمه.[1] ولعل رواية البخاري الأخرى في تفاصيل الحادثة أبلغ من أن تشرح، فقد روى ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: ((لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنّك الله، وإني لأراك الذي أُريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني))، ثم انصرف ﷺ عنه قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أُريت فيه ما أُريت.[2]

وورد في الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: (قال رسول الله ﷺ: بَيْنَا أنا نائم أُتيت بخزائن الأرض فوُضِع في كفي سواران من ذهب فكبرا عليَّ،

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي، ج٥/ ١١٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج٥/ ١١٨.

فأوحى الله إليّ أن أنفخهما فنفختهما فذهبا فأَوَّلْتُهُمَا الكذّابَيْن اللذيْن أنا بينهما؛ صاحب صنعاء وصاحب اليمامة)).[1]

لقد كان رد رسول الله ﷺ حاسماً وقوياً أمام ذلك الكذاب.

اشترك بنو حنيفة في العناد مع مسيلمة حين ادعى النبوة فتبعه بنو حنيفة بعد عودته إلى اليمامة عصبيةً حيث قال أحدهم: (أشهد إنك كاذب، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر).[2]

وقد كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون).[3]

ورد عليه رسول الله ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)). وقد كانت مكاتبته للنبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة.[4]

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج٥/١١٨.

(٢) الطبري، تاريخه، حوادث السنة الحادية عشرة، ج٣/ ٥١٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٤٨.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٤٨.

وقد قويت شوكة مسيلمة ومن معه، وهدد المسلمين في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان من أوائل أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه القضاء على المرتدين، فأرسل ثلاثة جيوش لمحاربة مسيلمة، الذي ازدادت قوته بعد انضمام قبائل أخرى منها بنو تميم لفترة مؤقتة إليه، إلى أن تمكن المسلمون من القضاء على ردته في معركة اليمامة المشهورة التي استشهد فيها عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ تجاوز الثلاثمائة فيهم عدد كبير من الأنصار وكان فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر (رضي الله عنهما) وأبو دجانة وغيرهم.[١]

---

(١) راجع تفصيلات المعركة في الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبدالعزيز العمري، ص ١٠٣؛ والطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٥٢.

وفود اليمن

اليمن تشمل منطقة واسعة. وفي العصر النبوي وجد فيها قبائل شتى. وكانت علاقة تلك المناطق بما فيها من قبائل وأفراد ومدن بالرسول ﷺ وبالإسلام في وقت مبكر من مبعثه ﷺ وقبل هجرته إلى المدينة المنورة، وكانت للقبيلة الواحدة أو المدينة الواحدة وفود متفرقة، وأحداث ذات صلة بالنبي ﷺ متعددة مما يصعب وضعها في إطار واحد.

وكان لإرسال النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه وبعض أمرائه إلى اليمن دور في قدوم مزيد من الوفود في أواخر حياة النبي ﷺ.[١] ومن أهم تلك الوفود:

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٢؛ مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٧٦.

وفد الأشعريين

ينتسبون إلى أشعر بن زيد بن كهلان بن سبأ وموطنهم باليمن.[1]

وحين أقبل وفدهم وفيهم أبو موسى الأشعري ﵁ قال ﷺ: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً والإيمان يَمَانْ، والفقه يَمَانْ، والحكمة يمانية)).[2]

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض)).[3]

كان فيهم إيمان وصدق وقبول لقول وأمر رسول الله ﷺ دونما تردد، وكان وصولهم مع وفد بني تميم في وقت واحد. عن عمران بن حصين ﵁ قال: (أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ فقال: ((اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا يا رسول الله ﷺ بشرتنا فأعطنا؟ فرُئي ذلك في وجهه ﷺ، فجاء نفر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم)) قالوا: قبلنا يا رسول الله).[4]

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٢) رواه مسلم، انظر ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧؛ ورواه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥/ ١٢٢.

(٣) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ص ٦٦٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥/ ١٢٢.

وقد ورد أنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ ويسألونه عن أشياء ومنها سؤال عن بدء الخلق فكان مما قاله النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)).[(١)]

ويتضح من الروايات سَبْقُ إسلامهم، قبل وصول وفدهم إلى النبي ﷺ، بل ومشاركة بعض منهم في الهجرة الى الحبشة وفي فتح خيبر.[(٢)]

وافد مراد (فروة بن مسيك)

مراد قبيلة مذحجيه من كهلان من سبأ الحميرية،[(٣)] وتقطن اليمن وتجاورها همدان، وتعد تابعة لملوك كندة في المنطقة.[(٤)]

وقد قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة مسلماً في السنة التاسعة للهجرة، وتحدث مع رسول الله ﷺ عن مصاب قومه في معاركهم مع همدان، فقال له ﷺ: ((أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً)).[(٥)]

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، ج٤/ ٧٣.

(٢) انظر: فتح خيبر من هذا الكتاب.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٣.

واستعمله الرسول ﷺ على عدد من القبائل المجاورة، منها زَبيد ومُراد ومذحج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات، فكان يقوم بهذه المهمة في بلادهم حتى توفي رسول الله ﷺ.[1] وقد حدثت ردة في زبيد بعد وفاة الرسول ﷺ فآذوا فروة بن مسيك المرادي وسبوه بشعرهم،[2] ولكن القوم عادوا إلى الإسلام بعد جهاد المرتدين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحسن إسلامهم وشاركوا في فتوحات الشام والعراق وغيرها . . .

وفد همدان

همدان قبيلة يمنية تعود إلى كهلان بن سبأ.[3] موطنها اليمن في نواحي السكون[4] وحاشد، وتجاور الأشعريين.[5] وقد وصل بعضهم إلى مكة، واتصلوا بالرسول ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى وسمعوا منه كغيرهم أثناء عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل قبل الهجرة،[6] حتى زادت معرفتهم بالإسلام وتراكمت.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٨٣.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٥٨١.

(٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٢.

(٤) السكون والسكاسك مخلاف في اليمن ينسب إلى قبيلة بالاسم نفسه، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ٢٢٩.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠١ و١٠٥.

(٦) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب.

قدم وفدهم إلى المدينة المنورة في السنة التاسعة للهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك،[١] وفيه عدد من زعمائهم، ولهم ملابس خاصة ومراكب مميزة: (عليهم مقطعات الحَبَرات، والعمائم العدنية برحال الميس، على المهرية والأرحبية).[٢]

والقوم يرتجزون بأبيات شعرية، وقد لفت مظهرهم ونشيدهم أنظار أهل المدينة، فجاؤا مقرين لرسول الله ﷺ، فقام مالك بن نمط زعيمهم فقال: (يا رسول الله ﷺ نَصِيَّةٌ[٣] من همدان من كل حاضرٍ وبادٍ أتوك على قُلُصٍ نواجٍ، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام شاكر، أهل السود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات والأنصاب، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع).[٤]

وقد كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً في حمى مناطقهم جاء

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٣٤١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٧، ٥٩٨. (ورحال الميس رحال مصنوعة من خشب الميس، والمهرية والأرحبية: إبل تنسب إلى قبيلة مهرة باليمن وقبيلة أرحب»؛ ابن هشام، ج٤/٥٩٧ هامش رقم٣ و٤ و٥).

(٣) النصية الخيار من القوم.

(٤) اليعفور وصلع، قيل اليعفور اسم ماء يجرى بجبل صلع في نواحيهم والنص عن ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٨؛ وانظر: هامش ٧، ٨.

منه: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أنّ لهم فِراعها ووِهاطها ـ أي: الذُّرىٰ والوِهاد ـ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علاقها ويرعون عافيها، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار)). [1]

وفد كِندة

كندة قبيلة يمنية مشهورة ترجع إلى كهلان بن سبأ. [2] وموطنها الأصلي في اليمن نواحي السكاسك والسكون، وتمتد إلى مناطق شتّى في بلاد العرب، وفيها سلطة وملوك تصل إلي أطراف الشام. وقد وصل الإسلام إليهم في اليمن وأسلموا قبل وصولهم إلى المدينة، كما يظهر من بعض النصوص، وقد قدم وفدهم فيه ثمانون رجلاً، عليهم الأشعث بن قيس الكندي من كندة اليمن الأصلية، (فدخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا وعليهم جبب الحبرة، وقد كفتوها[3] بالحرير، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقال: ((ألم

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٨.
(٢) انظر: السمعاني، الأنساب، ج١٠/ ٤٨٥، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٢٥.
(٣) الكفت: هو التكفيف للقماش. انظر: حاشية ابن هشام في السيرة، رقم: ٥، ج٤/ ٥٨٥.

تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم))، قال: فشقوه منها فألقوه).[١]

وقد حصل تردد من الأشعث بن قيس بعد وفاة النبي ﷺ، إلا أنه تاب، ولزم الإسلام، وتزوج أخت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أم فروة، وكان له بلاء حسن في فتوحات الإسلام زمن الصديق وعمر رضي الله عنهما.[٢]

وفد الأَزْد و(جُرش)

الأزد هم أزد شنوءة، ويعودون إلى كهلان بن سبأ،[٣] ومواطنهم نواحي جُرش من أرض اليمن.[٤]

وقد قدم صرد بن عبد الله الأزديّ في وفد من قومه على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة التاسعة للهجرة،[٥] فأسلم ومن معه وحسن إسلامهم، فأمره الرسول ﷺ ومن أسلم معه بجهاد المشركين في نواحيهم: (فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر الرسول ﷺ، حتى نزل بجُرش وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوها

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥/ ٥٨٥.
(٢) انظر: ترجمته عند: ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٥١، وابن سعد، الطبقات، ج٦/ ٢٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٣٧.
(٣) السمعاني، الأنساب، ج١/ ١٩٨.
(٤) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ١١.
(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٧.

معهم، حيث سمعوا بسير المسلمين إليهم فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظن أهل جُرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً).

(كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: ((بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر، وكذلك يسميه أهل جُرش، فقال إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال إن بُدُن الله لتنحر عنده الآن))، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان فقال لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: ((اللهم ارفع عنهم)) فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر).[1]

لقد أثرت هذه الحادثة على أهل جُرش، فأعدوا وفداً خاصاً

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٧، ٥٨٨.

قدم على رسول الله ﷺ في المدينة وقابلوه وأعلنوا إسلامهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ وحَمَى لهم حِمَىً لقريتهم خاصة يُمنع منه الآخرون.[1]

وافد حضرموت (وائل بن حجر)

حضرموت، مخلاف معروف شرق اليمن شمال عدن وجنوب الأحقاف (الربع الخالي).[2]

تشتهر بمناطقها الحضرية وقبائلها العديدة، وإنتاجها الزراعي والحيواني. وكان يحكمها أمراء يعرفون بالأقيال يشبهون الملوك، كانوا موضع احترام العرب، وخصوصاً قبائل اليمن المجاورة لهم.[3]

وقد وصلت أخبار الإسلام إليها بطرق مختلفة، وفي السنة التاسعة للهجرة[4] وفَد من المنطقة وائل بن حجر أحد أقيالهم، وكان أبوه من ملوكهم، وقد بشر الرسول ﷺ بقدومه قبل أن يصل إلى المدينة فقال: ((يأتيكم بقية أبناء الملوك)).[5] وحين وصوله أكرمه الرسول ﷺ ورحب به وبسط له رداءه ودعا له

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٨٨؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٥.

(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ٢٧١.

(٣) انظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٥٧.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٨.

(٥) انظر: ابن شيبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٢٧٩.

ولولده: ((اللهم بارك على وائل وولده وولد ولده)).[1]
واستعمله الرسول ﷺ على أقيال حضرموت وذكر عدد من المحدثين أنه أقطعه أرضاً هناك.[2]

وفد الحارث بن كعب

بنو الحارث بن كعب قبائل متعددة ترجع في أصلها إلى كهلان بن سبأ،[3] ومواطنهم نواحي نجران.[4]

عرفوا بين العرب بالشدة والقوة، وسيطرتهم على كثير من نواحي نجران وما جاورها. وقد بعث إليهم رسول الله ﷺ في أوائل السنة العاشرة للهجرة خالد بن الوليد في جيش من المسلمين، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام، ويقبل منهم إن أسلموا فلا يقاتلهم، فوصل خالد إلى مناطقهم وبث الركبان في كل اتجاه يدعون بني الحارث إلى الإسلام مبلغين إياهم: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم

---

(١) انظر: تخريجه عند مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٥٨.

(٢) الترمذي، صحيحه، كتاب الطعام، ج٢/ ٥٢؛ أبو داود، سننه، ج٣/ ٤٤٣، كتاب الخراج؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/ ٦٢٩.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٦.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٣؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوّة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام.

الناس،[1] فبقي فيهم خالد ومن معه من جند الصحابة، يعلمهم الإسلام، ويقرئهم كتاب الله، ويعلمهم سنته ودينه.

وفرح خالد بن الوليد ومن معه ﵃ بذلك،[2] وكفى الله المؤمنين القتال، وكتب خالد ﵁ إلى رسول الله ﷺ وكان مما جاء في كتاب خالد: (أسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عن ما نهاهم عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة نبيه ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته). وقد رد عليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يُقبل ومعه وفد منهم،[3] فأقبل خالد إلى المدينة ومعه وفد منهم فيه عدد من زعمائهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم، قال: ((من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند)) قيل: يا رسول الله: هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسول الله سلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله: ((وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا، فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة))، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٥.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٣.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٣.

يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أَربَع مرار، فقال رسول الله ﷺ: ((لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم))، فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم، ثم قال: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. قال بلى، قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم. قال صدقتم))، وأمَّر عليهم قيس ابن الحصين).[١]

وبعد أن عاد الوفد إلى مواطنهم بعث إليهم رسول الله ﷺ عمرو بن حزم معلماً ومفقهاً لهم وأميراً على الصدقات فيهم وبعث معه كتاباً وافياً تبشير ونذارة وبيان بأنصبة الزكاة الواجبة.[٢]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٥؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٦٤.

(٢) انظر: نص الكتاب عند ابن هشام، ج٢/ ١٠١٤، ١٠١٥؛ وانظر: تخريجه والحكم عليه عند مهدي زق الله، ص٦٦؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير، ص٧٥.

وفود نصارى العرب[1]

كانت النصرانية منتشرة في عدد من الحواضر والقبائل في بلاد العرب، وكان أهلها أهل كتاب ذوي علم، وقد وصلتهم دعوة النبي ﷺ، فكان لبعضهم وفود وأفراد قابلوا الرسول ﷺ وآمنوا به.[2] وكانت صلات رسول الله ﷺ تحقيقاً لعالمية رسالته ورحمته الشاملة لأهل الأرض كافة، كما أن علمهم بالأنبياء السابقين، وانتظارهم لآخر الأنبياء وخاتمهم كان مما يميزهم عن غيرهم ومن وفودهم.

وفد الداريين

ينتسبون إلى الدار؛ بطنٌ من لَخَم، ومواطنهم نواحي متفرقة

---

(١) انظر: د. فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: الفصل الخاص بالوفود عند فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٩٣.

من فلسطين والشام بالقرب من بيت لحم والرملة وغيرها.[1]

وهم من نصارى العرب الذين وصلتهم دعوة الإسلام، وقد قدم عشرة منهم إلى النبي ﷺ في المدينة بعد عودته من تبوك، كانوا نصارى فأسلموا وقدموا للقاء النبي ﷺ فيهم تميم الداري وأخوه نعيم، وقد أقطع الرسول ﷺ تميماً أرضاً بالشام، وهي لم تفتح بعد. وكان الرسول ﷺ على يقين بفتحها في القريب، وكان تميماً مصدقاً بذلك مؤمناً به ولذلك استقطع النبي ﷺ أرضاً، فلما فتحت الشام في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أعطاه تلك الأرض.[2]

وقد اشتهر حديث تميم الداري عن الدجال، حيث سمعه منه النبي ﷺ، وجمع الناس في مسجده ليسمعوا منه قصته، التي من خلالها يتضح ركوب تميم الداري البحر قبل وصوله إلى المدينة المنورة.[3]

وفد تغلب

تغلب إحدى القبائل العربية التي تنتسب إلى تغلب بن وائل

---

(١) انظر: فاروق حمادة، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٤٢.

(٣) انظر: الإمام مسلم في صحيحه، الفتن وأَشْراطُ الساعة، باب قصة الجساسة، ص٤٣٢٥؛ سير أعلام النبلاء، ج٦/ ٣٧٣؛ ولمزيد من المعرفة حول تخريج الرواية راجع فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص١٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٤٢، حاشية رقم: ٢.

من ربيعة بن نزار العدنانية، وهي بطون كثيرة،[1] وتسكن شمال الجزيرة العربية وتمتد بعض بطونهم إلى الشام والعراق.

وكانت إحدى أهم قبائل العرب النصرانية، فيها العلماء والأحبار النصارى ذوي التأثير بين قومهم وغيرهم من القبائل، وذوي الصلة بالروم ونجران، بل وحتى الحبشة.

وفي السنة العاشرة للهجرة قدم وفد منهم فيهم ستة عشر رجلاً،[2] بعضهم على النصرانية وبعضهم سبق إسلامهم، وقد أنزلهم رسول ﷺ في دار رملة بنت الحارث،[3] حيث كان ينزل الضيوف. وقد سمعوا من النبي ﷺ وعقدوا معه صلحاً، وعند فتح العراق عاندوا، ولحق بعضهم بالروم ونقضوا عهدهم، فكانت لهم معاملة مختلفة من عمر نتيجة مخالفتهم للعهد.[4]

وفود طي

طي قبيلة عربية قحطانية تعود إلى كهلان بن سبأ.[5]

---

(١) السمعاني، الأنساب، ج٣/ ٦٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٠٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ ٣٦١.

(٣) رملة بنت الحارث أو الحرث، امرأة من الأنصار، وهي زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري، اشتهرت الدار باسمها، وقد حبس فيها أسرى بني قريظة ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٠٥.

(٤) يحيى بن آدم، الخراج، ص ٢٠٠؛ القاسم بن سلام، الأموال، ص٣٦؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، السمعاني، أنساب العرب، ج٨/ ١٨٧.

ومساكنهم نواحي جبلي أجا وسلمى شمالي نجد وتسمى جبلي طي،[١] وتمتد إلى العراق والأطراف الجنوبية لبلاد الشام إضافة إلى شمال الجزيرة العربية.[٢]

قدم وفد من طي على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة،[٣] وكان فيه سيدهم زيد الخيل، وهو ابن مهلل بن زيد من الغوث من طي.[٤] وكان زيد شاعراً مشهوراً من فرسان الجاهلية، ذاع صيته بين العرب واشتهر بالكرم، وقد أسلم ومن معه بعد لقائهم رسول الله ﷺ وحُسن أسلامهم.

وأورد ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال عنه: ((ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وأقطع له فيداً [٥] وأرضين معه وكتب له بذلك))،[٦]وعند عودته إلى نجد توفي بسبب الحمى،[٧] وقيل

---

(١) الهمذاني، صفة جزيرة العرب ص ٢٦٦؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج٢/ ٦٨٨.

(٢) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٣) ابن حجر، الإصابة ج١/ ٥٧٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٠٤.

(٥) مكان معروف شرقي حائل حالياً.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ ٣٢١.

(٧) ابن هشام السيرة النبوية ج٤/ ٥٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج١/ ٣٥٥.

إنه عاش إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[١] وقد عرف ابنه عروة بفتوحه في بلاد الديلم.[٢]

وفد فروة بن عمرو الجذامي[٣]

جذام قبيلة عربية من كهلان من القحطانيين، ومواطنهم مما يلي الروم من نواحي الأردن في معان وما جاورها إلى الغرب نواحي مَدْيَن غرب تبوك، وتمتد إلى فلسطين.[٤] وكان فروة بن عمرو عاملاً للروم على عرب معان، وكان على النصرانية فبلغته دعوة رسول الله ﷺ، فأسلم وبعث وفداً إلى رسول الله ﷺ في المدينة ومعه هدية لرسول الله ﷺ، فلما علم الروم بإسلامه حبسوه ثم قتلوه، وذكر أنه لما قدم ليقتل بعث سلامه في أبيات لرسول الله ﷺ وللمسلمين منها قوله:

بلِّغ سراة المسلمين بأنني
سَلْمٌ لربي أعظُمي ومقامي[٥]

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٥٧٢.
(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤.
(٣) وضع ابن هشام في السيرة النبوية عنوانا «إسلام فروة بن عمرو الجذامي»، ص٥٩١.
(٤) فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٢٧.
(٥) انظر: تفاصيل الوفد عند ابن هشام السيرة النبوية، ج٤/ ٥٩٢.
ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٤٦.

وفد غسان

غسان قبيلة عربية مشهورة تعود في أصلها إلى الأزد.[١] وقد كان لهم حكم دمشق وما جاورها وما بينها وبين حمص، تابعين في ذلك للروم وعرف ملوكهم بملوك الغساسنة، وكانوا على النصرانية، ومع الروم في مواجهة الإسلام، وقد قدم ثلاثة نفر منهم على النبي ﷺ في رمضان من السنة العاشرة للهجرة،[٢] فأسلموا وعادوا إلى بلادهم ولم يظهروا إسلامهم خشية من الروم، وتوفي اثنان منهم قبل فتح الشام، وقدم الثالث على أبي عبيدة قبيل اليرموك فأكرمه.[٣]

وفادة عدي بن حاتم[٤]

هو ابن لحاتم طي أشهر العرب الجاهليين بالكرم، أحد زعماء طي المشهورين، كان من زعماء النصرانية بين العرب[٥]

---

(١) انظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص١٥٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١/ ٣٣٨؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٦٩.

(٣) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٦٩؛ وابن سيد الناس، السيرة النبوية، ج٢/ ٢٥٦.

(٤) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب قصة وقد طي وحديث عدي بن حاتم.

(٥) عرف نصارى العرب باتباعهم للمذهب اليعقوبي في الشام والنسطوري في العراق؛ عبدالعزيز الثعالبي، محاضرات في تاريخ الأديان، ص١٤٨؛ الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ص٦٨.

على الركوسية[١] وهي فرقة معروفة من النصارى في زمن النبي ﷺ،[٢] تربطه علاقات خاصة بنصارى عرب الشام، خصوصاً الغساسنة ونصارى عرب العراق من المناذرة وغيرهم، إضافة إلى علاقته بقبيلته طي، حيث كان زعيماً من زعمائهم.

وقد وصلته أخبار الإسلام مبكرة وتردد في الاتصال برسول الله ﷺ والسماع منه، رغم أن خبر رسول الله ﷺ ذاع بين العرب والعجم، ولعل وصول زيد الخير (زيد الخيل) إلى النبي ﷺ مع بعض زعماء طي وإسلامهم قد أثر في عدي سلباً، حيث يقول: بُعث النبي ﷺ (فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط، فانطلقت حتى أنزل أقصى العرب مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الأول).[٣]

لم يقدم على لقاء الرسول ﷺ إلا بعد أن أسرت أخته، وأحسن الرسول ﷺ معاملتها وأسمعها ما توصله إلى عدي بن حاتم.

---

(١) الركوسية: فرقة لها دين ومذهب بين النصارى والصابئين عرفت زمن النبي ﷺ بين العرب؛ المعجم الوسيط، ص ٣٦٩.

(٢) وقد أخطأ جواد علي في التشكيك في الرواية وفي وجود المذهب الركوسي بسبب زعمه أن القول لحاتم طي، وأنه مات قبل الرسول ﷺ، ولا يقبل هذا من علم مثل جواد علي، مع وجود ما يزيد على أربعين حديثاً بعضها في البخاري تثبت أن المقابلة كانت لعدي بن حاتم وليست لأبيه (راجع: المفصل، ج٦/ ٦٣٤).

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

ذلك أن إحدى سرايا الرسول الله ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أغارت على بعض نواحي طي، في ربيع الآخر سنة تسع للهجرة، وكانت تهدف لهدم صنمهم (الغُلس)، وتمكنت من أسر بعض الطائيين وفيهم سفانة بنت حاتم طي أخت عدي،[1] ((فجعلت بنت حاتم في حظيرة[2] بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي ابن حاتم. قال الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت: له مثل ذلك وقال: لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منَّ الله عليك، فقال ﷺ: ((قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني)). فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقيل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن

(١) ابن سعد، السيرة النبوية (من الطبقات)، ج٢/ ١٦٤.

(٢) هي السياج الخاص يوضع للأسرى، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٩ (حاشية رقم ٣).

آتي أخي بالشام. قالت فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني، وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام). [١]

كان عدي بن حاتم محتاراً بعد سبي أخته وفراره إلى الشام.

وبعد إكرام أخته ومغادرتها إلى الشام يصف عدي حال وصولها فيقول: (فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليّ تؤمنا، قال فقلت: ابنة حاتم؟ قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي انسحلت[٢] تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك، قال قلت: أي أخيّة لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلَت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت. قال قلت: والله إن هذا الرأي). [٣]

وقد توجه عدي بن حاتم بعد ذلك من الشام إلى المدينة

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٧٩.

(٢) رفعت صوتها باللوم والعتاب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨٠.

المنورة لمقابلة رسول ﷺ، وذلك في أواسط السنة التاسعة للهجرة.[1]

وحين وصل المدينة استشرفه الناس، ويظهر أنه وصل بشكل ملفت للنظر سواء في لباسه أم موكبه، وربما من يرافقه، بحيث لفت أنظار أهل المدينة إليه، ثم دخل المسجد على رسول الله ﷺ فسلم عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم (فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ فقال اجلس على هذه قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: ((إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟ قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم

---

(١) من رواية بن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم))، قال: فأسلمت، وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه).[1]

وقد انتهت مقابلة عدي بإسلامه على يد رسول الله ﷺ عن قناعة تامة اتضحت من خلال حديثه عن لقائه مع رسول الله ﷺ، ومن خلال ما رأى من تواضعه وكرمه وحسن خلقه ومعرفته بالنصرانية وأصلها وما أصابها من انحراف. وما كان يقوم به عدي من أخذ المرباع من النصارى وهو محرم عليه.

وهذا الحوار كان طويلاً، ولعله حاور الرسول ﷺ في أكثر

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/ ١٥٠، وانظر: رواية البخاري في صحيحه؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨١.

من موقف وأكثر من يوم أثناء وجوده في المدينة، ومن ذلك أنه (دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة]، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: ((بلى. إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله ﷺ: يا عدي، ما تقول؟ أيفرّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ ما يفرك؟ أيفرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله غير الله))؟ ثم دعاه للإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق).[1]

وكان إسلام عدي بن حاتم دافعاً له للتعلم من الرسول ﷺ وسؤاله عن ما أشكل عليه. ومن ذلك ما ثبت في الصحيح (عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة فيمسكن عليّ، وأذكر اسم الله عليه، فقال: ((إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فَكُلْ، قلت: وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك سميت على كلبك ولم تسم على غيره، قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب فقال: إذا رميت بالمعراض فخزق فكُلْهُ، وإن أصابه

(١) ابن كثير، تفسيره، ج١/ ٨٧٤.

بعرضه فإنه وقيذ[1] فلا تأكله، وفي لفظ لهما إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركته حياً فأذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته، وفي رواية لهما فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه)). [2] كما أنه ناقش في الصيام وطلوع الفجر. [3]

ولقد أحب عدي بن حاتم الدين وشعائره، حتى ورد عنه أنه رضي الله عنه قال: ما دخل وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها. [4]

وقد ثبت أن عدي بن حاتم كان ثابتاً على الإسلام متعاوناً مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته زمن الردة، حيث ساهم في جمع صدقات قومه والدفاع عن المسلمين ضد المرتدين. فقد أورد البخاري في صحيحه باباً سماه (قصة وفد طيء) وحديث عدي بن حاتم أورد فيه حديثاً عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر ابن الخطاب وفداً فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويسميهم، فقلت:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد المعراض، ج٦/٢١٨.

والوقيذ: هو ما مات من الضرب ولم يجرح ويخرج منه دم وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة].

(٢) ابن كثير، تفسير، ج١/ ٥٨٢، في تفسير سورة المائدة، وقد خرج الحديث.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٤٦٨.

(٤) المصدر السابق.

أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال بلى، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذاً. [١]

وقد كان من أول من قدم بالصدقة على أبي بكر الصديق في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان له دور في قمع أناس من قومه ومنعهم من الردة. [٢]

كما شارك ﵁ في الفتوح زمن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وشهد فتح العراق وفارس ومنها المدائن عاصمة الفرس، ورأى بنفسه كنوز كسرى بيد المسلمين، كما وعد الرسول ﷺ بذلك، وقد أقام في الكوفة وكان مع علي ﵁. [٣]

وفد نصارى نجران [٤]

نجران منطقة واسعة في جنوب الجزيرة العربية، [٥] تقطنها قبائل متعددة وبها حواضر مختلفة، وقد انتشرت فيها النصرانية وقويت قبل الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج٥/ ١٢٣.
(٢) ابن حجر، فتح الباري ج٢/ ٣٢٨.
(٣) ابن حجر، فتح الباري ج٢/ ٣٢٩.
(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج٥/ ١٢٠.
(٥) الحموي، معجم البلدان ج٥/ ٢٦٦.

كانت ترتبط بعلاقات قوية مع نصارى العرب في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وكذلك الحبشة،[١] ويقع بينهم تبادل ثقافي ديني، حيث ينتقل علماء النصرانية العرب، منها وإليها، ولذلك عُدت معقلاً قوياً للنصارى في عهد النبي ﷺ.[٢] وقد عرفوا دعوة الرسول ﷺ قبل هجرته إلى مكة،[٣] كما ثبت بطرق مختلفة سماع الرسول ﷺ لقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران في زمانه وهو يخطب في سوق عكاظ.[٤]

وقد عُدت نجران المركز الرئيس للنصرانية جنوب بلاد العرب، ولها تنظيمها وإدارتها ومناصبها وعليها (العاقب)، وهو كما يقول أهل السير: أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه و(السيد)، وهو ثمالهم (القائم عليهم) وصاحب رحلهم ومجتمعهم (مسؤول مالي واجتماعي) و(الأسقف)، وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم والسيد وإليهما إدارة الجماعة، والإشراف على شؤونهم السياسية والمالية، ويدير ما يحتاج المجامع إليه من بقية الشؤون.[٥]

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ٦١٤.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ٦١٦.

(٣) انظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوّة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ص ١٩.

(٤) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ٦١٦.

(٥) منقولاً عن: جواد علي، المفصل، ج٦/ ٦١٧.

ولم تكن الرئاسة في نصارى نجران منصباً قبلياً، بل تتبع مراجع دينية بعيداً عن العصبية القبلية، حيث شارك فيها أقوام من قبائل شتى.[1]

كتب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران كتاباً جاء فيه ((بِاسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران سلم أنتم، فإنِّي أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد، فإنِّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحربٍ والسلام)). .

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فظع به، وذعره ذعراً شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ـ وكان من همدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نـزلت معضلة قبله، لا الأيهم ولا السيِّد ولا العاقب ـ فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل، فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي، وجهدتُ لك، فقال له الأسقف: تنحَّ فاجلس. فتنحَّى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل

---

(١) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦ / ٦١٨.

نجران، يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمْير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: فاجلس، فتنحى فجلس ناحية. وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: جبار بن فيض، من بني الحارث بن كعب، أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعًا، أمر الأسقف بالناقوس فضُرب به، ورُفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ـ وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأيُ أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني) .[1]

ونتيجة تباحث علمائهم وتبادل الرأي قدم منهم (ستون راكباً: منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم (العاقب) أمير القوم

---

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٣٧٠، ٣٧١.

وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح (والسيد) ثِمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر ابن وائل (أسقفهم) وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم.

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه، من علمه واجتهاده في دينهم.

وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللاً لهم يجرونها، من الحِبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد علينا سلامنا وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما أنعود؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن (رضي الله عنهما): أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم

ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك فوضعوا حللهم وخواتيمهم ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد سلامهم.[1]

وحينما قابلوا الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ لأسقف نجران: ((يا أبا الحارث أسلم، فقال: إني مسلم، قال: يا أبا الحارث أسلم، قال: قد أسلمت قبلك، قال نبي الله: كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: دعاؤك لله ولداً، وأكلك لحم الخنزير، وشربك الخمر)).[2]

وقد دارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مناقشات طويلة، حيث قال رئيسهم لرسول الله ﷺ تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، ثم قال أحدهم من أبو عيسى؟ من أبو عيسى؟ فسكت النبي وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٢٩ ـ ٦٣٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٥٩؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/ ٥٨٣.

وحينما نزلت آيات الملاعنة على رسول الله ﷺ دعاهم إلى الملاعنة، وواعدهم من الغد، فتشاوروا في ما بينهم وكانوا من علماء النصارى فقال بعضهم فوالله إن كان نبياً فلاعنّاه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا،[1] وقال: ((لأن كان الرجل نبياً فلاعنّاه لا يبقى على وجه الأرض منّا شعر ولا ظفر إلا هلك)).[2]

ثم إن بعضهم عندما رأوا إنصاف رسول الله ﷺ وحسن حديثه وصدقه أجمعوا على أن ينزلوا تحت حكمه وبما يأمر ولا يلاعنوه، حيث قال زعيمهم شرحبيل: (إني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً).[3]

فلما أقبل رسول الله ﷺ من الغد كان معه فاطمة والحسن والحسين وعلي رضي الله عنهم أجمعين، فدعاهم النبي ﷺ فخافوا ولجأ بعضهم في نواحي المسجد لما يعلمون من إجابة دعوته خوفاً أن يدعو عليهم، ثم أقبل زعيمهم شرحبيل على رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك، قال ﷺ: وما هو؟ فقال: حكمك إلى الليل وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا فهو جائز، فقال ﷺ لعل وراءك أحد يُثْرِبُ عليك ـ أي يلومُك ـ، فقال: سل صاحبي، فسأله ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل، فرجع ﷺ ولم يلاعنهم، فأتوه في الغد وصالحهم وكتب لهم كتاباً

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٥٨٤.
(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/ ٣٧١.
(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٤٣.

جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران، إذ كان حكمه عليهم، أن في كل بيضاء وسوداء وصفراء وتمرة ورقيق، وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، على ألفي حلة في كل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة مع كل حلة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب، وعلى نجران مثواة رسلي ومتعتهم بها عشرين فدونه، ولا يحبس رسول فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ومعذرة، وما هلك مما أعاروا رسولي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسولي حتى يؤديه إليهم، ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وتبعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يُغير حق من حقوقهم، ولا ملتهم ولا يُغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وافه عن وفهيته، [1] وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم ريبة ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى

---

(١) الوفهية: هي البيعة، والوافه: هو القيم على البيعة، انظر: هامش (٢) عند عمر بن شبّة في تاريخ المدينة، ج٢/ ٥٨٥.

ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم)).[1]

وفي هذه الحادثة نزلت الآيات من سورة آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٢ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران]. وفي أول الآيات وآخرها مناقشة عامة النصارى في كل زمان ومكان ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران]، وكثير من النصارى في هذا الزمان يعلمون حقيقة رسالة محمد ونبوءته كما علمها نصارى نجران في حينه، لكنه عصيان لله ولمن أرسله الله.

وحين اتفق الرسول ﷺ مع نصارى نجران طلبوا منه أنْ:

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦؛ وانظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٧٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج١/ ٣٥٨.

(ابعث معنا رجلاً أميناً؟ فقال ﷺ: ((لأبعثن معكم رجلاً حق أمين، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم)).[1]

وحينما عاد الوفد إلى نجران دافعوا عن أنفسهم أمام قومهم وأنهم كتبوا العهد ودفعوا الجزية خشية دعائه عليهم، واظهروا معرفتهم بنبوته. ومع ذلك لم يسلموا، فبادر اثنان منهم إلى اللحاق فوراً برسول الله ﷺ في المدينة، وقد أسلم أحدهما ويسمى بشر، ولحق برسول الله ﷺ حتى استشهد بعد ذلك.[2]

وقد بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة إلى نجران، فكان قدوة حسنة داعية مباركاً، وعاملاً إدارياً مالياً قام بمهمته خير قيام.[3] وقد كانت تجري بينه وبين علماء النصارى في نجران مناقشات علمية حول ما نزل في القرآن، وكذلك بينهم وبين بقية الصحابة الآخرين الذين كان يبعثهم رسول الله ﷺ إلى نجران، ومن ذلك ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا لي: إنكم تقرؤون ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ۝٢٨﴾ [مريم]. وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم أدر ما أجيبهم به، حتى رجعت إلى النبي ﷺ

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٨؛ وانظر صحيح البخاري، باب قصة أهل نجران، ج٥/ ١٢١.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ٦٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/ ٥٥.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩.

فسألته فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم)). [1]

وقد بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إليهم في السنة العاشرة للهجرة بقبض جزيتهم وصدقات مسلمي نجران، فقدم على النبي ﷺ في الحج (حجة الوداع). [2]

وقد مرت بقية حياة النبي ﷺ مع نصارى نجران بسلام، وكان العهد قائماً بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وبعد وفاته ﷺ ظهرت الردة في نواحٍ كثيرة، ومنها منطقة نجران في بعض من أسلم منهم، ولا يستبعد أن هناك من شارك حركة الردة في العصيان العسكري من غير المسلمين من أهل المنطقة، سواء من النصارى أم غيرهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

لكن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مضت ولم يحدث بين نصارى نجران وبين المسلمين خلاف يذكر.

وحينما جاء عهد عمر رضي الله عنه وفتحت الأمصار انتقل كثير من القبائل من بلاد العرب إلى البلاد المفتوحة، وخصوصاً المشاركة في الفتوح. وكان نصارى نجران مستقلين عن الدولة

(١) ابن أبي شيبة، المغازي ص ٤٠٩؛ والحديث أخرجه مسلم من طريق ابن أبي شيبة؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/ ١١٨٥.

(٢) ابـن القيـم، زاد المعـاد، ج٣/ ٦٣٧؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٠؛ وانظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

الإسلامية، لا مشاركة لهم في الفتوح بحكم بقائهم على دينهم، فتاقت أنفسهم لأخذ أراضٍ جديدة، وما كان يحق لهم ذلك لعدم إسلامهم ومشاركتهم. وفي الوقت نفسه كانت أعدادهم في نجران تزيد وخطورتهم على المسلمين محتملة.

وأورد بن أبي شيبة بسنده قال: (كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً، قال: وكان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين فتحاسدوا بينهم، قال: فأتوا عمر، فقالوا: إنا قد تحاسدنا بيننا فأُجْلِنا، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كتب لهم كتاباً أن لا يجُلوا، قال: فاغتنمها عمر فأجلاهم، فندموا، فأتوه فقالوا أَقِلْنا، فأبى أن يقيلهم، فلما قدم علي أتوه فقالوا: إنا نسألك بخط يمينك وشفاعتك عند نبيك ألاّ أقلتنا، فأبى وقال: ويحكم، إن عمر كان رشيد الأمر، قال سالم: فكانوا يرون أن علياً لو كان طاعناً على عمر في شيء من أمره طاعناً عليه في أهل نجران)،[١] كما يتضح من النصوص أن عمر اشترى بياض أرضهم وكرومهم.[٢]

وقيل إن سبب قدومهم على عمر رضي الله عنه أنهم أكلوا الربا، وقد شُرط عليهم عدم التعامل به في عهدهم مع الرسول ﷺ فخشوا من انتقام عمر وبادروا بطلب الرحيل إلى العراق والشام. ومن

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي ص ٤٠٨.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٧.

الواضح من مختلف الروايات أنهم هم الذين استبدلوا عهدهم من النبي ﷺ في نجران بمناطق جديدة من الفتوح عوضوا بها عن مناطقهم في نجران بناءً على طلبهم، كما دُفِعت إليهم أموال مقابل مزارعهم وكرومهم، ولكنهم ندموا على ذلك وحاولوا الاستعفاء من الأمر فرفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد أن مضى الاتفاق معهم على ذلك، وبالتالي رحلوا إلى العراق مع كتاب من عمر إلى الأمراء لتسهيل أمورهم وإعطائهم من الأرض، جاء فيه (هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران من سار منهم أنه آمِنٌ بأمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين، وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وأبو بكر، أما بعد: فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم بمكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم، أما بعد: فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن تقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم، شهد عثمان بن عفان ومعيقب بن أبي فاطمة، فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة). [1]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١/٣٥٨.

هدم الأصنام

كانت الأصنام تنتشر في بلاد العرب في كل مكان، وفي مكة وضعت داخل المسجد بجوار الكعبة، وقد ورد ذكر لبعضها بأسمائها في القرآن الكريم،كاللات والعزى ومناة. وكانت قبائل العرب تفتخر بها وتعبدها من دون الله تعالى. وقد وردت العديد من الآيات القرآنية في التحذير منها وبيان حرب الأنبياء لها عبر العصور: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)﴾ [إبراهيم]. وكان هم رسول الله ﷺ انتزاع ما في قلوب الناس من اعتقاد وشِرْك، وتحطيم تلك الأصنام وتدميرها تماماً ومحوها مادياً من الوجود، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولذلك بادر ﷺ بنفسه بتحطيم الأصنام المحيطة بالكعبة وفي الحرم على مرأى ومسمع من الناس يوم الفتح من ساعته، وكان ﷺ يردد: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾ [الإسراء].[1] واستهدف ﷺ تحطيم

---

(١) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

الأصنام في أي مكان تصل إليه يده ﷺ، فبعث السرايا من عنده في كل اتجاه للقيام بهذه المهمة منذ فتح مكة، وهابته العرب وسيطر على مناطقها، حيث حرص على إزالة الأصنام وتحطيمها في الواقع وفي نفوس أصحابها عُبَّاد الأوثان، ومن تلك السرايا المتخصصة بتحطيم الأصنام:

سرية خالد بن الوليد لهدم العُزى(١)

كانت العزى صنماً في نخلة شرق مكة بينها وبين الطائف في منطقة هذيل.(٢) وكانت تعبد من دون الله وهي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]. وكان العرب يدعونها ويرفعون ذكرها من دون الله،(٣) ولذلك نجد أبا سفيان يرفعها شعاراً في أُحُد حينما قال: (لنا العزى ولا عزى لكم)، فأمر الرسول ﷺ بالرد عليه ((**الله مولانا ولا مولى لكم**)).(٤) وقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرية لهدم العزى بعد فتح مكة فذهب إليها فهدمها في قصة طويلة.(٥)

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٣٦؛ عنوان مسيرة خالد بن الوليد لهدم العزى.

(٢) انظر: ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٦؛ وجواد علي، المفصل، ج٧٧/ ٢٣٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب أفرأيتم اللات والعزى، ج٦/ ٥١؛ ابن كثير، تفسيره، ج٢/ ١٧٨٠.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٨؛ وانظر: غزوة أحد من هذا الكتاب.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ١٤٥.

سريه عمرو بن العاص لهدم سُواع[1]

سُواع صنم عند هذيل شرقي مكة، وقد ورد ذكره في القرآن في قوله تعالي: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]. وقد بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بعد فتح مكة في سريه خاصة ليهدمه، وقد زعم سادِنُهُ أنه يدافع عن نفسه، وأن عمراً لا يستطيع هدمه، لكنه حينما رأى السادن أنه يُهدم حجراً حجراً ولا ينفع نفسه ولا يضرّ غيره، أسلم بعد ذلك وهُدم هذا الصنم إلى الأبد.[2]

سريه سعد بن زيد الأشهلي لهدم مَناةْ

كانت مَنَاة صنماً في نواحي[3] المشلل عند قديد[4] بين مكة والمدينة، وتعبده العرب عموماً ومشركو الأوس والخزرج خصوصاً، وتتقـــرب إليه وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري في جيش من المسلمين لهدمها بعد فتح مكة، فتمكن من تحطيم الصنم

---

(١) هو: صنم قديم ببطن نخلة شرقي مكة. جواد علي، المفصل، ج٦/ ٢٥٧.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج١/ ١٩٢٣.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج٢/ ١٧٨١.
(٤) جواد علي، المفصل، ج٦/ ٢٤٦؛ وانظر: الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام من هذا الكتاب.

والقضاء عليه دونما مقاومة من سدنته الذين يزعمون أنها تدافع عن نفسها. وهكذا حُطم الصنم في الواقع وفي النفوس.[١]

سرية علي بن أبي طالب لهدم الفُلس في طيء[٢]

كانت سريه علي في السنة التاسعة للهجرة في ربيع الآخر، فأغار على طيء وحطم صنمهم وغنم خزينته، وأسر بعض القوم وكان في الأسرى سفانة بنت حاتم طيء وكانت سبباً في قدوم أخيها عدي وإسلامه.[٣] كما مرَّ ذكره والتفصيل فيه.[٤]

سرية الطفيل بن عمرو لهدم صنم ذو الكفين في دوس

بعد غزوة حنين مباشرة، وجه الرسول ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي لهدم صنم يسمى ذا الكفين في قبائل عمرو بن حمحمة، فتوجه إليه وهدمه وحرقه، ثم عاد وقابل الرسول ﷺ أثناء حصار الطائف.[٥]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/١٤٦؛ والهيثمي، شرح المواهب اللدانية، ج٢/٣٤٨.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٥١٧.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/١٤٨؛ البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، حديث رقم: ٤٣٤٠؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج٢/ ١٦٤.

(٤) انظر: وفود نصارى العرب من هذا الكتاب (وفادة عدي بن حاتم).

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/١٥٧؛ والواقدي، المغازي، ج٣/ ٩٢٢؛ محمد الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٦٦.

سرية جرير بن عبد الله البَجَلي إلى ذي الخلصة[١]

كان في نواحي بجيلة في اليمن في قبيلة خثعم يقال له ذي الخلصة،[٢] وكان مقصداً للقبائل في تلك الناحية حتى أن بعضهم سمّى نصباً له بالكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله: ((ألا تريحني من ذي الخلصة))، فقال جرير: بلى يا رسول الله، وكان ﷺ لا يثبت على الخيل، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا له وضرب على صدره قائلاً: ((اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً))، فما وقع عن فرسه بعد ذلك. وقد توجه جرير ومعه خمسون فارساً من أحمس إلى ذي الخلصة فهدمه، وأرسل بشارة ذلك لرسول الله ﷺ. وقد روى البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: (قال لي رسول الله ﷺ: ألا تريحني من ذي الخلصة. فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً. قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم

(١) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باباً سماه، باب غزوة ذي الخلصة، ج٥/ ١١١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ١٩٠.

وبجيلة، فيه نصب تعبُّد يقال له «الكعبة»، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك، قال فكسرها، وشهد، ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أبا أرطأة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: «فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات».[1]

(١) البخاري، صحيحه حديث رقم: ٤٣٥٧.

حجة الوداع[1]

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. وقد سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم، وتحدث عنه وعن شعائره العديد من الآيات القرآنية التي وصل عددها إلى اثنتي عشرة آية.

ومن المؤكد أن الرسول ﷺ كان يحج قبل هجرته موحداً على نُسك إبراهيم عليه السلام، وأنه كان ينزل مخالفاً لقريش موافقاً لسنة إبراهيم، مع أن الحج لم يفرض إلا بعد نزول قوله تعالى

(١) انظر: صحيح البخاري، باب حجة الوداع.

أُلِّف العديد من الكتب حول حجة الوداع منها: حجة الوداع دراسة جامعة للأحاديث والآثار، دراسة لابن كثير حققها خالد أبو صالح.

ومن أكثر الأحاديث تفصيلاً عن حجة رسول الله ﷺ رواية جابر بن عبدالله عند مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٤/٣٨.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]. (١)

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة لم يثبت أنه حج غير حجة الوداع التي كانت في السنة العاشرة، (٢) مع أن الصديق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة للهجرة. (٣)

وكان الرسول ﷺ حريصاً على أن لا يَرى أي مظهر للشرك في مكة، وهذا هو الدافع لتأجيل حجه إلى السنة العاشرة، وتبليغ الناس أنه ليس للمشركين أن يقربوا المسجد الحرام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة].

وحجة الوداع هي التطبيق العملي للحج ومناسكه من قبل النبي ﷺ وبأمره، حيث قال: ((ويقول «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)). (٤)

---

(١) انظر: ابن القيم زاد المعاد، ج٣/ ٥٩٥ وانظر: رواية البخاري في صحيحه،كتاب المغازي، باب حجة الوداع ج٥/ ١٢٦، ابن كثير، السيرة النبوية ج ٤/ ٢٦٣.

(٢) كما وضعت فصول خاصة عند المحدثين فيها، ابن حجر، فتح الباري، ١٦/ ٢٩٩، من رواية البخاري ج٥/ ١٢٣.

(٣) انظر حج أبي بكر بالناس، من هذا الكتاب.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً. وبيان قوله ﷺ «لتأخذوا عني مناسككم»، ج٤/ ٧٩.

ولأهمية الأمر وضع البخاري في صحيحه باباً سماه (باب حجة الوداع).[1]

فقبل شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة أعلن الرسول ﷺ أنه سيحج، (فقدم المدينة بشرٌ كثير كل منهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ).[2]

كان خروج الرسول ﷺ للحج من المدينة المنورة في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة، وقد بقي في الطريق ثمانية أيام، كان الناس يتعلمون خلالها من رسول الله ﷺ تزيد أعدادهم تدرُّجاً، حيث وافاه خلق كثير وقبائل شتى من أنحاء العرب كافة،[3] بالإضافة لمن كان معه من أهله وزوجاته ومن أهل المدينة.[4]

كان النبي ﷺ يلبي ويردد الناسُ تلبيته، ويتلقون عنه في إعلان واضح بإخلاص العبادة لله، وتوحيده سبحانه وتعالى: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).[5] هذه التلبية التي تناقلتها الأمة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع ج٥/ ١٢٣، ابن هشام، السيرة النبوية عنوان: (حجة الوداع) ج٤/ ٦٠١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ج١٦/ ٢٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير، حجة الوداع ص ١٤٥ من رواية الإمام أحمد.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب حجة الوداع ج٥/ ١٢٥.

(٥) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٣٥ من رواية مسلم، ورواية البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية ج٢/ ١٤٧.

ولا تزال ترددها إلى اليوم هي إعلان واضح وقوي بالبراءة من الشرك وأهله وإرجاع الملك والنعمة لله وحده لا شريك له.

وقد بات النبي ﷺ في اليوم الرابع من ذي الحجة قرب مكة، ودخلها ضحى اليوم الخامس، ودخل البيت الحرام وهو يردد ((اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام حَيِّنا ربَّنا بالسلام))،(١) ولما رأى البيت قال ﷺ: ((اللهم زد بيتك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة)).(٢)

وتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة وطاف بها وهو راكب ناقته ينظر إليه الناس من كل اتجاه، فيقتدون به ويسألونه جاؤا من كل مكان يحيطون به وينظرون لما يصنع ويسمعون لما يدعو.(٣)

وقد استلم الرسول ﷺ الحجر بمحجن في يده، ورمل في الثلاثة أشواط الأولى،(٤) وعند فراغه قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]. وصلى ركعتين عند المقام، حيث جعله بينه وبين الكعبة قرأ في الركعة الأولى قل يا أيها الكافرون، وفي الركعة الثانية قل هو الله أحد، ثم استلم الركن وتوجه إلى الصفا

(١) انظر: تخريجه عند ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٦.
(٢) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٥.
(٣) ابن كثير، حجة الوداع ص ١٤٦.
(٤) ابن كثير، حجة الوداع ص ١٦٨.

وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة]. حتى إذا صعد على الصفا استقبل الكعبة وكبر وقال: ((لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده))، ثم توجه إلى المروة وأكمل سعيه، كان ﷺ يَذكُر ويُذكّر بنصر الله له وهزيمة أحزاب المشركين الذين آذوه في مكة، وظهور التوحيد، وأن الله سبحانه وتعالى صدق وعده سينصر المسلمين ويحقق لهم ما وعد.

وقد بقى رسول الله ﷺ في مكة أربعة أيام كان يقيم فيها بالأبطح. وخلال هذه الفترة قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن، وكان ﷺ قد بعثه إليها، ووافى زوجته الحبيبة فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها.[١]

وفي ضحى يوم التروية الخميس الثامن من ذي الحجة خرج النبي ﷺ مع الحجيج إلى منى، حتى إذا جاء منى صلى بالناس الظهر والعصر جمعاً وقصراً وكذلك المغرب والعشاء، وكان

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٥٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٣٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٠٢.

بلال رضي الله عنه يؤذن لرسول الله ﷺ[1] والناس يتبركون بفضل وضوء النبي ﷺ وفي صبيحة يوم عرفة صلى النبي ﷺ الفجر في الناس بمنى، وبعد شروق الشمس توجه إلى عرفات، وقد أمر أن تضرب له قبة في نمرة، وخالف قريش، واستشعر أمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)﴾ [البقرة].

ونزل ﷺ في القبة التي ضربت له في نمرة، وكان يوم عرفة يوافق السادس من مارس (آذار) سنة ٦٣٢م[2] وهو الشهر الثالث أواخر الشتاء وبداية الربيع، حيث عرفت مكة بشدة الحر حتى في الشتاء فكيف بالربيع.

ولذلك كانت القُبة للظل، ولمعرفة مكان النبي ﷺ لمن يقصده وتحديد مكان وقوفه بعرفه، وبقي ﷺ بالقبة يذكر الله تعالى، ويطبق ما قاله ﷺ: ((أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له))، وفي رواية (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير).[3]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ،علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ج٥/ ١١٠، وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٣٥.

(٢) انظر: عبدالسلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي ص٢٨.

(٣) مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج، ص٣٥٠.

وقد روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

وقد ورد أنه كان من دعائه في يوم عرفة ((اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عَبْرته، وذلّ لك جسده، ورَغِمَ لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك ربّ شقياً، وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين، ويا خير المُعطين)).[١] وثبت أنه دعا وهو على ناقته ﷺ.[٢]

واستمر الرسول ﷺ يدعو في قبته، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء، فركبها فأتى بطن الوادي فأمر أن يُنصت الناس،[٣] له ليسمعوا خطبته ويعوها فتوزع رجال ليصرخوا بما يقول ﷺ في الناس،[٤] وقد وردت روايات متفرقة عن أجزاء مما قال ﷺ في خطبته، وصعب على بعض الرواة استحضارها

---

(١) ابن كثير، حجة الوداع، ص ٢٤١؛ وتفسيره، ج١/٣٥٨.
(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٣٩٩، و٤٤٠٠.
(٣) البخاري، صحيحه، حديث رقم ٤٤٠٤.
(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/١٦٩.

جميعاً نصياً، لكنهم فهموا معانيها، وأوردوا تلك الأجزاء من الخطبة في روايات متفرقة ومناسبات متعددة وكان مما قال ﷺ فيها:[1] ((أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لَعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلَّغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإنَّ كلَّ رِبَا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون. قضى الله أنه لا رِبَا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يُحِلّونه عاماً ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر

---

(١) انظر: كتاب أُلِّف عن الخطبة بعنوان (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة، دار القلم، دمشق ١٤٢٢هـ.

شهراً، منها أربعةٌ حُرُم ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرِّح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلّغتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلِمُنّ أنفسكم اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أشهد)).[١]

وكان مما قال ﷺ: ((إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية الوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٠٥؛ وانظر: أجزاء منها عند البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٠٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٤٢.

عدلاً))،[1] ومما قال ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).[2]

وقد وردت الخطبة بألفاظ أخرى مع اتفاقها في معنى ما أورده ابن هشام ولعل بعضها يوم العيد أو غيرها ومن ذلك ما ورد عند البخاري في صحيحه من حديث أبي بكر عن النبي ﷺ قال: ((الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: ألا أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى ثم قال أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم وأموالكم قال: وأحسبه قال: وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه فكان

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٠٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٠٣.

محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ثم قال: ألا هل بلغت؟ مرتين)).[1]

ومن الواضح أن هذه الخطبة، أو الخطب، تعد دستوراً للإنسانية جمعاء عبر العصور البشرية وأجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أهم الخطب التي نطق بها خاتم أنبياء الله ورسله ﷺ، بأمر الخالق موجهة إلى الخلق، فيها توحيد الله، وحفظ حقوقهم البدنية والروحية والمادية، وتحديد حقوق المرأة وكرامتها، وتحريم الاعتداء على حقوق الآخرين، والحرص على أداء الأمانة لأهلها، وبَدْء نظام عالمي جديد يعتمد اقتصادياً على منع الربا، وأمنياً على نسيان الماضي وما فيه من الدماء، والحرص على حقنها حاضراً ومستقبلاً، وأخلاقياً على التحذير من الشيطان وعمله للإفساد بين الناس وإشاعة الإرهاب وسفك الدماء.

والتأكيد على المساواة بين الناس وأنهم أخوة وأصلهم واحد، وتذكيرهم بالمرجع الشرعي، وهو القرآن والسنة، والرسول ﷺ يؤكد هنا على النظام والشريعة ومرجعيتها، وبناء المجتمعات البشرية على ما نظمه لها خالقها، لكي تصل إلى السلام في ما بينها، وإلى رضا الخالق تبارك وتعالى، وإلى التفاهم والحياة المدنية السليمة، والحضارة الإنسانية القائمة على الأسس الصحيحة والمساواة بين الناس.

---

(١) البخاري، صحيحه حديث رقم: ٤٤٠٦.

كما اتضح حرص الرسول ﷺ أن يشهد الناس بأنه أدى أمانة الرسالة ﷺ وقام بواجبها، ولذلك لما سمع منهم تلك الشهادة رفع أصبعه إلى السماء وقال اللهم فاشهد، كان ﷺ يستشعر ما يعبر عنه الناس فيرفع بصره طالباً رِضَىٰ الله سبحانه وتعالى وهو المطّلع عليه وعلى الناس.

وأكّد ﷺ أن عَرَفَة كلها موقف، كما أكّد في مزدلفة على أنها كلها موقف، وأكّد حينما نحر في مِنى أن كل منى منحر.[1]

وبعد خطبته ﷺ بعرفة[2] نزل عليه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة]، فلما سمع عمرالآية بكى. فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة أما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت، فكانت هذه الآية تنعي رسول الله ﷺ.[3]

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج١/ ٧٢؛ وانظر: الطبري، تاريخه، ج٤/ ١٧٠.

(٢) البخاري، في صحيحه حديث رقم: ٤٤٠٧.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/ ٣٢٥؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، ج٥/ ١٢٧ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/ ٥٧٩.

ويأتي نزول الآيات تأكيداً لسماع الله لشهادة الناس بأن رسوله قد بلغ وأدى الأمانة ونصح الأمة، لتؤكد الآيات كمال الدين وتمام نعمة الله بأداء محمد ﷺ لمهمته وتأديته لرسالته، وتوديعه للناس وقرب رحيله وصدق قول الصحابة (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع).[١]

ومن المؤكد أنه كان للرسول ﷺ خطب أخرى متعددة في منى وفي مكة،[٢] سواء منها ما كان يوم النحر وصلاة العيد أم في غيرها، تناقلها العلماء والمحدثون، ونقلوا أجزاء منها.[٣] ومن ذلك ما رواه ابن عمر في البخاري أن الرسول ﷺ: (حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال: ما بعث الله نبيّاً إلا أنذر أمته، انذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شانه فليس يخفى عليكم إن ربكم ليس على ما يخفى عليكم، ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة).[٤]

---

(١) انظر: حديث ابن عمر عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/ ١٢٦.

(٢) انظر: إبراهيم: محمد إبراهيم محمد. الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ، ص١١٩ و١٢٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ج ١٦/ ٢٣٣.

(٤) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/ ١٢٦.

وبعد نهاية الخطبة يوم عرفة أذَّن بلال بن رباح ﷺ، ثم أقام فصلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ركعتين، ثم أقام بلال مرة أخرى، فصلى رسول الله ﷺ بالناس العصر ركعتين، ثم ركب ناقته، وجعل بطن ناقته إلى الصخرات أسفل جبل الرحمة واستقبل القبلة واخذ يدعو ﷺ.[1]

فلما غربت الشمس أردف معه أسامة بن زيد ثم أفاض من عرفات.[2] وكان يذكر قول الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩)﴾ [البقرة]، وكان الرسول ﷺ يأمر الناس ((أيها الناس السكينةَ السكينة)).[3]

وكان ﷺ يلبي، حتى إذا وصل إلى مزدلفة رفع بلال الأَذان ثم أقام فصلى المغرب، ثم صلى العشاء قصراً، ثم نام ﷺ فلما طلع الفجر صلاها في أول وقتها ثم أتى المِشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ يلحّ في الدعاء حتى أسفر، وهو مردف للفضل ابن عباس ﷺ.

وقد روي أن النبي ﷺ (عاود الدعاء لأمته في المزدلفة، فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لهم إلا ظلم

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/ ٣٢٤.

(٢) انظر: رواية البخاري، كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، ج٢/ ١٧٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة، ج٢/ ١٧٦.

بعضهم بعضاً، فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم، فلم يجبه هذه العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء، فأوحى الله إليه أنه غفر لهم كل شيء، فجعل إبليس يدعو على نفسه بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه).[١]

وأمر ابن عباس أن يلتقط له سبع حجرات صغيرة للرمي قاس الناس عليها حجارتهم إلى اليوم،[٢] حتى وصل منى، فرمى جمرة العقبة راكباً بعد طلوع الشمس يكبر مع كل رمية،[٣] ثم رجع إلى منى وخطب في الناس صبيحة يوم عيد الأضحى.

وكان مما جاء في خطبته ﷺ (وبلال يقود براحلته، وأسامة ابن زيد يظلله بمنى ما قرر فيها تحريم الزنا والأموال والأعراض، وذكر حرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد، فقال: ((يا أيها الناس أيّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا، قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا))، أعادها مراراً، ثم رفع رأسه وقال: ((اللهم هل بلغت، اللهم هل

---

(١) أبو شهبة، السيرة النبوية، ص ٥٧٦.

(٢) انظر التخريج عند: إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، ص ٥٤٦.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج٤/ ٣٧٣.

بلغت، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) وأمرهم بأخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك، وكان وقوفه بين الجمرات، والناس بين قائم وقاعد).[(١)]

ومما حُفظ من خطبته ﷺ: ((اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وأطيعوا إذا أُمرتم تدخلوا جنة ربكم)).[(٢)]

وكان مما حفظ عنه ﷺ من تلك الخطب أيضاً: ((لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس لآدم وآدم من تراب)).[(٣)]

وقد يظن البعض أن في ذلك خطأ من الرواة في تكرار المعاني لكن الذي يبدو، والله أعلم، أنه ﷺ تعمد التأكيد على بعض القضايا والمعاني في أكثر من خطبة في حجة الوداع، وليس خلطاً من الرواة، بل تكرار لما فيه المصلحة لبعض ما دار في خطبة الوادع في أكثر من موضع.[(٤)]

وبعد ذلك توجه ﷺ إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بَدَنَةً

---

(١) صالح العلي، صحيح السيرة النبوية ص ٣٢٧.
(٢) ابن كثير، السيرة النبوية ج٤/ ٣٩٢.
(٣) الصلابي، السيرة النبوية ج٢/ ٧٨٠.
(٤) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/ ٧٧٦.

(ناقة) بيده الشريفة، وهذا يوافق عدد سني عمره ﷺ، ثم أمسك وأمر علياً رضي الله عنه أن ينحر ما بقي من المائة، وهذا يدل على فضل النحر وحرص الرسول ﷺ على قيامه بذلك بنفسه، وكان يكفيه أقل من ذلك العدد، لكنه ﷺ يدرك عظيم أجر النحر، ولذلك زاد ﷺ في العدد ولم يُعد هذا من الإسراف، بل من الطاعة والقربات إلى الله. كما يدل الموقف على مكانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرسول ﷺ، حيث استكمل نحر ما أهدى رسول الله ﷺ، واختياره لهذا الأمر دون غيره، هو تكريم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لنيابته عن الرسول ﷺ في هذا الموضع بخاصة.

وقد أكل رسول الله ﷺ من لحوم هَدْيِه، حيث أخذ من كل بدنة بضعةً وجعل ذلك في قِدْر وطُبخ فأكل ﷺ من ذلك اللحم وشرب من مرقه، وقد أمر ﷺ بتفريق لحوم هَدْيه وجلودها على الناس، وأمر بأن لا يُعطى الجزار أجره من لحمها. (١)

ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه الشريف، حلقه معمر ابن عبدالله فبدأ بشقه الأيمن فحلقه، ثم شقه الأيسر، وذكر أنه أعطى نصف شعره لأبي طلحة الأنصاري، وهو زوج أم سليم، وأعطاه النصف الثاني وأمره أن يقسمه بين الناس.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يعطى الجزار من الهدي شيء، ج٢/ ١٧٦، وباب يتصدق بجلود الهدي، ج٢/ ١٨٦.

وكانوا يتباركون بشعره وعرقه وريحه ﷺ، وقد قسم بين الناس الشعرة والشعرتين والثلاث.[1]

وقد دعا الرسول ﷺ: ((اللهم اغفر للمحلقين، قالوا والمقصرين فأعاد رسول الله ﷺ وأعادوا ثلاثاً وقال في الرابعة والمقصرين)).[2]

وبعد حَلْقه طيّبته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بطيب حملته معها.[3] وكان الناس يسألونه، منهم من قدّم الحلق، ومنهم من قدّم النحر، فيقول ﷺ: افعل ولا حرج.[4]

وتوجه بعد ذلك إلى مكة وطاف طواف الإفاضة، ثم شرب من سقاية العباس رضي الله عنه، وتوجه إلى زمزم فشرب منها ﷺ وكان يحب أن ينزع مع بني عبد المطلب لكنه خشي أن يغلبهم الناس

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ج٤/ ٨٢، وأنظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقصير والإحلال ج٥/ ١٨٨؛ العلي، صحيح السيرة، ص٥٤٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/ ٣٢٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال ج٢/ ١٨٨.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٧٨؛ وانظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٤١٠ ورقم ٤٤١١؛ وشرحه عند ابن حجر في فتح الباري، ج١٦/ ٢٣٦.

(٤) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، ج٢/ ١٩؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٩٣، وانظر: العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٨.

على سقيا زمزم فقال ﷺ: ((انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)).[1]

ثم رجع ﷺ فبقي في منى ليالي التشريق يرمي جمرة العقبة والجمرات الأخرى الوسطى والصغرى، كل يوم بعد الزوال كل جمرة بسبع حصيات، يكبّر مع كل حصاة، وكان يأذن لأصحابه بزيارة البيت الحرام أيام التشريق.

كان ﷺ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، يُعلِّم الناس مناسكهم، ويجيب على أسئلتهم، ويحدثهم بما يُوحي لهم أنه مودعهم، وقد انتشر الناس نزولاً بمنى المهاجرون والأنصار، ومختلف القبائل وكان ﷺ يقول: ((منى مناخ من سبق)).[2] وكان يُرخص للرعاة والضعفاء والنساء أكثر من غيرهم. وقد ورد أنه خطب الناس ثاني أيام التشريق ويسمى يوم الرؤوس،[3] وذَكر في تلك الخطبة بعض ما ورد في خطبة عرفات وفي يوم النحر وزاد عليها، ومما قال ﷺ: ((ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا إنه لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه)).[4]

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٨١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٩٨.

(٣) سُمّي يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الهَدْي، (ابن كثير) السيرة النبوية، ج٣/ ٤٠٥.

(ولا يزال يسمى بهذا الاسم عند عوام الناس في نجد والحجاز).

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٠١.

وقد ورد أنه نزلت عليه سورة النصر في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر]، فعُرف أنه الوداع.[1]

وبعد فراغ أعمال الحج رحل ﷺ من منى ونزل بالأبطح في مكة، وهو مكان يطلق على خَيْفِ بني كنانة أو المخضب،[2] وكان من أنسب الأمكنة استعداداً لخروجه ﷺ من مكة.

وقد ورد أن أسامة بن زيد ﵁ سأل النبي ﷺ: أين تنزل غداً فقال: ((وهل ترك لنا عقيل منزلاً، ثم قال: نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ـ ويعني المخضب ـ حيث تقاسمت قريش على الكفر)).[3]

وفي صبيحة اليوم التالي صلى النبي ﷺ بالناس الفجر عند الكعبة وقرأ بسورة الطور كاملة، ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ووقف في الملتزم بين الحجر وباب الكعبة وأخذ يدعو ﷺ.[4]

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٠٣؛ وانظر: حديث البخاري، كتاب التفسير، سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»، ج٦/ ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤١٠؛ إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص٥٤٩.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج٤/ ٤٠٧، من رواية البخاري.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤١١.

وقد أمر ﷺ الناس بالطواف للوداع فقال: ((لا يَنفرنّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت)).[(١)]

وكان النبي ﷺ يراعي أحوال أصحابه وأمهات المؤمنين، فهذه عائشة (رضي الله عنها) رغبت بعمرة فما كان منه ﷺ إلا أن دعا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له: ((أخرج بأختك من الحرم فلتهلَّ بعمرة، ثم لتطف بالبيت فإني انتظركما، قالت فخرجنا فأهللت ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة فجئنا لرسول الله ﷺ في منزله وهو في جوف الليل فقال: هل فرغت؟ قلت نعم فأذن في أصحابه بالرحيل)).[(٢)]

وقد كان خروج الرسول ﷺ من أسفل مكة وتوجه إلى المدينة، وكانت هذه الحجة هي الأولى بعد الهجرة، والآخرة لرسول الله ﷺ، كما كانت هذه الزيارة هي الوداع لمكة، فلم يزرها ولم يرها رسول الله بعد ذلك حتى توفي ﷺ.[(٣)]

وفي مكة أثناء حجة الوداع كان ﷺ حريصاً على متابعة أصحابه وتفقد أحوالهم في الحج، فرغم انشغاله بعموم الحجيج

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ج٤/ ٩٣، والبخاري، صحيحه، باب طواف الوادع.

(٢) أخرجه البخاري، في باب الحج على الرحل وباب قوله تعالى (الحج أشهر معلومات)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، بيان وجوه الإحرام؛ وانظر العلي، صحيح السيرة ص ٥٣٤. وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤١٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٤/ ١٢٦.

فقد علم بمرض سعد بن أبي وقاص ﵁ وهو ذو صحبة قبل الهجرة وبعدها، وأحد المبشرين بالجنة، فعاده النبي ﷺ، ففي حديث سعد بن أبي وقاص في البخاري قال: (عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أَشفَيْتُ منه على الموت، فقلت يا رسول الله بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قال أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال الثلث، والثلث كثير، إنك أن تَذَرَ ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا آجرك الله بها، حتى اللقمة تجعلها في فِيِّ امرأتك، قلت: يا رسول الله أأخلف بعد أصحابي؟ قال إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم).[1]

وفي هذا الأمر لطف النبي ﷺ ورفقه ومحبته لأصحابه وتفقده لهم، كما أن فيه معجزة لرسول الله ﷺ، فقد بقى سعد ابن أبي وقاص ﵁ وعاش مدة بعد النبي ﷺ، وقاد جيوش المسلمين في القادسية وفي فتح المدائن، حيث دخل عاصمة الفرس مكبراً مهللاً رافعاً صوته بشهادة أن لا إله إلا الله وان

(١) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٤/ ١٢٧.

محمداً رسول الله وهكذا صدق فيه قول الرسول ﷺ: ((ولعلك تُخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون)).[1]

وقفات عند حجة الوداع

- هي الحجة الوحيدة التي شهدتها الأمة مع رسول الله ﷺ، وأخذت منه أحكام الحج وتشريعاته مباشرة.

- كثرت الروايات عنها من شهود عيان مرافقين للنبي ﷺ، فقد صحبته أمهات المؤمنين وظهرت حكمة تعددهن، ولكل واحدة منهن حالها، مع نساء أخريات مما أوجد فتاوى متعددة في الحج حسب حالاتهن وما حدث لهن.

- كان الناس شهوداً يأخذون الحج من رسول الله ﷺ مباشرة، كما قال: ((خذوا عني مناسككم))، كما أن روايات الخطب التي ألقاها ﷺ وعلى رأس ذلك خطبة عرفات، جاءت متعددة يكمل بعضها بعضاً، دونما تعارض بينها. وقد يكون التكرار مقصوداً لذاته بين خطبة وأخرى لاختلاف السامعين أحياناً ولتأكيد قضية في أذهان الناس، كما كان شهود العيان عن قبائل ومناطق شتى شهدوا النبي ﷺ وعرفوا وصاياه، وحملوها في كل أنحاء بلاد العرب وخارجها.

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٨.

ـ استشهد النبي ﷺ الناسَ وأمرهم أن يبلغوا ما سمعوا وسُرَّ ﷺ بشهادتهم أنه بلَّغ حيث كان على يقين أن الله سيسأله عن ذلك.

ـ حرص ﷺ في خطبه المتعددة على تأكيد توحيد الله تعالى، وأنه مرسل من عنده بما فيه الخير للبشرية، وأكَّد على أهمية حقوق العباد وصيانة دمائهم وأموالهم، وعدم اعتداء بعضهم على بعض، أو ظلم أحد لآخر، وكذلك على صيانة حقوق المرأة وعدم استضعافها، وقطع صلة الأمة بالجاهلية وأنظمتها الفاسدة في كل مجال، ومنها المجال الاقتصادي بتحريم الربا، وكذلك الزنا، وسائر الظلم، كما أكَّد في خطبته على المساواة بين الناس، وتحريم الاعتداء على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ـ أكَّد ﷺ أن هنالك نظاماً ومرجعاً يتحاكم الناس إليه، وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن الأمة لن تضل إن تمسكت بهما، ومن هذا فالصلاحية دائمة للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يُحمّل الأمة وأفرادها مسؤولية تَعلم القرآن والسنة وتعليمهما للناس جيلاً بعد جيل.

ـ وقد أكَّد ﷺ على الحضور ضرورة التبليغ ((فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ فرُب مُبلَّغ أوعى من سامع)).[١]

---

(١) انظر: نص الخطبة في هذا الكتاب.

وقد طَبق ﷺ هذا الأمر بنفسه، فاستغل كل مناسبة ليربي الناس ويعلمهم ويفتيهم ويرشدهم ﷺ.

- واظهر الله سبحانه تمام هذا الدين بنزول آية الإكمال ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣﴾ [المائدة].

- كما استبشرت الأمة بنزول سورة النصر، وحزن الصحابة، حيث فهموا منها قرب أجل رسول الله ﷺ. وكانت هذه الحجة وداعاً حقيقياً من الأمة لنبيها ﷺ ومن النبي ﷺ لأمته، حيث أشهد الله على شهادتهم له بأدائه الأمانة.

- كان الحج وعلى رأسه التلبية والدعاء في سائر شعائره توحيداً وتعظيماً لله وبُعداً عن الإشراك به وأداءً للنسك كما أمر الله ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١٩٦﴾ [البقرة].

- حرص الرسول ﷺ على الرفق والسكينة في الحج، وأمر الناس بذلك، ويسَّر أحوال الضعفاء من النساء والرعاة وغيرهم.
- ارتبط كثيرٌ من شعائر الحج بآيات قرآنية سواء منها سورة الحج التي سميت بهذا الاسم أو الآيات القرآنية الأخرى المرتبطة به ومن ذلك: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].
- مطلوب في الحج بُعْدُ الناس عن الرفث والفسوق ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة]. وتأتي الآية التي تؤكد فريضة الحج للمستطيع ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، لتؤكد مبدأ التيسير وهو أن الحج للمستطيع وليس واجباً على من لا يقدر عليه.
- تميزت أيام الحج بتسميات خاصة لها معان، من ذلك يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

- أن مما تعلمته الأمة من نبيها ﷺ السماع له في محبة أهل البيت عموماً وتقديمهم وتفضيلهم، وبخاصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فنقل عنه أهل السنة تلك المحبة والتقدير لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولأبنائه ولسائر أهل البيت. والذي علمنا هذه المحبة ﷺ هو الذي علمنا التوحيد وليس شرطاً لمحبة علي وآل البيت أن يغالى فيهم فيخرجوا من بشريتهم ويشرك بهم من دون الله حتى يصل البعض إلى تأليههم وعبادتهم ودعائهم من دون الله. وهم بحاجة لمن يدعو لهم لا من يدعوهم بعد موتهم، فحاشا لله أن يرضى رسول الله ﷺ أو أهل بيته الطيبين الطاهرين بذلك.

وهذا الغلو ليس محبة بل هو شِرْكٌ أكبر يرضي الشيطان ويبعد عن آل البيت وما يرضيهم، أكثر من أن يقرب إليهم. وهذا لا يجوز مع النبي ﷺ نفسه ولا مع أحد من أهل بيته، وما غضب الله على النصارى إلا لغلوهم في عيسى عليه السلام، فاللهم أحشرنا مع الموحدين ومع آل البيت الطيبين.

- كما تأتي وصيته ﷺ بآل بيته تمهيداً للقاء ربه ﷺ، ولم يبق رسول الله ﷺ بعد هذه الحجة إلا قرابة ثلاثة أشهر. وصدق قوله ﷺ للناس: ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)). (١)

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم: ٣٦٥٤.

حديث غدير خُم

وقعت الحادثة أثناء عودة رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة، فكل المسلمين يعرف أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، من أحب الناس وأقربهم إليه وله منزلة خاصة فهو زوج فاطمة ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الشباب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

بعثه النبي ﷺ في مهمة إلى اليمن فكان محسناً أميناً صادقاً، ولعل بعض من كان معه نقموا عليه لأنه لم يفضلهم على غيرهم، كان أميناً حقاً عادلاً ومنصفاً. ومن المعروف أن علياً رضي الله عنه وصل إلى مكة أثناء وجود الرسول ﷺ في حجة الوادع وقبل يوم عرفة، وقد انشغل الرسول ﷺ ومن معه في الحج.

وفي طريق العودة إلى المدينة، وفي موضع ماء يسمى غدير خُم أو قبله، تكلم بعض من صحب عليّاً في سفره إلى اليمن في عليٍّ أمام النبي ﷺ، فدافع عنه ﷺ، ففي حديث زيد بن أرقم قال: (قام فينا رسول الله ﷺ، خطيباً بماء يدعى خُماً، بين مكة والمدينة. فقال: ((أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به))، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم

الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)).[1]

وقد ورد في ألفاظ أخرى أنه ﷺ قال وقد أخذ بيد علي: ((من كنت وليّه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)).[2]

ولاشك أن علياً أُوذي من بعض رجال الجيش الذين صحبوه إلى نجران، كما أوذي النبي ﷺ من بعض المشاركين في جيش حنين، والأمة كلها تجمع على موالاة علي رضي الله عنه ومحبته والدفاع عنه وعلى رأس ذلك أهل السنة والجماعة، وأولهم أصحاب النبي ﷺ الذين سمعوا مقالته في غدير خُم وفي غيرها وعَلموا محبته ﷺ لعلي، فأحبوه زيادة كما كانوا يحبونه سابقاً، وهو أهل لذلك، ولو سمعوا منه ﷺ شيئاً آخر يتعلق بالخلافة وغيرها لما تركوا وصية الرسول ﷺ، خصوصاً أن هذا ليس أمراً هيناً يُتجاوز فيه، ولا يعقل أن يكون قال شيئاً من ذلك، ولم يكتشفه هذا الجمع الكبير وهم من الصحابة ولم ينقله التابعون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه، ج٧/ ١٢٣، وانظر تخريجه عند صالح العلي، صحيح السيرة، ص٥٥٠، ٥٥١.

(٢) أخرجه النسائي، في خصائص علي ص ٢١؛ وانظر تخريجه عند: صالح العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥١؛ وعند محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/ ٥٨١، وانظر تخريج ابن كثير للحديث في السيرة النبوية، ج٤/ ٤٢٥.

ثم يزعم أناسٌ متأخرون أنهم أعلم بقول الرسول ﷺ من الصحابة أنفسهم الذين سمعوا منه مباشرة وشهدوا الحادثة.

فحاشا لله أن تكون أمة محمد ﷺ وتربيته من الصحابة من السوء بما يزعم هؤلاء الغلاة في علي رضي الله عنه الذين وصل بعضهم في غلوه إلى تأليه علي وعبادته، وحاشا لله أن يتركوا شيئاً أمر به ﷺ، ونحن نعلم أن علياً رضي الله عنه لم يقل به وهو أشجع الناس في زمانه، وليس هؤلاء الطاعنون في الصحابة بأشجع من علي، ولا أكثر محبة لعلي من أصحاب رسول الله ﷺ، فاللهم احشرنا مع علي وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

بعث جيش أسامة بن زيد[1]

كانت الروم تسيطر على بلاد الشام، وقد كتب رسول الله ﷺ إلى ملكهم هرقل في السنة السادسة للهجرة كتابه المشهور.[2]

وكانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة إلى أطراف الشام الجنوبية، نواحي الأردن، حيث استشهد عدد من الصحابة، منهم عبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة

---

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة ابن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفي فيه، ج٥/ ١٤٥.

(٢) انظر: كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل في هذا الكتاب.

(قائد الجيش) مولى رسول الله ﷺ،[1] وتبع ذلك غزوة تبوك التي قادها الرسول ﷺ قريباً من الأردن، حيث حدود الروم وسيطرتهم، إلا أن الرسول ﷺ لم يلق كيداً،[2] حيث إن ملك الروم أمر بعدم الاحتكاك بقوات المسلمين. ولعل قناعته بأن المسلمين قادمون لنشر الإسلام في ما تحت قدميه من الشام وغيرها وأن هذا موعود إلهي عرفه كان وراء امتناعه عن مقاومتهم.

وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن عاهد عدداً من زعماء المنطقة وأوضح قوة المسلمين وسيطرتهم وتطلعهم لما وراء تبوك.

وبعد عودته ﷺ انشغل بأمور شتى منها حجة الوداع، وعقب عودته إلى المدينة من الحج واستقرار الأمور في بداية السنة الحادية عشرة للهجرة ندب ﷺ الناس لغزوة الروم في أواخر شهر صفر واستدعى ﷺ (أسامة بن زيد بن حارثة)، وهو ابن شهيد وقائد مؤتة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنهما، وكان شاباً صغيراً في الثامنة عشرة من عمره وأَمَّرهُ ﷺ[3] قائلاً: ((سِرْ إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم

---

(١) انظر: غزوة مؤته في هذا الكتاب.

(٢) انظر: غزوة تبوك من هذا الكتاب.

(٣) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج٢/٢٤٨ (وانظر ترجمته في المعاشرون للنبي ﷺ. من هذا الكتاب).

الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، وأَسرِع السيرَ تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقِلَّ اللَّبْثَ فيهم وخذ معك الأدلاء، وقدِّم العيون والطلائع)).[1]

كان هدف الجيش محدداً وهي تخوم البلقاء من أرض فلسطين،[2] والهدف واضح هو إثبات القوة وبسط السيطرة، والخطة واضحة وهي سرعة إنجاز المهمة وعدم الإطالة فيها.

وقد انتدب ﷺ عدداً كبيراً في هذا الجيش قدر بثلاثة آلاف مقاتل،[3] كان منهم شيوخ الصحابة أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.[4]

وقد استغرب بعضهم تولية أسامة بن زيد وهو شاب حدث على شيوخ أسنّ من أبيه أسلموا قبل ولادته وهم أهل قدرة على القيادة ودراية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي من بعده)).[5]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج٢/ ١٩٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ١٠٥٦.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٣/ ١١٢٠.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٧٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي مات فيه)، حديث رقم: ٤٤٦٨؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٧٦.

وعقد ﷺ لواء أسامة بيده وسلمه إليه، ووجهه بتوجيهات وعسكر بجيشه بالجرف شمال المدينة انتظاراً لأمر رسول الله ﷺ له بالانطلاق، إلا أن مرض الرسول ﷺ حال دون تحرك الجيش، حيث استمر في معسكره أثناء المرض، وبعد وفاة الرسول ﷺ شاركوا في الصلاة عليه، وعادوا لمعسكرهم بانتظار أمر أبي بكر الصديق الذي أنفذه، كما خطط وأوصى بذلك ﷺ ((أَنفِذوا جيش أسامة)).[١] فكان في تحرك الجيش وقيامه بمهمته بركة عظيمة على الإسلام ودولته التي تربص بها الأعداء بعد وفاة الرسول ﷺ، فكانت حركة الجيش مخيفة للأعداء المتربصين، الذين عادوا للحفاظ على مواقعهم بدلاً من التفكير بغزو المدينة، كما أثبتت للروم استمرار المسلمين في السير على خطط الرسول ﷺ التي بدأها بنفسه لنشر الإسلام في الشام وغيرها، مما هو تحت سيطرة الروم، وأن وفاة الرسول ﷺ لم توقف مدّ الإسلام، حيث وضع ﷺ خطته لنشر نوره في الشام وما جاوره بعد وفاته ﷺ.

كان أسامة ومن معه امتداداً لوالده زيد بن حارثة ومن معهم ممن حمل دعوة لا إله إلا الله.

كما أن تعيين أسامة وإبقاء أبي بكر له بعد توليته الخلافة إعلانٌ للجميع بنبذ العصبية، والسير على منهج رسول الله ﷺ

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ١٩١.

في مراعاة مصالح الأمة والبعد عن العصبية، وأن القيادة لمن هو أفضل للأمة، وليس لذوي الحسب والنسب فقط أو لكبار السن، وفيها أيضاً إعلان صريح بحب رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد ولوالده من قبله رضي الله عنه.

إقامة دولة الإسلام

كان واضحاً منذ بعثة الرسول ﷺ، أنه يسعى لنشر توحيد عبودية الله سبحانه وتعالى، وإقامة دولة رحيمة ونظام عادل يطبق فيه شرع الله على خلقه، والشرع كله رحمة وعدل.

ومنذ الأيام الأولى للدعوة في مكة كان ﷺ يبشر أصحابه بانتشار الإسلام في كل مكان وغلبته على الشرك بمختلف أنظمته.

ومكة وما حولها التي بدأت فيها رسالة الإسلام كانت عديمة النظام قائمة على الأعراف والعادات التي كان معظمها ظالماً جائراً، فليس فيها تشريع محدد ولا نظام مؤسسي ولا قضاء منصف، ولا شريعة معلومة، وكانت تسود بين أهلها الموبقات كالزنا والخمر، وأكل الربا، ووأد البنات، والقتل واحتقار المرأة، لذا فإن مكة وما جاورها في جاهليتها، حاولت منع انتشار الإسلام بما يحمله من نظام وعدل وإنصاف أوله التوحيد.

والإسلام، كما نعرف، جاءت تشريعاته في أوقات متفرقة، لكن ملامحه واضحة منذ البداية، وهي حفظ حق الله وحقوق عباده، والرحمة والعدل والمساواة بين الناس، والإحسان في كل شيء، مع سياسة داخلية وخارجية لهذا المجتمع تراعي الحقوق والعدل وهذه أهم المقومات لأي مجتمع مدني متحضر.

وحين صعب الأمر على الرسول ﷺ في تحويل مكة إلى مجتمع ودولة مسلمة بدأ يبحث في الأماكن والقبائل الأخرى عمن يعينه، بمكان مناسب وقوم مساندين لدولة الإسلام، يعيش فيها المسلمون في مجتمع إنساني مسلم مسالم متعاون، مكونين أمة تفوق الأمم الأخرى وترتبط بالله وشرعه لتقود البشرية للسعادة والكمال ولتنصف نفسها، وأصحاب الديانات الأخرى ممن يطلبون الحياة الكريمة.

ولذلك أخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل أثناء الحج وغيره من مواسم العرب وأسواقها باحثاً عن من يؤيده وينصره ليقيم مجتمعاً لا يفرق فيه بين العرب والعجم، قادراً على تنظيم نفسه والدفاع عن كيانه أمام مختلف الأعداء، محصناً بالعدل والإيمان.

وبعون رباني وجد رسول الله ﷺ ما ينشده في الأنصار من أهل المدينة، الذين قابلوه في موسم الحج وسمعوا له وصدقوه واستعدوا ليجعلوا مدينتهم قاعدة لدولته المرتقبة ومجتمع السلم

المسلم، ومن رجالهم جنداً مناصرين بالنفس والمال لهذا الدين وما يتطلب من نظام.

يقول محمد حميد الله في كتابه «الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»: (إن السياسة الحكومية في العهد النبوي، على صاحبه السلام، كانت قد أُلقيت أساساتها قبل الهجرة إلى المدينة في بيعات العقبة الأولى والثانية).[1] وتم تطبيقها بالتدرج عملياً بعد الهجرة، حتى اكتمل بناء الدولة.

وقد أُلِّفت كتب وأبحاث مختلفة عن قيام دولة الرسول ﷺ ونظامها ووظائفها والقائمين عليها، ولعل من أبرز ذلك ما كتبه الخزاعي في تخريج الدلالات السمعية،[2] الذي شُرح من قبل الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه: «نظام الحكومة النبوية» المسمى التراتيب الإدارية، وكذلك ما كتبه عون الشريف قاسم في كتابه: «نشأة الدولة الإسلامية». وقد قال الكتاني في مقدمة كتاب التراتيب الإدارية: (كان ﷺ يشغل منصب النبوة الديني على قاعدة جمع دينه القويم بين سياسة الدين والدنيا جمعاً مزج بين السلطتين، بحيث كادا أن يدخلا تحت مسمى واحد وهو

---

(١) ص ٢١.

(٢) الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت: ٧٤١هـ). تخريج الدلالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنايع والعمالات الشرعية، حققه أحمد محمود أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠١هـ.

الدين وكذلك وقع، كانت الإدارات اللازمة للسياستين على عهده صولجانها دائر والعمالات بأتم أعمالها إلى الترقي، والعمل سائر). [1]

لقد كان التنظيم النبوي لأعمال الإدارة ووظائف الأمة، وترتيب الدولة وما حمله من أمثلة في السيرة والسنة أساساً اقتبس منه المؤلفون والفقهاء في كتب الأحكام السلطانية، ما استندوا عليه في التنظير للنظم الإسلامية وإدارة الدولة في مختلف العصور، سواء منها الإدارة السياسية، أم المالية، أم العسكرية، أم الاجتماعية وغيرها.

لقد كان بين تلك النظم والتشريعات وبين الوقائع التاريخية تلاحم وترابط جعلنا نعرف تفصيلات أدق عما طبقه الرسول ﷺ من أجل بناء الدولة الإسلامية ومجتمعها وتكوين أول حكومة ونظام سياسي في الإسلام كان نواة لما جاء بعده من أنظمة ودول مختلفة وتفاوتت في ما بينها بالأخذ من سنته ﷺ في هذا الجانب.

لقد كان الظلم يقع على أصحاب رسول الله ﷺ في مكة، فيبشرهم بأنه سيأتي يوم يمنع فيه الظلم ويقام فيه العدل ليس في مكة وحدها، بل في أصقاع كثيرة يعرفونها، فحينما اشتكى له خباب بن الأرت ما كان يتعرض له من أذى، وطلب من رسول

---

(١) عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/ ٩.

الله ﷺ أن يدعو على من ظلمه، قال له ﷺ: ((ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه)).[1]

كان موعود الله ورسوله بانتصار الإسلام واستخلاف المسلمين في الأرض والتمكين لهم، يعني أمنهم، وبالتالي قيام تنظيم ونظام يتحقق من خلاله الاستقرار، يجمع بين التشريع وتطبيقه في الواقع من خلال سياسة الدنيا بالدين، هذا الوعد كان واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]. إن الاستخلاف في الأرض يعني حكمها وتنظيمها وسياستها وإدارتها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

لقد كان واضحاً للرسول ﷺ أن النظام الإسلامي السياسي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/٢٣٨.

الذي أسس له ﷺ سيرث الأنظمة العالمية المعاصرة، كنظام الأكاسرة في فارس، ونظام القياصرة عند الروم. فقد روى جابر ابن سمره أن رسول الله ﷺ قال: ((لتفتحنّ أرضَ كسرى عصابة من المسلمين))،[١] وفي أثناء حفر الخندق قبيل غزوة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة اعترضت لبعض الصحابة صخرة فقام الرسول ﷺ ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة فكبّر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثانية فبرقت فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثالثة فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعةَ، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضربها الثالثة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة)).[٢]

كان ﷺ يُربي أصحابه على امتداد الإسلام ودولته إلى مختلف أصقاع الأرض وأن المسلمين سيفتحونها، ليحولوا الناس إلى عبادة الله سبحانه تعالى في نظام مؤسسي ديني إداري

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٧١.

(٢) رواه احمد في مسنده ج٤/ ٣٠٣، وحسنه عدد من العلماء منهم ابن حجر (انظر د. أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ج٢/ ٤٢٣).
ود. مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية ص٤٤٩، (هامش ٤٢).

سياسي عرفه العوام والخواص من المسلمين، ولذلك نجد ربعي ابن عامر يتحدث عن هذا الهدف النبيل الدافع لإقامة نظام يسود فيه العدل بين الإنسانية؛ قال لرستم وهو يحاوره قبيل معركة القادسية: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...). (١)

لقد سعى رسول الله ﷺ منذ أيام دعوته الأولى إلى قيام نظام إنساني يسوس الناس على العدل والمساواة. وقيام دولة الرسول ﷺ كان تدرُّجاً انطلق مع الدعوة والنبوة، وتأكد بعد الهجرة، ونما وازدهر بعد فتح مكة حتى سادت دولة الرسول ﷺ معظم أنحاء الجزيرة العربية، وشغل ﷺ منصب القيادة العليا في الدولة الإسلامية مع شرف النبوة والرسالة في وقت واحد، وأعد أصحابه من بعده لتنظيم العالم كله وإقامة التوحيد والعدل.

وقد ضبط ﷺ أمور الدولة (بأنظمة ومناصب وعمالات ووظائف استقامت بها دولته وسارت أحوالها، ونظمت قوتها البشرية والمالية والاجتماعية والأمنية وسائر أمورها الداخلية والخارجية). (٢)

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/١٠٦.
(٢) انظر: د. عبد العزيز العُمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية ص١٤.

وهذه الإدارة الفعالة المتميزة كانت جزءاً من الدين الإسلامي الذي حمله ﷺ رحمة للبشرية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، حيث جمع ﷺ بين الدين والدنيا بشكل أدهش المسلمين وغيرهم.

يقول مايكل هارت (Michael H.Hart) في كتابه أعظم مائة رجل في تاريخ البشرية: .

aranking the most inflontial persons: (إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً مما يخول محمداً ﷺ أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية).[1]

(١) مايكل هارت، المائة الأوائل، ص ٢١.

تنظيم الدولة وولاياتها

كانت بلاد العرب وخصوصاً الحجاز ونجد، بعيدة عن التنظيم السياسي والإداري، خاضعة للأعراف والقبائل التي تدير نفسها عشوائياً، من دون سياسة ولا دولة معينة في الغالب، فلم يعرف في مكة قيادة مسموعة وإدارة مسؤولة، ولا في المدينة شيء من ذلك، حيث ساد عندهم التنظيم القبلي وأعرافه، فرغم أنهم سكان مدن إلا إنها كانت دون تنظيم أو إدارة محددة، حتى أصبحت تحت حكم الرسول ﷺ.

لقد كانت إدارة الحكم وتنظيمه إحدى العلامات البارزة التي جاءت في القرآن؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد].

كان الرسول ﷺ رأس الدولة، ويعين الموظفين والعمال.[١] وكان ﷺ حريصاً على الإدارة وترتيب المسؤوليات. ومنذ بيعة العقبة الثانية نظم الرسول ﷺ المبايعين وطلب منهم أن يخرجوا له نقباء من بينهم يكونون مسؤولين عن الآخرين لتلقي الأوامر والتوجيهات ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه.[٢]

وكانت البيعة من الرجال والنساء ذات معنى خاص[٣] وردت في كتاب الله يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ [الممتحنة].

---

(١) انظر: عمال الرسول ﷺ على البلدان عند خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٠ (تسمية عماله ﷺ)؛ وعبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٩ (الولاية على البلدان في العصر النبوي).
(٢) انظر: تفصيلات ذلك في بيعة العقبة الثانية في هذا الكتاب.
(٣) الكتاني التراتيب الإدارية ج١/ ٢٢٢.

كانت أوامر الرسول ﷺ واضحة في ترتيب المسؤولية في أي تجمع قليل أو كثير، فقد قال ﷺ: ((لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم)).[1]

وكان ﷺ يسوس أمور الدولة العسكرية والمدنية فيبعث الجيوش والسرايا، ويرتب قيادتها، بل يتخذ الاحتياطات حتى لا يشغر منصب القيادة فيها، ففي غزوة مؤتة استخلف رسول الله ﷺ على جيش مؤتة زيد بن حارثة وقال: ((فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً)).[2]

لقد كان التنظيم وترتيب القيادة والسمع والطاعة لها بالمعروف مما ربى عليه الرسول ﷺ الأمة.

لقد أصبحت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان الرسول ﷺ هو الحاكم الفعلي للمدينة المنورة، وهو الذي يهتم بإدارة شؤونها، كما كان الرسول ﷺ يستخلف على المدينة من يختاره من أصحابه أثناء غيابه عنها، وقد ذكر أصحاب السِّيَرِ عند كل غزوة اسم من استخلفه الرسول ﷺ على المدينة.

ومن أشهر الذين ولاهم الرسول ﷺ على المدينة أثناء

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ١٧٧.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي ص ٣٦٧؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٦.
انظر: غزوة مؤته من هذا الكتاب.

غيابه: عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه،[1] حيث ذكر أنه ولاه قرابة (١٣) مرة،[2] منها في غزوة بدر،[3] ومنها في غزوة حمراء الأسد وغيرها من الغزوات،[4] كما استخلف الرسول ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه على المدينة المنورة في بعض غزواته.[5]

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة في غزوة تبوك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحينما شق الأمر على علي رضي الله عنه، قال له الرسول ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي).[6] وعلى العموم فإن الرسول ﷺ كان يحرص باستمرار على بقاء من ينوب عنه في تصريف أحوال المدينة، ولو كانت فترة غيابه قصيرة. وهذا يعطينا دلالة عظيمة على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الجانب الإداري والتنظيمي في الحكومة النبوية.

وحينما اتسعت الدولة الإسلامية في عصره ﷺ وتجاوزت

---

(١) عبد الله بن أم مكتوم، صحابي قرشي أسلم قديماً في مكة، كان من المهاجرين الأولين، وهو الأعمى المذكور في سورة (عبس) استشهد في معركة القادسية (ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٥٢٥).

(٢) ابن حجر الإصابة ج٢/ ٥٢٣.

(٣) خليفة بن خياط، ص ٩٦.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ١٠١، ١٠٢.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/ ١٤٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ج٥/ ١٢٨. والإمام أحمد في مسنده ج١/ ١٨٢.

حدود المدينة المنورة، أخذ الرسول ﷺ يرسل العمال من الولاة والقضاة وغيرهم إلى مختلف المناطق والأقاليم، بل وحتى القبائل، لأمور عدة وبصلاحيات منضبطة، حددها لهم الرسول ﷺ وهي في مجملها ضوابط عامة، وقد يختلف بعضها من إقليم إلى إقليم ومن ولاية إلى ولاية.

أهم الولايات التي عرفت في العصر النبوي

ولاية اليمن

أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الولاة والقضاة إلى اليمن في أوقات مختلفة وبأهداف واختصاصات محددة لكل وال من هؤلاء، سواء أكان اختصاصه محدداً بإقليم معين أم بأعمال معينة، كجمع الصدقات وتوزيعها أو غير ذلك. وقد برزت أسماء كثيرة لولاة على اليمن في عصر الرسول ﷺ كان أشهرهم معاذ بن جبل رضي الله عنه،[١] الذي أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن أميراً لأمراء الرسول[٢] فيها وقاضياً ومعلماً، وقد كان من أبرز مهام

(١) معاذ بن جبل: ابن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري صحابي جليل شهد معظم المشاهد مع الرسول ﷺ وجاهد في الشام مع أبي عبيدة بن الجراح وبها توفي في طاعون عمواس سنة ١٧هـ (ابن حجر، الإصابة ج٣/ ٤٢٦).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، باب (بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن)، ج٥/ ١٠٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص٩٧. البلاذري، فتوح البلدان، ص٨١.

معاذ رضي الله عنه في اليمن تعليم الناس الدين والشريعة، والقضاء بين الناس، إضافة إلى جمع الصدقات مع العمال الآخرين الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى اليمن.[(١)]

وقد أمر الرسول ﷺ معاذاً بأمور شرعية تتعلق بالزكاة والأطعمة اشتهرت عن معاذ رضي الله عنه.[(٢)]

استمر رضي الله عنه في تأدية عمله بقية عصر الرسول ﷺ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء ويردها على الفقراء ما زاد في انتشار الإسلام وزيادة رقعته في اليمن، وكان معاذ يقوم بالولاية على منطقة (الجَنَد)،[(٣)] بالإضافة إلى إشرافه العام على بقية الولاة.

وإلى جانب معاذ هناك العديد من الولاة الذين تقاسموا اليمن وحضرموت، وارتبطوا بأقاليم محددة، واستمروا يؤدون رسالتهم على أكمل وجه، حتى إذا قامت الفتنة في اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ وظهر فيها الأسود العنسي الكذاب، اشترك الولاة في دفع هذا الخطر، ومحاربة المرتدين مع الأسود العنسي

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٠.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص٨٣؛ انظر: صحيح البخاري، (باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن)، ج٥/ ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٢٦، الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٦٤. والجَنَد هي أحد الأقسام الرئيسة لليمن في صدر الإسلام، وبه مدينة سميت باسمه واشتهرت بمسجد معاذ بن جبل (ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٢/ ١٦٩).

الكذاب، حتى استقر الأمر للإسلام في اليمن، في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[(١)]

مكة المكرمة

دخلت تحت السيادة الفعلية للحكومة النبوية بعد فتحها في العام الثامن للهجرة، وقد عين الرسول ﷺ والياً عليها (عَتّاب بن أَسيد بن أبي العيص).[(٢)] وقد استمر أميراً لمكة أيام الرسول ﷺ، وأيام خليفته أبي بكر رضي الله عنه، وتوفي في أول خلافة عمر رضي الله عنه.[(٣)] وقد دارت بين الرسول ﷺ وبين عَتّاب العديد من المراسلات التي تتعلق بشؤون مكة، وشؤون شرعية أخرى مختلفة.[(٤)]

الطائف

أسلمت في وقت متأخر برضا أهلها، بعد أن عجز

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١١١، ١١٣.
اليعقوبي، تاريخه، ج٢/ ١٣٢، الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٧٠.
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/ ٣٧٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/ ١٢٦. وعتاب بن أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس. من قريش، أسلم يوم الفتح، وعينه الرسول ﷺ عاملاً على مكة، توفي الرسول ﷺ وهو عليها فأقره عليها أبو بكر، وتوفي في بداية عهد عمر. (ابن سعد، الطبقات، ج٥/ ٤٤٦، وابن حجر، الإصابة ج٢/ ٤٥١).

(٣) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١/ ١٣.

(٤) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٢٨٦.

المسلمون عن فتحها خلال الحصار الذي أعقب غزوة حنين. وقد ولّى عليها الرسول ﷺ (عثمان بن أبي العاص).[1] وتوفي رسول الله ﷺ وهو على الطائف، وأقره أبو بكر عليها كما أقره عمر، ولكنه طلب من عمر بعد ذلك أن يعفيه من منصبه، فنقله إلى البصرة والبحرين.

وأما بقية الحجاز فقد عين الرسول ﷺ ولاة للمدن والقرى الأخرى فيه، فقد كان للرسول ﷺ والٍ على (وادي القُرى)،[2] وكذلك له والٍ على (تيماء).[3]

وكان الرسول ﷺ إلى جانب هذا يبعث بعض أصحابه إلى (القبائل) لتعليم الناس أمور الدين، وجمع الصدقات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، كما كان هؤلاء الأمراء مسؤولين عن إقامة الصلاة في هذه القبائل، شأنهم في ذلك شأن الولاة في

---

(١) ابن حبيب، المحبَّر، ص١٢٧. (عثمان بن أبي العاص) ابن بشر الثقفي، قدم على الرسول ﷺ مع وفد ثقيف وأسلم، وأمّره الرسول عليهم، واستمر عليها حتى عصر عمر حيث توجه إلى البصرة. توفي في عصر معاوية (ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٤٠؛ ابن حجر، الإصابة ج٢/ ٤٦).

(٢) (وادي القُرَى) وادٍ يقع بين المدينة والشام، وبين تيماء وخيبر، كان فيه العديد من القرى المشهورة بالنخيل، ويسمى الآن وادي العلاء، ويبعد ٣٢٢ ميلاً عن المدينة (عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٩٣).

(٣) تَيماء بلد صغير بين الشام ووادي القرى، على طريق الحج الشامي، وهي بلدة مشهورة باسمها حالياً (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ٦٧). ابن حبيب، المحبَّر، ص١٢٦.

المدن والقرى الأخرى، وكانوا يقومون بالمهام نفسها التي يقوم بها ولاة البلدان من صلاة وقضاء وتعليم وغير ذلك من الاختصاصات التي كانت توكل للولاة عادة.

وقد أرسل الرسول ﷺ ولاته إلى مختلف القبائل في نجد والحجاز وغيرها من بلاد العرب، وكان كثيراً ما يختار الولاة أو المبعوثين لهذه القبائل ممن أسلم من أفراد القبيلة نفسها، فكان لهم دور في التنظيم وإقامة العدل في بلدانهم وقبائلهم.

البحرين

تردد ذكر البحرين كجزء من الدولة الإسلامية في أواخر العصر النبوي. وقد بعث الرسول ﷺ مجموعة من الولاة إليها، نظراً لوجود العديد من القرى فيها.[1] وكان أشهر ولاة البحرين خلال العصر النبوي الصحابي الجليل (العلاء ابن الحضرمي).[2] وقد بعث معه الرسول ﷺ بعض الصحابة، منهم أبو هريرة رضي الله عنه.[3] وقد دارت بينه وبين الرسول ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق بشؤون الولاية.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٠.

(٢) هو العلاء بن عبد الله بن أكبر بن ربيعة من حضرموت. كان من حلفاء بني أمية وهو من الصحابة المهاجرين، ولي البحرين للرسول ﷺ ثم لأبي بكر ثم لعمر، وتوفي سنة ٢١هـ، (الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/ ٢٦٢، وكذلك العبر ج١/ ١٩).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/ ٢٦٤.

وكان الرسول ﷺ يبعث بعض أصحابه إلى العلاء ليحضر الجزية المفروضة على المجوس في البحرين إلى المدينة المنورة. وكان من هؤلاء المبعوثين (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه).[1] واستمر العلاء والياً للبحرين بقية أيام الرسول،[2] وقد أقره أبو بكر على ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ، كما أقره عمر بعد وفاة أبي بكر (رضي الله عنهما).[3]

عُمَان

بعث الرسول ﷺ إلى ملكي عمان (جيفر وعباد ابني الجلندي) برسالة مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، فعرض عليهما الإسلام،[4] فأسلما.

وأقر الرسول ﷺ عمرو بن العاص والياً على عمان مع وجود الملكين، وأخذ عمرو في دعوة الناس إلى الإسلام مع القيام بمهمته الرسمية في عمان، وكان له حوار طويل مع أساقفة عمان ورهبانها، الذين أخذوا يسألونه أسئلة كثيرة عن الإسلام.[5] كما أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الأمراء إلى

---

(١) ابن سلام، الأموال، ص٤١.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ص٩٧؛ السهيلي، ، الروض الأنف، ج٤/ ٢٥٠.
(٥) ابن قدامة، ، منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط مصور على ميكروفيلم تحت رقم ١٢٤٦م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ورقة ٢١.

قرى عمان، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ مكاتبات.[1] وقد حدثت ردة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمكن أبو بكر من القضاء عليها بمساعدة جيفر وعباد ابني الجلندي،[2] ثم استمرت عمان ولاية إسلامية خلال العصور الإسلامية، وكان لقبائلها تأثير قوي في الفتوح الإسلامية بعد النبي ﷺ.

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ اهتم بأمر البلدان والقرى التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية، فكان يرسل إليها الولاة والأمراء معلمين وموجهين وناصحين، ويكل إليهم القيام بمهام محددة، منها إقامة الصلاة وتعليم الناس أمر دينهم وجمع الزكاة من الأغنياء وردها على الفقراء، إضافة إلى جمع الجزية من غير المسلمين وإنفاقها في وجوهها الشرعية، أو بعثها للرسول ﷺ في المدينة المنورة.

كما أن بعض هؤلاء الولاة كان يقضي بين الناس كمعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب وغيرهما، إضافة إلى الإجابة على الأسئلة التي كان الناس يلقونها عليهم، ممن يريد أن يتعرف على الإسلام أو من علماء أهل الكتاب، كما حدث لمعاذ بن جبل في اليمن وعمرو بن العاص في عمان.

---

(١) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص١٦٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٦١.

وقد كان الرسول ﷺ يجمع العمل لشخص معين أو يقسمه بين أشخاص، فهو يجمع الصلاة والصدقات لأمير واحد، وقد يفرقها على أميرين أحياناً، كما كان يسند القضاء إلى أمير البلد نفسه، أو يرسل معه قاضياً غيره، وكانت هناك اتصالات عديدة بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء الولاة تتعلق بشؤون الولاية وعموم أمور المسلمين وأحكامهم الشرعية.

كان بعض الولاة يرسلون ما يجمعون من أموال الصدقة إلى الرسول ﷺ في المدينة، لكي يقسمها في وجوهها الشرعية. وكان الرسول ﷺ يتابع أحوال ولاته ويراسلهم.[١]

كما أن الرسول ﷺ كان يصدر تعليماته المستمرة للولاة على ضوء ما يجد من أحداث، وبما أن الرسول ﷺ كان يحب التفاؤل، فقد كتب لأحد ولاته: ((إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم))[٢] وكان يكتب إلى ولاته باستمرار ينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة[٣] ويؤكد عليها.

وكان الرسول ﷺ يركز على الولاة بتعليم الناس أمور دينهم والتيسير عليهم، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: (يسِّرا ولا تعسرا، وبشِّرا ولا تنفرا،

---

(١) انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣٢.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص١٢١.

وتطاوعا ولا تختلفا)، وقال ﷺ: (إنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا منفِّرين).[1]

والرسول ﷺ وضع الأساس للأمة في إدارة البلدان وترتيب مختلف أقاليم الدولة. ولا شك أن الإدارة العليا تحتاج باستمرار إلى مشاورة الكوادر الأخرى المشاركة في المسؤولية قبل اتخاذ القرارات المصيرية، وقد ساد في الفكر الإداري الحديث أهمية المشاورة قبل اتخاذ قرار إداري محدد وجرت دراسات مختلفة حول أهمية المشاورة ونتائجها بالنسبة للقيادات الإدارية العليا.[2]

كان رسول الله ﷺ وهو قائد الدولة الإسلامية يكثر من مشاورة أصحابه رضي الله عنهم، حيث نزلت عليه سورة الشورى لتؤكد هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى]. وفي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]. وقد ثبت كثرة مشاورة

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٣٧؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، ج٥/١٠٨.

(٢) الهواري، الإدارة، الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦.
وانظر: عبد العزيز العمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ص٤٥.

الرسول ﷺ للصحابة العاملين معه قبل اتخاذ القرارات الهامة، حتى عرف بعض الصحابة أنهم من أهل شورى رسول الله ﷺ.

ولا شك أن معظم المصائب والأخطاء في العالم الإسلامي المعاصر ترجع إلى انفراد أصحاب القرار بالرأي دون الرجوع لأهل الخبرة والمشورة، حيث ابتعدوا عن سنة الرسول ﷺ في هذا الجانب، فكانت قرارات كارثية وإدارات عاجزة ومشاكل كبرى.

العدل والمساواة

العدالة مبدأ إسلامي وإنساني مهم، يحكم أمور المسلم في كل أحواله العامة والخاصة وخصوصًا ما يتعلق بالآخرين إذا تولى عملاً للناس وفضيلة سامية تسمو إلى تحقيقها النظم في كل زمان ومكان، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى].

كما شدد القرآن في التحذير من الظلم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم].

والعدل مطلوب مع الجميع حتى مع الأعداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

ولا شك أن العدالة ليست خاصة في القضاء فقط، بل هي توجيه عام لكل مسلم، وهي من صميم العمل الإداري، حيث أن المسؤول الإداري ينبغي أن يكون عادلاً مع موظفيه وأن يكون عادلاً مع ذوي العلاقة بالعمل، وأصحاب المصالح المتصلة بعمله، والعدالة مطلوبة من كل إنسان حتى في إدارة عائلته وعمله الخاص، فكيف إذا كان صاحب منصب وعمل متصلاً بعامة الناس أو خاصتهم.

وحين زعم أحد الجُهال أن الرسول ﷺ لم يعدل في قسمة أموال حُنين، غضب رسول الله ﷺ لعظم التهمة في نظره ولاتهامه بعدم الإنصاف وهو ﷺ أعدل الناس وأَبَرِّهم، وأسوة لجميع العاملين على شؤون الناس وحقوق العباد ﷺ، ولا يقبل الظلم من أحد فكيف يظلم بنفسه، حاشاه الله.

وقد كان ﷺ يحذر من الظلم ومن ذلك قوله: ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات)).[1]

كما كان ﷺ يأمر بتطبيق العدل وإقامة الحدود على الضعيف والقوي، ويحذر من التهاون في ذلك بقوله: ((إنما أهلَكَ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأَيْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).[2]

كان رسول الله ﷺ يتولى القضاء بنفسه بين الناس،[3] يتحرى العدل ويخشى تدليس الخصوم على بعض، ويحذر من الاعتداء على حقوق الآخرين ولو بحكم قضائي، ولذلك ورد أنه ﷺ: ((سمع خصومة أمام باب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحقِ مسلمٍ فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)).[4]

وقد كان رسول الله ﷺ يقضي بين الناس كافة ويعمل على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج٣/ ٩٩؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ٩٢.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٧٣٣.
(٣) للتوسع حول الموضوع انظر: القرطبي، عبدالله محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله، مطابع قطر الوطنية، الدوحة قطر، (د.ت).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٢٤٥٨.

أداء الحقوق إلى أهلها سواء كانوا مسلمين أم كفاراً، ويوضح القواعد الأخلاقية للقضاة والخصوم، ويحذر من الكذب في الدعوى، أو اليمين التي تؤدي إلى أخذ الإنسان ما ليس له، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول ﷺ: ((من حلف على يمين وهو فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان)).(١) وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران]. وقرَنَ قول الزور مع الشرك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج]. كما كانت توجيهاته واضحة في المساواة بين الخصوم، وعدم الحكم بالهوى وأن يكون القضاء بنظام شرعي واضح ومنه: ((البينة على المدعي واليمين على من أنكر)).(٢) كما أنه قطع الطريق على الدعاوى الباطلة فقال: ((لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم)).(٣) وأكّد على أهمية الشهادة: ﴿فَإِذَا

---

(١) من حديث البخاري، كتاب الخصومات، حديث رقم: ٢٤١٦.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات (باب ما جاء في البينة على المدعي)، ج٣/ ١٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، ج٥/ ١٣٨.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)﴾ [الطلاق]. واعتبر أداء الشهادة من أسباب العدل.

وطالب القرآن بإقامة العدل دون هوى، حتى لو كان الحق على أعز الناس إلى الإنسان، بل حتى لو على نفسه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾ [النساء].

وطالب القرآن بالعدل حتى مع الأعداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة]، وورد في الحديث القدسي ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تَظالموا)).(١)

وقد جاءت أخلاقيات الإسلام لتضمن العدالة ونزاهة القضاء والعاملين عليه فحذر ﷺ من الحكم بالهوى أو الجهل، كما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج٨/ ١٧.
رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/ ١٦٠.

بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ (٢٦)﴾ [ص].

وقد حذر رسول الله ﷺ قضاة الجور بقوله: ((القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذاك في النار، وقاضٍ لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق فذاك في الجنة)).(١)

كما حرم الإسلام الرشوة، وهي مما يدفع إلى الظلم وغمط الناس حقوقهم، ويؤثر في القضاة والحكام. قال ﷺ: ((لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما)).(٢)

وكان القضاء عاماً بين الناس في المجتمع المسلم وطبق في العهد النبوي يدخل فيه المسلم وغيره ومطلب العدل عام مع المسلمين وغيرهم، يقول تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ (٤٢)﴾ [المائدة].

وقد شرع رسول الله ﷺ كل ما من شأنه تنظيم العدل بتعيين القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فقد بعث ﷺ عدداً من

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، رقم: ١٣٢٢، ج٣/ ٦١٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٢/ ١٦٤، وج٥/ ٢٧٩؛ والترمذي في كتاب الأحكام، حديث رقم: ١٣٣٦، ج٣/ ٦٢٢؛ وابن ماجة في كتاب الأحكام، والدارمي في الأقضية.

الصحابة للقضاء في منازعات الناس، ومن أشهر هؤلاء القضاة علي بن أبي طالب ﵁، حيث بعثه النبي ﷺ إلى بعض نواحي اليمن قاضياً، ولم يرجع إلا أثناء حجة الوداع. وقد دار حوار بينه وبين النبي ﷺ حول أسس القضاء، كما ذكرنا سابقاً، ومن ذلك قول الرسول ﷺ لعلي: ((إذا حضر خصمان بين يديك فلا تقض لأحدهما حتى تسمع كلام الآخر)).[١]

كما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﵁ إلى اليمن، وكان من مهمته القضاء بين الناس وقد حاور ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن فقال: ((بم تحكم؟ قال بكتاب الله وسنة نبيه، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسوله)).[٢]

ولم يبق إقليم تابع لدولة الرسول ﷺ إلا حدد فيه الأمراء ومن يقضي بين الناس ويقيم العدل فيهم ولعل أشهر دستور عالمي في القضاء هو كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء.[٣]

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٣) شرح ابن القيم كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين بما يزيد على(٤٥٠) صفحة (انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١/ ٨٦ حتى ٤٠٦، ج٢/ ١ ـ ١٦٥.

والذي لا شك فيه أن عمر استقاه مما تعلمه من النبي ﷺ في شؤون القضاء والعدل، وقد جاء فيه: (أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تَكَلُّمٌ بحق لا نفاذ له، واسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك).

البيِّنة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق؛ فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج في صدرك، ما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه، ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فمن أحضر بينة أخذت له حقه واستحلل القضية عليه، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى. والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، أو مجرباً عليه بشهادة زور أو ظنيناً في ولاء أو نسب، فإن الله عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات. وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام).[1]

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١/ ٨٥ ـ ٨٦؛
الهواري، الإدارة الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦.

ولا شك أن انتظام الحياة والإسلام في أي مجتمع إنساني لا يقوم إلا على نظام وقوانين وشريعة واضحة يتساوى أمامها الجميع، مع وجود مرجعية قضائية لحفظ الحقوق، وقوة تساعد في إعادة الحقوق إلى أهلها ومنع الظلم وتطبيق أحكام القضاء. وهذا يدفع الجميع للأمان والوقوف مع هذا النظام العادل الضامن للحقوق، والمعين على الحياة الكريمة، والإنتاج الصحيح بعيداً عن سرقة الناس، والاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.

وهكذا بنى الرسول ﷺ بتوجيهات إلهية وتطبيقات نبوية هذا المجتمع المسلم في المدينة وما وقع تحت حكمه وإدارته من أنحاء الجزيرة العربية على العدل، وأصبح هذا النظام نبراساً للدول الإسلامية ومجتمعاتها يزيد أمانها وإيمانها كلما اقتدت به وسارت على نهجه، وتضيع الحقوق كلما ابتعدت عن طريقه.

وقد ألف العلماء وفقهاء الشريعة في هذا المجال ما يصعب حصره من تراث علمي سياسي إداري قانوني شرعي عدلي،(١) جهله كثير من أبناء الأمة وتجاهله كثير من القادة وأصحاب القرار فضاعوا وأضاعوا.

---

(١) انظر: محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي.

ترتيب الأمن والسلام

الحفاظ على الأمن حاجة إنسانية قائمة، وضرورية وملحة في كل المجتمعات البشرية، وحينما بعث النبي ﷺ، كانت بلاد العرب تعيش حالاً من الفوضى الأمنية، حيث يأكل الضعيف القوي، وتسود الفوضى ويعجز الناس عن السفر وحماية أنفسهم إلا بقوة وأحلاف تتعاون لضبط الأمن، ولم يكن هناك نظام أو شرع وقانون يحمي الناس من اعتداء الآخرين، وجاءت آيات القرآن لتذكر الناس بأهمية الأمن وقرنته بالرزق في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش] وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا

ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴿١٨﴾﴾ [سبأ]. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]. وبيّن الله في قصص الأنبياء السابقين أهمية الأمن في حياة الأمم ففي قوم صالح قال: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴿١٤٦﴾﴾ [الشعراء]. وفي عموم القرى والأمم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وفي قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

وقد كان ﷺ يبشر الصحابة في أكثر من موضع بأن الأمن

سوف يسود بهذا الدين، ومن ذلك قوله لعدي بن حاتم: ((فوالله لَيوشِكَنْ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها «حتى» تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله)).[1] وقال ﷺ: ((ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئبَ على غنمه)).[2]

كان الأمن والسلام بين الناس من أهم أهداف الإسلام، فاستدعى الأمر محاربة الخوف وما يؤدي إليه، ولذلك كان هدف سلطة الدولة التي كان على رأسها رسول الله ﷺ تحقيق الأمن.

وكان القضاء وأدواته وتشريعاته تعمل لتحقيق العدل والأمن والسلام فكان الحفاظ على أرواح الناس: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/ ١٥٠؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/ ٢٣٨.

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨)﴾ [الفرقان]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)﴾ [الإسراء].

وكان الرسول ﷺ يؤكد في أحاديثه وخطبه على السلام بين الناس وعلى تأمينهم وعدم الاعتداء عليهم. وكان يؤكد في بيعته على ذلك. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله في رهط فقال: ((أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو له كفارة وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له)).[1]

وكان من أشهر ما قاله ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة: ((ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإن الله تعالى حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، إلا بحقها كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا من شهركم هذا. ألا هل

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج٧/١٨؛ حديث رقم: ٦٧٨٤؛ ٦٨٠١.

بلغت؟ ثلاثا، كل ذلك يجيبونه: ألا نعم، قال ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجُعنّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).[1]

وقد أكّد ﷺ على أهمية الأمن في حياة الإنسان بقوله: ((من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)).[2] وقد قال ﷺ ((لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً))،[3] وكان من دعائه: ((اللهم استر عورتي وآمن روعتي)).[4]

وقد أدت دولة الإسلام في المدينة دورها في بسط الأمن والسلام بين الناس،[5] المسلمين وغيرهم، وكان ذلك عماد معاهدة المدينة بين الرسول ﷺ وعموم سكان وقبائل المدينة، هو الدفاع المشترك وبسط السلام فيها وعدم إعانة من يسببون الخوف لأهلها من المُحْدِثين وغيرهم.[6]

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، حديث رقم: ٦٧٨٥؛ ابن حزم، المحلى، كتاب الحج، ج٤/ ٨٤؛ وانظر: حجة الوداع من هذا الكتاب.

(٢) رواه الترمذي في الزهد، حديث رقم: ٢٣٤٦، ج٤/ ٥٧٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/ ٢٦٢.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ٢٥.

(٥) للتوسع حول هذا الموضوع طالع (د. عبدالله التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، ١٤١٧هـ).

(٦) انظر: وثيقة المدينة من هذا الكتاب.

وكان ﷺ يتابع بنفسه أمن المدينة وسلامة أهلها والقادمين إليها، ويقيم الحدود الشرعية على المجرمين الذين يفسدون في الأرض ويريقون الدماء ويخلون بأمن الناس وسلامتهم، كما فعل مع العُرنين. وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه: (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود)،[1] أورد فيه أبواباً عدة، منها باب: (إقامة الحدود على الشريف والوضيع)[2] وباب: (كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان)[3] روى فيه عن عائشة (رضي الله عنها): (أن قريشا أهمتهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها ـ يعني رسول الله ﷺ ـ قالوا ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: ((يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟))، ثم قام فخطب فقال: ((إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).[4] وقد أمر القرآن الكريم بقطع يد السارق في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ

---

(١) صحيح البخاري، ج٨/ ١٣.

(٢) صحيح البخاري، ج٨/ ١٦.

(٣) صحيح البخاري، ج٨/ ١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود باب إقامة الحد على الشريف والوضيع، ج٨/ ١٦.

مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].[1] وقد طبق الرسول ﷺ حد السرقة على المرأة المخزومية ولم يمنعه شرفها ولا شفاعة أسامة ابن زيد وغيره من أشراف مكة في منع تطبيق الحد الشرعي عليها. ويظهر أنه طبق حد السرقة أكثر من مرة في حياته.[2]

وكان لحد السرقة دور كبير في أمن الناس على أموالهم، وخوف السُراق من إقامة الحد عليهم، حتى خفت السرقة وكادت تنعدم في زمن النبي ﷺ.

ولا شك أن أي بلد ومجتمع في العالم يقيم حد السرقة تقل فيه السرقة، ويأمن الناس على أموالهم. كما أن القتل كانت عقوبته القتل إلا أن يعفو أولياء الدم. وقد جاء الحكم صريحاً في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود باب ١٣، ج٨/ ١٦.

(٢) انظر صحيح البخاري، ج ٨/ ١٥ ـ ١٨.

وكان الأمر واضحاً أن في حد القصاص ما يمنع الناس من التفكير في القتل وإراقة دماء الناس إذا علموا أن دماءهم مهددة، وأن القصاص من ورائهم إن فعلوا ذلك، وعليه، فإن في القصاص حماية للدماء وحياة للناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)﴾ [البقرة]. وقد عرف حد الحرابة، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)﴾ [المائدة].

وقد حدث (أن رسول الله ﷺ أكرم أناساً من الأعراب جاؤه مرضى، وهم رهط من عكل وفدوا على النبي ﷺ، كانوا في الصفة فاجتووا المدينة، فقالوا يا رسول الله: ابغنا رِسْلاً، فقال ((ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله))، فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، فأتى النبي ﷺ الصريخ، فبعث الطلب في آثارهم فما ترجل النهار حتى أتي بهم، فأمر بمسامير فأُحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم أُلقوا في الحرة يستسقون فما سُقوا حتى ماتوا. قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله

ورسوله).[1] وقد عرف النبي ﷺ حاجة الناس إلى الأمان وأن لا يراعوا، فأمِن أعداؤه في مكة، حين دخلها فاتحاً، حيث أعلن: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن)).[2]

كان ﷺ واعياً لأهمية الأمن في حياة الناس، ولذلك كان من أوائل ما ذكر به الناس بعد الفتح تحريم سفك الدماء.[3] لقد كان الأمن للناس جميعاً في دولة الإسلام، منذ أن ظهرت إلى الوجود في المدينة المنورة، ولقد كان الأمن والسلام الشامل أول أهداف دولة الرسول ﷺ منذ قيامها.

إنه الجمع بين منع الجريمة، وإقامة الحدود على المجرم، وحفظ الحقوق، وتنظيم العدل، وإشاعة الأمن، وهذا أهم مطلب إنساني بعد الدين والتوحيد ومعه الرزق، وكلها وردت في إعجاز بين في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش]، إنها التوحيد والرزق والأمن مقترنة في هذا الإعجاز الرباني، ومربوطة ببيت الله وقبلة المسلمين رمزاً للمكان والنظام والدين في وقت واحد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب سَمْلُ النبي ﷺ أعين المحاربين، ج٨/ ١٩.

(٢) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر سيرة ابن هشام، ج٤/ ٤١٥.

بناء الآداب والأخلاق الاجتماعية[1]

إن المجتمعات البشرية عموماً والمجتمع العربي خصوصاً فسدت أخلاقهم، وأساء بعضهم إلى بعض واحتقر بعضهم بعضاً.[2] وكانت محاولات الرسول ﷺ لتغيير مجتمع مكة من الداخل قوية وجادة، بمحاولته نشر الإسلام وما يرتبط به من شريعة وبناء أدبي وأخلاقي وترابط إنساني، وعلاقات حميمة بين أفراد المجتمع عموماً، بداية بذوي القربى والآباء وأبنائهم في تلاحم بين الدين والمجتمع والأخلاق. وقد تعنتت قريش

(١) لعل من أجمل ما يطرح حول الموضوع ما جمعه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، من أبواب متفرقة في الأخلاق والصلة والسماحة والتعامل مع الجار والمسكين والأرحام وغير ذلك فيما يزيد على (١٢٨) باباً. انظر: صحيح البخاري، ج٧/ ٦٨ ـ ١٢٥.

(٢) للتوسع في هذا الموضوع راجع د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة في ثلاثة أجزاء من إصدار دار الغرب الإسلامي، بيروت طبعة ثانية، ١٤١٩هـ.

ومنعت الدعوة ووقفت في وجهها، وحاربت رسول الله ﷺ وآذته وأصحابه، ما دفعه للبحث عن مكان آخر لإقامة المجتمع المسلم المميز بأدبه وأخلاقه وتلاحمه، فكانت الهجرة إلى المدينة وبداية بناء المجتمع الإنساني المسلم الآمن،حيث توافد المهاجرون، وتآلفوا وتحالفوا وتآخوا مع الأنصار، ووجد بينهم ما عرف بنظام المؤاخاة الذي أظهر معادن المجتمع الصافي المتآخي كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

كان بناء التآلف والتآخي لجيل الصحابة ولأجيال الأمة كلها من بعدهم، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

لقد كانت تزكية النفس وبناء الأخلاق من صميم دعوة الرسول ﷺ جاءت في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة]. وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وكـذلـك قـولـه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

وقد جاءت تشريعات الإسلام على اختلافها لتقيم العلاقة الحسنة بين أفراد المجتمع،(١) وبين العائلة الواحدة، فقال ﷺ: ((البر حسن الخلق))،(٢) وقال: ((خياركم أحسنكم أخلاقاً)).(٣) وركز الإسلام على تحسين علاقة الأبناء بآبائهم والآباء بأبنائهم، حيث كان الأمر الإلهي ببر الوالدين يعني إصلاح العلاقة بين جيل وآخر، وإشاعة التراحم والتواصل. وقد كان بر الوالدين مقروناً بطاعة الله تعالى كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) انظر: الخولي، محمد عبدالعزيز، الأدب النبوي، عظات بالغة وحكم بالغة، ط١، دار القلم، بيروت ١٤٠٦هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ٢٥٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج٧/ ٨٢.

كما أكدّ القرآن على ذوي القربى وحسن العلاقة بهم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء]. كما كان رسول الله ﷺ على أعلى درجات الخلق كما وصفه الله تعالى في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، وأمر الله سبحانه الناس بالتأسي به في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. وقد قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).(١)

وكان ﷺ متواضعاً يعود المريض، ويتبع الجنازة ويجيب الدعوة ويكره أن يقوم له الناس، يتواضع مع الكبار والصغار، حتى أن الغريب إذا جاء وجده بين أصحابه غير متميز بجلسة. كان جواداً يأمر بالجود، كريماً يأمر بالكرم عفيفاً يأمر بالعفة والاستغناء عن الناس، شجاعاً، حليماً يأمر بالحلم، رفيقاً يأمر بالرفق، طيب الرائحة نظيفاً يأمر بذلك، ويأتي على رأس ذلك كله حسن الأدب مع الله سبحانه وتعالى، ابتداء بالتوحيد والرضا بعبوديته، وحسن الظن به والتوكل عليه، والخوف منه والرضا بما قسم، ورجاء ما عنده، وتقواه وخشيته في الغيب والشهادة، والأنس بذكره وشكره وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا

(١) صححه الألباني، انظر: مسند الإمام أحمد، ج٢/ ٣٨١؛ وعنده لأُتمّم صالح الأخلاق.

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال]. وفي قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]، وقد قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح]، وهو القائل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس]. وقد قال ﷺ مذكراً بحسن الأدب مع الله: ((استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعى والبطن وما حوى واذكروا الموت والبلى)).[1]

وقد قال ﷺ: ((فالله أحق أن يُستحيا منه من الناس)).[2]

ومن حسن الأدب مع الله الإنابة إليه، والاستغفار والرجوع والفرار إلى الله، كما قال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات]، وتذكّر أن النعم منه كما قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]، وتذكر كرمه وفضله وإحسانه ومراقبته لخلقه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا

---

(١) الإمام أحمد في مسنده، ج١/ ٣٨٧.
(٢) رواه البخاري في كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، ومن تستر فالستر أفضل، ج١/ ٧٣.

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ [النحل]. ومن حسن الأدب مع الله حسن الآداب مع القرآن كلام الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾ [الأعراف]. ومن الآداب التي تربت عليها الأمة الإسلامية حسن الأدب مع رسوله ﷺ في حياته وبعد مماته، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾ [الحجرات].

وقد أمر القرآن أصحاب النبي ﷺ باتباع أمره وعدم معصيته في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور]، وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]. وأكد على حسن الأدب مع الرسول ﷺ وأن لا ينصرفوا عنه إذا كان في أمر جامع إلا بإذنه ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

كما أمر الأمة بالسمع والطاعة لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

كان ﷺ يقول: ((من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأتيه منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده رسوله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)). [(١)]

---

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٠٣.

كان ﷺ زاهداً في الدنيا ويأمر بذلك، اتصف بأعلى الصفات التي تحث على النظافة واحترام شعور الآخرين في مأكله ومشربه وملبسه وشعره ومظهره، وكان يأمر بإشاعة المحبة والسلام بين الناس، قال ﷺ: ((ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالِسَ يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون)).[1] كما قال ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)).[2] وكان ﷺ يسلم على الصبيان إذا مرّ بهم.

وقد أمر الله بالاستئذان وإفشاء السلام كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ [النور]، وأكدّ القرآن في بنائه الأخلاقي للمجتمع على التواضع والسلام مع الناس في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان]، وقوله: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ [الإسراء]. ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل الصحابة، ج٤/ ٢١٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٤/ ١٩٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، ج١/ ٥٣.

كما كان ﷺ يأمر بالرفق وهو من أسباب الألفة في الأسرة والمجتمع فقال: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))،[1] كما قال: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه)).[2] وقد طبق الرسول ﷺ الرفق واللين مع الصحابة كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].

كان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة (رضي الله عنها)، وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الدهر)،[3] وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: (إن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/ ٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل الرفق، ج٨/ ٢٢؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٥٨، ١١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو الحديث الثالث عند البخاري في صحيحه، ج١/ ٣.

السوء).[1] ولما دخل ﷺ مكة فاتحاً كان متواضعاً مطأطأً رأسه بلا فخر ولا خيلاء.[2] وكان يقف مع المرأة الضعيفة والصبي يسمع إليهم ويحدثهم ويقضي حوائجهم.[3] ولعل حديث أنس رضي الله عنه يشرح ذلك في قوله: (كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، قال وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه أكاف من ليف)،[4] وكان لا يأنف أن يُردف معه رجلاً آخر أو صبياً، فكان كثيراً ما يردف أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) ويردف بعض نسائه أحياناً.[5] وقد قال ﷺ: ((إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد)).[6]

ويعمل ﷺ مع أصحابه في السفر فيحتطب ويقوم بجزء من العمل كغيره من الناس. وقد شارك في بناء مسجده، كما شارك أهله في أعمالهم المنزلية: ((يكون في مهنة أهله))،[7] وقد اعتاد على الحياء ﷺ ووصفه الله بذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ

(١) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ج١/ ٧٧.

(٢) انظر: فتح مكة من هذا الكتاب.

(٣) انظر: صحيح مسلم، باب قرب النبي ﷺ من الناس.

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب، (٣٢)، حديث رقم: ١٠١٧، ج٣/ ٣٣٧.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل جعلني الله فداك، ج٧/ ١١٦.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه، باب الحياء، حديث رقم: ٤١٧٩، ج٢/ ١٣٩٩.

(٧) من حديث عائشة (رضي الله عنها) عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ج٧/ ٨٣.

نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾ [الأحزاب].

وكان يدعو إلى الاعتدال في التوفيق بين الدنيا والآخرة، وأن لا تكون الدنيا وزينتها هم الإنسان الأول ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤)﴾ [آل عمران]. وقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ [الأعراف]. ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص]. وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ [البقرة].

لقد كان ﷺ حريصاً على معرفة الصحابة لحبه لهم، ولذلك حدّث معاذ بن جبل يوماً وقال: ((يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنْ في دُبُر كل صلاة أن تقول اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))،(١) قال ﷺ: ((إذا أحب أحدكم أخاه فَلْيُعْلِمْه))،(٢) كما كان يحث على كل ما يشيع المحبة بين الناس، كالزيارة والهدية،(٣) والابتسامة التي قال عنها: ((وتبسمك في وجه أخيك صدقة))،(٤) وعلمهم أن يحيي بعضهم بعضاً بالأفضل ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء]، وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام من الإسلام،(٥) كما وضع في صحيحه في كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ووضع الترمذي في صحيحه، باب ما ذكر في فضل السلام.(٦)

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٥/ ٢٤٥.

(٢) روه الإمام أحمد في مسنده، ج٤/ ٣٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر، ص ٣٤؛ ما جاء في قبول الهدية والإثابة عليها، حديث رقم: ١٩٥٣، ج٤/ ٣٣٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر، ص٣٦؛ وما جاء في صنائع المعروف من الحديث، رقم: ١٩٥٦، ج٤/ ٣٤٠.
جمع عبدالله نجيب سالم مرويات التبسم في السيرة النبوية في كتاب سماه «ابتسامات نبوية»، دار اقرأ الدولية، ط١، القاهرة ١٤٢٧هـ.

(٥) انظر: صحيح البخاري، باب ج٧/ ١٢٨.

(٦) صحيح البخاري، ج١/ ١٢؛ صحيح مسلم، ج٧/ ٢؛ وانظر: كتاب الاستئذان، ج٥/ ٥٢.

كما منع القرآن الكريم تميّز الناس بعضهم على بعض، وذكرهم بأصلهم الواحد وحرّم أن يسخر بعضهم من بعض في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، وأكّد على أخوة المؤمنين في قوله تــعــالــى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات] وأوجب الإصلاح بينهم في حال النزاع والوقوف ضد الباغي والاستمرار في الإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].

كما نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة،[١] وعن احتقار بعضهم بعضاً: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))،[٢]

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الغيبة، ج٤/ ٣٢٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر، باب (١٨)، ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، حديث رقم: ١٩٢٧، ج٤/ ٣٢٥؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٣/ ٤٩١.

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان]، وأمر الله بالعفو والصفح عن الناس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

كل هذه المساواة وتقدير الآخرين والإصلاح بين المتنازعين من أجل بناء مجتمع إسلامي أخلاقي متحد ومترابط ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالرحمة وأوصى بها، وأمر الناس بالتواصي بها، وقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧)﴾ [البلد].

كما قال ﷺ: ((إنما يرحم الله من عباده الرحماء)).[١]
وقال: ((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).[٢]
وأكّد على التراحم العام بين المسلمين وأن يسود المجتمع: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).[٣]

وقد كانت الصلاة أهم العبادات عند رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كان يتجوز فيها رحمة بالأطفال، فقد روى البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)).[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ٣٣، قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ج٢/ ٨١.

(٢) من حديث رواه الترمذي، كتاب البر، باب (١٦)، ج٤/ ٣٢٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة المسلمين، تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ج٨/ ٢٠.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب (٦٥)، من أخف الصلاة، ج١/ ١٧٢؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٣/ ٢٠٥.

وكان ﷺ رحيماً بالرقيق والموالي، جعل عتقهم من أعظم القربات، ومن أبواب مختلف الكفارات، وضيّق الإسلام أبواب الرق بعد أن كانت مفتوحة في كل الشرائع والنظم زمن النبي ﷺ وأوصى بهم ﷺ خيراً بقوله: ((إخوانكم خَوَلُكُمْ جعلهم الله تحت أيديكم، من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا يقل أحدكم عبدي وأَمَتي، ولكن ليقل فتاي وفتاتي)).[١]

إن هذا التراحم والآداب الإنسانية لم تقف عند المسلم والإنسان فقط، بل تعدتها تشريعات الإسلام إلى الحيوان ورحمته وإطعامه وعدم تعذيبه وقتله بلا رحمة وبلا فائدة، فكما قال ﷺ: ((في كل ذاتِ كَبِدٍ أَجْر)).[٢] وقال: ((من لا يَرحم لا يُرحم))[٣] وقد قال ﷺ: ((دخلت امرأة النار في هِرّة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها

---

(١) أحمد بن حنبل في المسند، ج٢/ ٢٤٧؛ ورواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج١/ ١٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ج٣/ ٧٧.

(٣) حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة، انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/ ٧٥؛ وانظر صحيح مسلم، حديث رقم: ٤٢٨٢.

ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)).[1] وقد قال ﷺ: ((لعن الله من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً)).[2]

كل هذه التعليمات في حقوق الحيوان سبق الإسلام بها العالم الحديث بقرون متعددة وهي من رحمة الله التي شرعها لعبادة المؤمنين به،المقتدين بهديه، ليكونوا رحمة لكل كائن حي، فما بالك بالإنسان.

وقد أكّد الإسلام على مساعدة الناس والوقوف مع المحتاجين منهم، ومنع الأذى عن بقية الناس رجالاً ونساءً فقال تعالى في آيات متصلة ببعضها: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥)﴾ [النور].

وأكّد القرآن على حسن التعامل مع الجار والإحسان إليه،[3] كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، ج٣/ ٧٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، ج٨/ ٣٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج١/ ٢١٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب العبد، باب النهي عن صبر البهائم، ج٦/ ٧٣.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، باب الوصاة بالجار، ج٧/ ٧٨، وهو حديث متفق عليه.

وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء]. كما قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)).[1] وقال ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه)).[2] كما قال ﷺ: ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن فقيل من هو يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جارُهُ بوائقَه)).[3] ولم يتوقف الأمر على المسلمين بل تعداه إلى غيرهم في أمر واضح وصريح في حسن التعامل معهم إن كانوا مسالمين في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٩)﴾ [الممتحنة].

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى الأسرى المقاتلين من الأعداء في قوله تعالى ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ج٧/ ٧٨، والحديث متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب الوصاة بالجار، ج٧/ ٧٨، والحديث متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب أثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج٧/ ٧٨؛ وهو حديث متفق عليه.

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى أسرى بدر وغيرها من المشركين، فكان المسلمون يطعمونهم مما يأكلون ويحسنون التعامل معهم مما أثر فيهم ودفعهم إلى الإسلام بعد ذلك.[1]

ومن أروع الأخلاق التي بنيت عليها الأمة، السخاء والعطاء،[2] وقد عرف العطاء في الأمة في كل المجالات، ومن ذلك العطاء المالي سواء من خلال الزكاة أم الصدقات التي قرنت مع الصلاة في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [المعارج]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل]، وقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ

---

(١) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٧/ ٨١.

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة]، وفي الحديث الشريف قال ﷺ: ((إن الله جواد يحب الجُود)).[1] وفي سبيل إبعاد الضغناء والتحاسد والبعد عن القتال لأجل المال قال ﷺ: ((اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)).[2]

إن هذا التوجيه الكريم لبناء الأمة ومجتمعها على الجود والعطاء كان يمارسه ﷺ من خلال حياته وسيرته، حتى عرف بأنه أكرم من على وجه الأرض، وكان يحث على الصدقة ولو بالقليل: ((اتقوا النار ولو وبشق تمرة)).[3] وقد كان المسلمون في زمانه يتنافسون في الصدقة والإنفاق على المحتاجين من المسلمين، وتجهيز جيوشهم وإكرام ضيوفه ﷺ، ويأتي في مقدمة هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جهز جيش العسرة.[4]

كما كان الوفاء بالعهد من أهم أخلاق النبي ﷺ والمسلمين عموماً طبقها الرسول في حياته مع أصدقائه ومع أعدائه ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

---

(١) من رواية الترمذي في صحيحه، كتاب الأدب، حديث رقم: ٢٧٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج٨/ ١٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ١٦٠.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ج٢/ ١١٤.

(٤) انظر: غزوة تبوك.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾ [المائدة].

وقد كان الرسول ﷺ يوادع ويعاهد عدداً من القبائل حول المدينة ويفي لهم بعهدهم، كما عاهد بعض يهودَ عند وصوله إلى المدينة ووفى لهم حتى خان بعضهم، وقد عاهد قريشاً في صلح الحديبية ووفى بعهده معهم، وإن كان في ظاهره ظلم لبعض المستضعفين من المسلمين، كما حدث عندما جاءه أحد مستضعفي المسلمين، وقد فرّ من قريش فقال: يا رسول الله إني والله لا أرجع أليهم أبداً فقال ﷺ: ((إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع))،[1] وحينما تحدث الخيانة من الطرف الآخر فقد شرع الإسلام نبذ العهد والإعلان عن ذلك صراحة لا خيانة كما يفعلون، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٨)﴾ [الأنفال].

---

(١) رواه أبو داود في سننه حديث رقم: ٢٧٥٨.

وأمر بإتمام العهد ولم ينقضه وأن يتم مدته، وقد جاء في سورة التوبة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة].

كما كان أداء الأمانة من أساسيات الأخلاق التي بني عليها الإسلام ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب]، وكان ﷺ مضرب المثل في قريش قبل البعثة وبعدها حتى أنهم كانوا يسمونه الصادق الأمين، وكان الصدق سلوكه وخلقه وصفه الله به في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر].

وكان ﷺ يحث على الصدق ويأمر به ويربي الناس عليه فقال: ((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب

ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً))،[1] كما حذر ﷺ: ((آية المنافق ثلاث، إذا حَدَّث كذبَ،وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان)).[2]

أما في مجال الأخلاق الاجتماعية الأسرية، فقد اعتنى الإسلام ببنائها آخذاً في الاعتبار احتمالات الخلاف، وتشابك العلاقات، ولذلك جاءت الشريعة وتطبيقاتها في مجال الأحوال الشخصية والشرائع الأسرية بما في ذلك علاقات الزواج والطلاق وما يصحبها من مُشاحة، ونفقة ومتاع وحضانة وتربية ورعاية ومسؤولية، وجعل هناك حقوقاً واضحة وحدوداً مرعية من كل جانب، لا يظلم أحد أحداً، ولا يعتدي أحد على حق أحدٍ.

وحذر المسلمين من تعدي تلك الأنظمة والقوانين الإلهية. ولعل ما ورد في سورة البقرة من تلك الأحكام والحدود يبين دقة التنظيم لهذه الجوانب ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب، ج٨/ ٢٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١/ ١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب آية المنافق ثلاث، ج١/ ٥٦.

أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ (٢٢٨) ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ
لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ
خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا
تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ
مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ
فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا
لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا
تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن
كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا
تَعۡلَمُونَ (٢٣٢) وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ
ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا
تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا
فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا
تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (٢٣٣) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ
أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا

عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقد جاءت قواعد أخرى مختلفة حول ما يرتبط بالزواج ابتداءً من الخطبة إلى الفراق وأمر الأزواج بحسن المعاشرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، وسميت سورة بالنساء لترفع من مكانتهن في نظر المجتمع، كما جعلت الشريعة المرأة ممثلة في الأم أغلى الناس وأحقهم بالبر لدى الإنسان، وجعلت الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة والسكن وهو أعظم معنى من الحب: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]. وأُمر الزوج بممازحة أهله ومداعبة زوجته، والتحبب إليها،

وأُمرت المرأة بطاعة زوجها،[1] وقد جاءت الأحكام الشرعية لتحريم العلاقة الجنسية، وما يؤدي إليها خارج إطار الزوجية، لما في ذلك من تجنٍّ على المواليد لغير آباء ومن إضعاف رباط الزوجية، وإفساد النساء على أزواجهن والرجال على زوجاتهم، إضافة إلى الأمراض الجسدية، واعتبر الزنا من الكبائر، بل وأمر الإنسان، رجلاً أو امرأة بغض البصر، وأن لا ينظر إلا إلى من أحلّ الله له من الزوجات والمحارم.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور].

وهذه الآيات جامعة في السلوكيات والأخلاق التي تجعل الرجل لا ينظر إلا إلى أهله، والزوجة كذلك، ولا يكون النظر للآخرين ليبعد الإنسان عن أي سبب يؤدي إلى علاقة محرمة،

---

(١) الكمداني، فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية ص٦٠.

فهي وقائية أولاً وعلاج مسبق لإيجاد الثقة بين الأزواج، وفي الوقت الذي بنى فيه الرسول ﷺ المجتمع المسلم على أفضل الأخلاق فإنه حذر من الأخلاق السيئة، ومنها ظلم الناس في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ: ((اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))،(١) كما حذر من الحسد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء]، كما حذر من الغش فقال: ((من غشنا فليس منّا))،(٢) وحذر ﷺ من الرياء كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

وحذر ﷺ من الرياء فقال: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء)).(٣) كما نهى عن الغرور والعُجب بالنفس وهو من أقوى المهلكات، كما قال ﷺ: ((ثلاث مهلكات؛ شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))،(٤) وقد أمر ﷺ أن لا يغتر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب اتقاء دعوة المظلوم، ج٣/ ٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا، ج١/ ٦٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، ج٥/ ٤٢٨.

(٤) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم ص١٧٠؛ وانظر: ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ص ٢٣٤.

الإنسان بماله أو عبادته أو قوته أو شرفه أو عمله، وقد أمر ﷺ ألاَّ يغتر بشيء من ذلك كما قال ﷺ: ((لن ينجي أحداً منكم علمه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)).[1]

كما كان ﷺ يكره الكسل ويتعوذ منه في قوله: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل)).[2]

ولعل من أهم ما قدمه الإسلام للمجتمعات البشرية العناية بالوقت وترتيبه، والتفريق بين عمل النهار وسكون الليل، واستغلال الأوقات فيما ينفع، وعدم إضاعة الوقت في ما لا فائدة منه. وفي تقسيم أوقات الصلاة وتحديدها بدقة تظهر عناية الإسلام بالوقت، الذي هو حياة الإنسان ومادتها، في توزيع دقيق ليومه وما يرتبط به من عبادة وعمل، وما يحتاج من راحة. وحق الإنسان على نفسه في هذا الترتيب هو كحق الله على الإنسان في العناية بالعبادات وتنظيم أوقاتها.

ومن الواضح لكل ذي لب عاقل أن هذه التشريعات والتطبيقات الأخلاقية في عصر الرسول ﷺ ومن خلال سيرته

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل الجنة بعمله، ج٨/ ١٣٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، ج٨/ ١٣٩.

ساهمت في ترابط المجتمع وتلاحمه، ومحبته للرسول ﷺ ولما شرعه الله سبحانه وتعالى.

ولم يقف تأثيرها عند ذلك العصر، بل امتدت بركتها في الأمة والإنسانية حتى يومنا الحاضر.

البناء العسكري[1]

بدأ الرسول ﷺ دعوته في مكة وجهر بها بعدما يقارب الثلاث سنوات من البعثة، وناله من قريش أذى كثير، كما نال أصحابه أشد العذاب حتى قتل بعضهم من شدة العذاب من أمثال عمار وسمية.

وكان الرسول ﷺ يواسيهم ويدعو لهم ويأمرهم بالصبر ويعدهم بالنصر والتمكين، ويمنعهم من القتال.

وبعد إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب عزّ المسلمون، ومع ذلك لم يؤمروا بقتال، ولم يتوقف الأذى عن المسلمين عموماً وعن الرسول ﷺ خصوصاً، حتى أن قريشاً حاولت قتله ليلة الهجرة فنجاه الله منهم.

---

(١) أُلِّف العديد من الكتب عن الجوانب العسكرية في حياة الرسول ﷺ منها: محمود شيت خطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن؛ والرسول القائد، ومحمد فتح الله كولن، الرسول قائداً، ومحمد ظاهر وتر، فن الحرب في عهد الرسول ﷺ. وغيرها كثير مما يصعب حصره.

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ومن معه من المهاجرين وانضمامهم إلى الأنصار في دار الهجرة أصبحوا ذوي عدد وقوة، ومع ذلك فإنهم لم يؤمروا بقتال في المرحلة الأولى، مع أن الجميع كانوا مستعدين لما يأمر به الرسول ﷺ، جاء ذلك على لسان الأنصار حينما بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية، وقالوا: والذي بعثك إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا فأجاب ﷺ: ((لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم)).(١)

كان معظم المهاجرين والأنصار من شجعان الرجال المحاربين المتمرسين بالقتال، وقد تزايدت أعدادهم وقويت شوكتهم وكانوا على استعداد للقتال بأمر رسول الله ﷺ، وجاءت الآيات القرآنية تأذن لهم بالقتال لرفع الظلم عن أنفسهم، ولتطلق تلك القدرات لدى الصحابة مع الاستمرار بعد ذلك في تنمية تلك القوة الناشئة فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ٤٤٨،

انظر: بيعة العقبة الثانية من هذا الكتاب.

مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

ونزلت بعد ذلك سورة الأنفال التي عرفت بسورة القتال، وفيها تشريعات عظيمة جهادية، وتتابعت الآيات بعد ذلك لتنمية القوة وإعدادها لدى المسلمين ومن ذلك: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

وأكدَّت الآيات حسن مصير الشهداء عند الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

كما أكَّدت آيات أخرى على أهمية الجهاد دون اعتداء: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة].

وتوالت التشريعات في مجال قتال المشركين والكفار طوال

حياة الرسول ﷺ ونالت أحكام الجهاد مكانتها عند علماء الشريعة حتى أُلفت في ذلك كتب وأبواب خاصة وفقه للجهاد.[1]

وقد كان تكوين الجيش زمن الرسول ﷺ بسيطاً، منظماً قوياً، بتسليح وتجهيز ذاتي من الأفراد في الغالب، وقد اعتمد الرسول ﷺ على أرقى الأساليب في إعداد قواته وجيشه، ومن ذلك استمرار التدريب والعمل الجاد للصحابة من خلال السرايا التي كان يبعثها من المدينة. وكان رجالها يقومون بأعمال عسكرية محددة الأهداف والطرق والقادة، بعضها للمناورة، وبعضها للقتال، وبعضها لاعتراض الأعداء وقطع الإمدادات عنهم. وكلها على اختلاف وجهاتها مع تحقيقها لأهدافها الخاصة ساهمت في تدريب وتطوير القدرات العسكرية لأصحاب النبي ﷺ، وزادت من قدراتهم القتالية والقيادية وتحملهم الشدائد واستعدادهم للتضحية والشهادة.

وقاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها ضد المشركين وحلفائهم، حتى فتح الله مكة، وضد يهود حتى أخرجوهم بعد خيانتهم من المدينة، وفتحوا خيبر. وبدأ المسلمون الانطلاق خارج الجزيرة العربية في معركة مؤتة، وفي غزوة تبوك، التي أثبتت تنامي القوة العسكرية تدرّجاً في حياة

---

(١) انظر: كوركيس عواد، مصادر التراث العسكري عند العرب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٢هـ، ٣ مجلدات.

الرسول ﷺ حتى غيرت مجري التاريخ الإنساني، بانطلاقتها في الفتوح الكبرى على يد الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول ﷺ، بقيادة أصحابه وجنودهم الذين تولى ﷺ تدريبهم وتربيتهم ليحقق الله فيهم ما وعد في قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]، وقد طبقوا ما قال الله لهم ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة]، كما نفذوا ما أمروا به في قوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

ويمكن تلخيص أهم ملامح النظام العسكري لدولة الرسول ﷺ في نقاط منها:

- أن الرسول ﷺ كان يقود الجيوش بنفسه ويشاركهم الجهاد والتضحية، وأنه أصيب في بدنه، وجاهد بنفسه وتعرض للخطر كغيره من الجنود، كان يتعب معهم، ويواسيهم ويداوي جراحهم، لا يتكبر ولا يتجبر، بسيطاً في تعامله رحيماً بجنده.

ـ كان ﷺ يختار الأكفاء في القيادة العسكرية للمهمات العسكرية، وإن كان فيهم من هم أقدم إسلاماً أو أكبر سناً، كان يؤمِّر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه، لأنه أيقَظُ عيناً وأبصَرُ بالحرب.[1]

ـ كان ﷺ لا يجبر أحداً من المسلمين على الانضمام إلى الجيش، ولا يُكره على ذلك، مع أنه كان يحبب لهم الجهاد بالمال والنفس، ويضرب لهم الأسوة بنفسه، ويذكرهم بموعود الله للمجاهدين عموماً وللشهداء خصوصاً فكان جند الرسول ﷺ أعلى جنود الأرض معنوية واسماهم أهدافاً وأكثرهم رحمة بالخلق، وحماسة في أداء الواجب.

ـ كان جميع جنود الرسول ﷺ من المتطوعة، الذين يؤمنون بالجهاد معه، ولا ينتظرون مقابل ذلك راتباً أو أجراً دنيوياً، وكانوا مسؤولين عن إعداد أنفسهم بالسلاح والتموين اللازم للرحلات العسكرية والسرايا والغزوات الجهادية، باحثين عن رضا الله ورسوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾ [الصف]. كانوا يكلَّفون بمهامهم كل حسب قدرته، منهم الفارس والراجل، ومنهم الرامي وحامل الراية، ومنهم المسؤول عن الاستطلاع، ومنهم

(١) انظر: ما سطره ابن تيمية في كتابه الرائع (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) تحت عنوان: اختيار الأمثل فالأمثل، ص ٢٥.

المسؤول عن السقاية، ومنهم الراعي، يكمل بعضهم بعضاً، الكل مجتهد في قتال أعداء الإسلام، مستعد للتضحية في سبيل الله وطلب رضاه، واعتبر الفرار أو التولي يوم الزحف من الكبائر العظيمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال].

ومع أن التمويل المادي للجند ذاتيٌّ في الغالب فقد رَغَّب الله سبحانه وتعالى في النفقة على المجاهدين وبذل المال مع النفس في هذا الأمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف]. ولذلك عرف عدد من الصحابة بكثرة نفقاتهم على المجاهدين في سبيل الله وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة تبوك،[1] وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بطلحة الجود لتبرعه الكثير في إحدى الغزوات. وقد شاركت النساء مع الرجال في الإعداد المالي والتموين وفي السقاية ومداواة الجرحى.[2]

وما يصيبه المسلمون من أموال الأعداء له طريقته ونظامه في التقسيم، فمنه الغنيمة وهي: (ما غلب عليه المسلمون

---

(١) انظر: غزو تبوك من هذا الكتاب.

(٢) عبد العزيز السلومي، ديوان الجند ص ٣٧٣.

بالقتال حتى يأخذوه عنوة)،[1] وكذلك عرف الفيء وهو: (ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب).[2]

وقد كانت الشريعة واضحة في تقسيم ما يصيبه المسلمون من الأعداء، فالغنيمة يعطى منها المقاتلون، ويُبدأ بمن قتل قتيلاً فله سلبه،[3] ثم يؤخذ بعد ذلك الخمس لله وللرسول يضعه رسول الله ﷺ، حيث يشاء لمصلحة الأمة فيما يراه، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]. وفي قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال].

وأما الفيء وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) يحي بن آدم، الخراج ص ١٧.

(٢) يحي بن آدم، الخراج ص ١٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الوقعة، ج٤/ ٥١؛ وباب «من لم يخمس الأسلاب» و«من قتل قتيلاً فله سلبه»، ج٤/ ٥٧.

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

الخراج في عصر عمر ومن بعده عُمِل به عملَ الفيء أي قُسِّمَ على مصالح الأمة تحت نظر الخليفة، بعدل ونظام يعم المسلمين ومصالحهم، بعيداً عن مصالح الخلفاء الخاصة، عملاً بسنة رسول الله ﷺ، كما حصل في أموال بني النضير بعد أن غنمها رسول الله ﷺ، (١) وقد ألفت كتب في هذه الأحكام التي سارت عليها الأمة في زمن الراشدين ومن جاء بعدهم. (٢)

اهتم الرسول ﷺ بالسلاح والتدريب عليه، فقد كان يقتنيه ويستعمله، فقد استعمل السيف والرمح ورمى بالقوس ولبس الدرع والمغفر وقال: ((إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي

(١) تفسير ابن كثير، ج٢/ ١٨٤٥، ١٨٤٦.

(٢) انظر: أبو يوسف كتاب الخراج، ويحي بن آدم، كتاب الخراج، وابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، والماوردي، الأحكام السلطانية.

وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)).[1] وحثّ الرسول ﷺ على صناعتها فقال: ((إن الله عزّ وجل يُدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة، صانِعَه يَحتسِب في صنعته الخير، والمُمِدَّ به، والرامي به)).[2] كما قال ﷺ: ((تعاهدوا قِرنكم فلا تزال مملوءة نبلاً أبداً)).[3]

وتصنيع السلاح[4] وإعداده جزء من إعداد القوة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]. وكان بعض صغار الصحابة يبرون النبال ويُعدونها، فإذا قيل لأحدهم أين كنتَ؟ قال: كنت أبرئ النبل وأُريشها.[5] وكان بعض الصحابة يصنع النبال فيأتي بها المسجد للتصدق بها.[6] وبعض الصحابة يقتني عدداً كبيراً من السلاح لحاجته ولحاجة الآخرين في الغزوات فيعيرها لهم.

وقد عمل الرسول ﷺ على صناعة دبابة لمهاجمة أسوار

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، ج١٢/ ٥٦.
(٢) الدارمي، في سننه ج٢/ ٢٤.
(٣) انظر السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام ورقة ٥٣.
(٤) انظر: عبد العزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، (تصنيع السلاح)، ص ٢٠٧.
(٥) الطبري، تاريخه ج٣/ ١٨٧.
(٦) السخاوي، القول التام ورقة ٩٣.

الطائف أثناء حصارها،[1] كما عمل ﷺ منجنيقاً أثناء حصار الطائف رماهم به.[2]

كان أصحاب النبي ﷺ يمارسون التدريب على السلاح باستمرار بناءً على توجيهه ﷺ وكان يشهد ذلك معهم وخصوصاً الرمي، حتى أنهم كانوا في بعض الأيام يترامون عامة اليوم.[3]

وقد بيّن أهمية التدريب فقال: ((كل شيء يلهو له الرجل إلا رمي الرجل بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وقال من ترك الرمي بعد ما عُلِّمَه فقد كفر الذي عُلِّمه))،[4] كما اتضح من أدلة عديدة تَدَرُّبُ الصحابة على الرمي وركوب الخيل ومسابقتهم به أمام رسول الله ﷺ،[5] حتى عرف مكان سباقهم في المدينة بالسبق وعرف مسجد في المنطقة بمسجد السبق.[6]

ويمكننا القول إن التنظيم العسكري وما يرتبط به من استعدادات وجيوش وسلاح في العصر النبوي شمل الهندسة

---

(١) عبد الحي الكناني، التراتيب الإدارية ج١/ ٣٧٤.

(٢) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين ص ٤٧٠.

(٣) السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام، ورقة ٨٢؛ د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ص ٢١٨.

(٤) الدارمي، سننه ج٢/ ٢٠٥، والترمذي سننه ج٤/ ١٧٤؛ وابن القيم، الفروسية، ص ٢٠.

(٥) انظر: ابن القيم، الفروسية ص٥.

(٦) انظر: عبد العزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/ ١٦٠.

العسكرية وما يتبعها من إعداد خاص سواء كان المباني العسكرية أو التحصينات المختلفة.

فقد كان في المدينة عدد من الحصون التابعة للأنصار كان لها دورها في حماية النساء والذراري وغير والمقاتلين في الغزوات التي استهدفت المدينة، مثل حصن فارع(١) وغيره وكانت المدينة تفتقد إلى سور عام يحميها من الأعداء زمن الرسول ﷺ ولذلك اعتمدت على الحصون والآطام، وقد وجدت حصون كثر عند يهود المدينة، الذين دخل الرسول ﷺ في حرب معهم، ونصره الله عليهم، رغم حصونهم القوية فقد نصر الله نبيه عليهم ومكنه منهم يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر]. وفي قوله تعالى عن بني قريظة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٢٢٨؛ والفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣٩؛ وانظر: إلى هذه الآطام مفصلة في كتاب أحمد بن عبد الحميد العباسي، عمدة الأخبار، ص ٢٣٢ ـ ٤٣٧؛ وما كتبه الدكتور عبد العزيز كعكي في موسوعته الرائعة عن معالم المدينة المنورة في العمارة والتاريخ، الجزء الثالث الأسوار والأبواب والقلاع والأبراج، م١/ ١٧٥.

كما وجدت حصون أخرى لدى يهود خيبر فتحها الرسول ﷺ الواحد تلو الآخر،[1] كما وجدت حصون أخرى في وادي القرى وتيماء عالج الرسول ﷺ أهلها حتى أسلموا له.[2]

وحينما غزت قريش ومن معها من الأحزاب المدينة المنورة سبقهم الرسول ﷺ بعمل الخندق المشهور حولها، حيث أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بذلك، فقام ﷺ بنفسه بدراسة جغرافية المكان وحدد نقاطاً يتم الحفر بينها لوضع حزام من الخندق المحفور حول المدينة، يمنع دخول الأعداء من الأحزاب. وقد قام الرسول ﷺ بتقسيم العمل على فرق محددة من الصحابة وحفر الرسول ﷺ بنفسه معهم حتى علاه الغبار كغيره من أصحابه، وكان من أشدهم عملاً. وكان ينشد معهم أثناء الحفر، وكان الخندق كافياً لمنع هؤلاء الغزاة من دخول المدينة، وتحصيناً سريع الإنجاز عظيم الفائدة لا يقل عن بناء الأسوار الذي يحتاج جهداً ووقتاً أكبر.[3]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/ ٣٣٧ والواقدي، المغازي ج٢/ ٦٧٠.

(٢) انظر: د. عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ص ١٩٠.

(٣) انظر: غزوة الأحزاب من هذا الكتاب.

وانظر: عبد العزيز العُمري، الحرف والصناعات في العصر النبوي ص١٩١.

دولة الرسول ﷺ والسلام العالمي

قامت دولة الرسول ﷺ على السلام لمن هم تحت لوائها، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين، ضمنت لهم العدل والأمان وحماية دين الله من المعتدين. وقد توسعت بالتدرج حتى شملت بلاد العرب قاطبة وامتدت لعلاقات خارجية سواء ما كان مع القبائل العربية أو مع الدول المجاورة.

وكان ﷺ منذ بعثته وقبل ذلك يدرك القوى العالمية المجاورة وحتمية الاحتكاك بالدول والمجتمعات والقبائل التي تعارضه، ولذلك فإن اختياره الحبشة لهجرة أصحابه كان عن دراية تامة بأهلها ونظامها وملكها، ولذلك طلب ﷺ من أصحابه الهجرة إليها وأفادهم: ((إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد))،[1] وثبت ما قال ﷺ. كما عرض نفسه على مختلف القبائل قبل

---

(١) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

الهجرة، سواء في مكة أثناء موسم الحج أم في الأسواق والمواسم في بلاد العرب،[1] وهذا تأكيد للعلاقة الخارجية. وبعد الهجرة كاتب ﷺ ملوك وقادة وزعماء الدول والقبائل بما في ذلك كسرى فارس وقيصر الروم[2] أعظم دولتين في العالم حينها. وكانت رسائله ﷺ واضحة في تبليغ الرسالة والسلام لمن سالم مصدِّراً ذلك في كل كتبه: بـ«السلام على من اتبع الهدى»، حيث كانت كلمة السلام هي الأولى من ألفاظه، وكان يخبر ﷺ أصحابه باستمرار بان دعوته ستصل إلى كل مكان: ليبلغنّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وذلك تأكيداً لعالمية رسالته: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

والمطّلع على رسائل الرسول ﷺ للملوك والزعماء يدرك هذا البعد وحرصه على السلام البشري للناس كافةً،[3] وأن ما وضعه الله ورسوله من شرع ونظام كفيل بالسلام للجميع حتى لو لم يدخلوا في الإسلام، لكن شرط أن لا يعتدوا على المسلمين

---

(١) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل.

(٢) انظر: كتبه ﷺ للملوك والزعماء، في موضعه بعد غزوة الحديبية، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، رسائل ورسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار سعد الدين، دمشق ١٤٢٥هـ.

الخالدي: صلاح عبد الفتاح، الرسول المبلغ ﷺ، دار القلم، دمشق ١٤١٨هـ ص٩ ـ ١٢.

أو يصدوا الناس عن سماع الإسلام واتباعه؛ إنه الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ.[1]

إنها النظرة العامة للعالم، والعلاقة به المبنية على السلام وتبليغ الرسالة وحملها للناس كافة، وصعوبة الانعزال عن المجتمعات البشرية وضرورة الاحتكاك بها،[2] وتبليغها الخير والأخلاق والسلام الذي جاء به الإسلام[3] وإمكانية التعايش مع المخالفين في الدين في ضوء حفظ الحقوق للجميع، بما فيها من حق الزكاة على المسلمين والجزية على غيرهم داخل دولة الإسلام، ومن منع الزكاة فهو مخالف للنظام والشرع، وكذلك من منع الجزية، والتعاون في دفع الظلم ومد وإقامة الجسور الاقتصادية مع سائر المناطق والشعوب المجاورة وحفظ طرق القوافل التجارية وإقامة العهود والمواثيق مع الدول والجماعات والقبائل وحفظها، وكانت واجبة التنفيذ من منطلق ديني وشرعي قابلة لمختلف الشروط التي يتم الاتفاق عليها.[4] وقد ألفت كتب عدة في هذه الوثائق والمعاهدات النبوية يمكن الرجوع إليها.[5]

---

(١) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

(٢) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٦.

(٣) انظر: قلعة جي، محمد رواس، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ط٢، دار النفائس، بيروت ١٤٢٠هـ، ص٣٠٤.

(٤) انظر: د. عبد الوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٥) انظر: ما احتواه كتاب د. محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة من وثائق عالمية عن عصر الرسالة.

وفاة المصطفى ﷺ (1)

جاء الرسول ﷺ ليعلم الناس عبادة الله والاستعداد لليوم الآخر ولقاء الله، وكان يذكرهم بالموت ويوم المعاد، وقد وردت لفظة الموت ومشتقاتها في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن الكريم ومنذ بداية البعثة والقرآن يذكِّر النبي ﷺ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى].

وجاءت الآيات القرآنية لتعلن صراحة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر]،

(1) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾؛ ووضع ابن أبي شيبة، في كتاب المغازي، ما جاء في وفاة النبي ﷺ، ص٤٠٩؛ كما أُلِّف العديد من الكتب في وفاة النبي ﷺ، وأخر ما كان منها: أحمد جاد؛ وفاة الحبيب، وأبو تراب الظاهري؛ ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ وغيرها.

وترد الآيات على كفار قريش الذين كانوا ينتظرون وفاة الرسول ﷺ لتنتهي دعوته كما زعموا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ (٣٤)﴾ [الأنبياء]. وهذا الأمر مبدأ عام لكل البشر والخلق: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء]، وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ [القصص]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [الجمعة]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٦٨)﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾ [النساء].

كما كان واضحاً أنه ﷺ كان يودع أمته ويؤكد على ذلك أكثر من مرة في حجة الوداع ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))، فطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع.[١]

---

(١) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

كما أنه ﷺ حين ودع معاذ بن جبل قبل سفره إلى اليمن، قال: ((يا معاذ عسى إنك لا تلقاني بعد عامي هذا فتمر بقبري ومسجدي))،[1] فبكى معاذ رضي الله عنه.

في الوقت الذي هيأ فيه رسول الله ﷺ نفسه للقاء ربه واستعد لذلك كان القرآن يعد أصحابه وسائر الأمة لفراقه والثبات على دينه من بعده: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وكانت هذه الآية من مثبتات الصديق رضي الله عنه عند وفاة الرسول ﷺ تلاها على الناس فكانت عوناً في تهدئتهم وثباتهم، وقد قال ﷺ لابنته فاطمة ((إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضني به العام مرتين، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي)).[2]

وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: ((سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك)) قالت: قلت يا رسول الله: ما هذه الكلمات أراك أحدثتها تقولها قال: ((جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٤/ ٢١٠؛ وصححه الألباني في السلسلة، برقم: ٢٤٩٧.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٦٢٤؛ ورواه مسلم في صحيحه.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر])). [1]

وكما كان رسول الله ﷺ حريصاً على توديع الأحياء، فقد كان كذلك حريصاً على زيارة قبور الأموات من المسلمين في آخر أيامه، فقد زار ﷺ قبور شهداء أُحُدٍ كالمودع لهم، حيث ورد عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ صلَّى على قتلى أُحُد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: ((إني بين أيديكم فَرَطٌ ـ أي متقدِّمُكم إلى الماء ـ، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)). [2] فقال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ. [3]

كما حرص رسول الله ﷺ على زيارة مقبرة البقيع والدعاء لأهلها؛ ورد في حديث أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج٢/ ٥٠، وانظر: تفسير ابن كثير، سورة النصر، ج٢/ ٢٠٤٣.

(٢) العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥٤؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، وكتاب المغازي، باب أُحُدْ جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم: ١٣٤، ٤٠٨٥.

بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: ((يا أبا مويهبة إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي))، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: ((السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقِطْع الليل المظلم، يتبع آخرُها أولَها، الآخرة شرٌ من الأولى))، ثم أقبل عليَّ فقال: ((يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنّة، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة))، قال: فقلت: بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: ((لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة))، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجَعُه الذي قبضه الله فيه.[1]

شكوى رسول الله ﷺ

في أواخر شهر صفر وقبل وفاته ﷺ بنحو خمسة وعشرين يوماً بدأت شكوى رسول الله ﷺ، وكان صابراً محتسباً لا يشتكي لكن مناسبة أظهرت شكواه، ذلك أنه ﷺ كان راجعاً من زيارة أصحاب البقيع، فاشتكت له أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) من صداع في رأسها (تقول عائشة زوج النبي ﷺ: رجع

(١) العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥٣، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٦٢.

إلي النبي ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً وأنا أقول: وارأساه، قال: ((بل أنا والله يا عائشة وا رأساه))،[1] قالت: ثم قال: ((وما ضرك لو مِت قبلي فغسلتك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟)) قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلتَ ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرسْتَ فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ وتتامّ به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه، فأستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأَذِنَّ له).[2]

نعم كانت بداية شكواه وشعور أمهات المؤمنين بها في ليلة محددة، بمناقشة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) له بعد عودته من البقيع.

ورد عن أم الفضل بنت الحارث قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ثم ما صلّى لنا بعدها حتى قبضه الله.[3] ولعل حديث أم الفضل يشير إلي مغرب الليلة التي اشتدّ فيها وجع رسول الله ﷺ كما ذكرت عائشة رضي الله عنها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه،كتاب المرض، باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو أشتدّ بي الوجع، ج٧/٨، وانظر: الرواية الأخرى في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٢، وأنظر:كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج٨/ ١٢٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٤٣؛ وانظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٤٤٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (باب مرض النبي ﷺ ووفاته)، ج٥/ ١٣٧.

ولعل هذا اليوم هو يوم الاثنين قبل وفاته بأسبوعين كما ذكر بعض العلماء.[١]

اشتداد المرض على رسول الله ﷺ

كان عند رسول الله ﷺ قبيل موته تسع من أمهات المؤمنين، وكان يرتاح أكثر عند أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وحين مرض ﷺ كان حريصاً على إعطائهن حقهن من المبيت، رغم ما في ذلك من إزعاج له بالتنقل اليومي حال المرض، ولما اشتدّ عليه المرض كان يسأل: ((أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة، فأذِنَّ له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها)).[٢] وتوضح بعض الروايات كيفية انتقاله ﷺ للتمريض في بيت عائشة. ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي، فأذِنَّ له فخرج وهو بين رجُلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباسٍ ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمِّ عائشة؟ قال: قلت: لا قال ابن عباس: هو

(١) من رواية البخاري،ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٦٠.

(٢) من حديث البخاري، في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٢.

عليٌّ،[1] كان انتقال علي والعباس برسول الله ﷺ لحجرة عائشة دليلاً على قربهما من رسول الله ﷺ وعلى مكانة عائشة وراحته ﷺ عندها. وقد بقي ﷺ في حجرة أم المؤمنين عائشة آخر أيامه، وكانت أمهات المؤمنين وآل البيت من أمثال العباس وعلي بن أبي طالب يترددون عليه ويسعون لخدمته بما يستطيعون، وكان يخص بعضهم بالحديث لما لهم من مكانة عنده ولحبه الخاص لهم. ومن هؤلاء إبنته الوحيدة المتبقية فاطمة رضي الله عنها أم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة أشبه الناس بأبيها رسول الله ﷺ.[2]

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بكل صدق وأمانة موقفاً يبين مكانة فاطمة (رضي الله عنها) من رسول الله ﷺ وما خصها به من علم لم يعطه أحداً آخر، فقد روى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل أهل بيته يتبعه، فضحكت.[3]

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٠.
(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٣٨.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٣٨.

وقد أورد البخاري تفصيلات أكثر عن هذه الحادثة برواية عائشة (رضي الله عنها) قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشيّ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ((مرحباً بابنتي)) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرّ إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك.[1]

إن هذه الحادثة والرواية تعطى وضوحاً تاماً في خصوصية فاطمة (رضي الله عنها) بالعلم وإخبار الرسول ﷺ لها أنها سيدة نساء أهل الجنة، كما أن عائشة (رضي الله عنها) كانت صادقة في النقل عن رسول الله فها هي تحدث بفضائل فاطمة، في كتاب المناقب عند البخاري رحمه الله وعند غيره.[2] وما خصَّ

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم: ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ٣٦٢٥؛ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٥٠ ـ ٩٩؛ والترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم: ٣٩٦٤.

(٢) انظر ترجمة فاطمة رضي الله عنها في؛ المعايشون للرسول ﷺ من هذا الكتاب.

به رسول الله ﷺ فاطمة، وهذا من أكبر الأدلة على الصلة الصحيحة الحقة بين أمهات المؤمنين وبين بقية آل بيت النبي ﷺ، فمعظم الأحاديث في فضل فاطمة وعلي رضي الله عنهما وردت برواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ولعل في تمريض الرسول ﷺ في بيت عائشة حِكَمَاً متعددة، فبالإضافة إلى راحة النبي ﷺ النفسية عندها ومعرفتها لما يريد قبل أن يتكلم، فقد كانت أكثر أمهات المؤمنين حفظاً لما يقول ﷺ وهو في أيامه الأخيرة. ومن المواقف الأخرى الخاصة بفاطمة رضي الله عنها أنه لما ثقل النبي ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها: وا كَرَبَ أباه فقال ﷺ ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)).[1]

كما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: ((وددت لو أن عندي بعض أصحابي، قلنا: يا رسول الله ﷺ ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، فقلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: نعم. فجاء، فَخَلا به فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير)).[2]

وقد ورد أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه، فكانوا يرونه ذلك اليوم.

---

(١) من حديث البخاري في صحيحه، ج٥/ ١٤٤.

(٢) رواه ابن ماجة، في المقدمة، ص ١١٣، وابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٦٦، وصححه الألباني؛ انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٧٦.

وقد ورد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ((يا عثمان إنه إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قَمَصَك الله فلا تخلعه، يقول ذلك ثلاث مرات)).(١)

وقد ثبت عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال لما ثقل رسول الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس بالمدينة فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي.(٢) ومن المعروف أن أسامة بن زيد رضي الله عنه كان مكلفاً في تلك الفترة وقبل مرض النبي ﷺ بقيادة جيش البلقاء.

وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسَسْتُه بيدي فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال ﷺ: أجل، ثم قال ﷺ: ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)).(٣)

---

(١) من رواية الترمذي في صحيحه، المناقب، ص ٣٧٠٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥١؛ رواه الترمذي، كتاب المناقب، ج٣٨١٧؛ ورواه أحمد في مسنده، (٢١٢٤٨)؛ وقد جعل البخاري في صحيحه، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه، بعد باب وفاة النبي ﷺ، انظر: الأحاديث: ٤٤٦٨ ـ ٤٤٦٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب شدة المرض حديث رقم ٥٦٤٧، وباب «أشد الناس بلاء الأنبياء»، حديث رقم ٥٦٤٨، ٩٢٧.

وفي أثناء مرض الرسول ﷺ مرّ أبو بكر بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله ﷺ، فدخل العباس على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد: أيها الناس فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مسيئهم)).(١)

ومن الخطب التي نقلت عنه ﷺ في مرضه ما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسَه بخرقه، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((إنه ليس أحد من الناس أمنّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)).(٢)

ولا شك أن هذه الرواية من ابن عباس رضي الله عنه فيها رد على من

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، ج٤/ ٢٧٧ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة ج١/ ١٢٠، وأحمد في مسنده، ج١/ ٢٧٠؛ انظر: رواية مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٥٣٢).

يدعي وجود خلاف بين أبي بكر ﷺ وبين آل البيت، فها هو أحد علماء آل البيت يتحدث عن فضائل أبي بكر الصديق في كلام من آخر ما تحدث به رسول الله ﷺ إلى الأمة.

وورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال: ((إن الله خيَّر عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله))، فبكى أبو بكر ﷺ، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خيَّر عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا، قال: ((يا أبا بكر لا تبك إن من أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وفي ماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باباً إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر)).[١]

وقيل إن الصديق ﷺ لما فطن لكلام رسول الله ﷺ بكى وقال: (بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة)،[٢] وهذا دليل على أنها آخر خطب الرسول ﷺ.

ومن هذه الخطبة والتورية من رسول الله ﷺ فهم الصديق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الخوخة والممر في المسجد، حديث رقم: ٤٦٦؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٦٤٩.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة، باب وفاة النبي ﷺ، ج ١/ ٣٦.

وداع النبي ﷺ وقرب أجله، فبكى وأعلن استعداده لفداء رسول الله ﷺ بكل ما يستطيع، فإذا برسول الله ﷺ يبادله الشعور ويثني عليه ويعطيه فضلاً ناله وحده رضي الله عنه، وهو أن تكون خوخته هي الباب الوحيد الذي يبقى مباشرة للدخول على مسجد رسول الله ﷺ. وهذا فيه إشارة إلى أنه سيكون إمام المسلمين للصلاة بهم بعد رسول الله ﷺ وهذا ما حصل بعد ذلك.

وقد اجتمع عليه ﷺ أهل بيته وقد اشتدّ به الوجع،[1] فتشاوروا فيما بينهم، فقرروا أن يلدُّوه بدواء جيء به من الحبشة (أي يدخل دواء في جانب فمه) وهو دواء خاص بذات الجنب، فأشار إليهم ﷺ أن لا يفعلوا ذلك، فقالوا كراهية المريض للدواء، فأمر رسول الله ﷺ أن يُلدَّ كل من شهد ذلك ((لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إليه إلا العباس، فإنه لم يشهدكم))،[2] وقد أراد رسول الله ﷺ من القصاص منهم تطهيرهم، خشية أن يأتوا يوم القيامة ويحاسبوا على فعل عصوا فيه رسول الله ﷺ فكان حريصاً على التكفير عنهم بالقصاص رحمة بهم، لا انتقاماً كما يظن البعض.[3]

كما ثبت أنه حين اشتد عليه وجعه قال: ((هريقوا عليَّ من

---

(١) انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٦٤.

(٢) من رواية البخاري في كتاب المغازي، حديث رقم: ٤٤٥٨.

(٣) انظر الزرقاني، المواهب اللدانية بالمنح المحمدية، ج٣/ ٣٧٩؛ وما بين القوسين من لفظ البخاري، حديث عائشة رقم: ٤٤٤٢.

سبع قِرَبٍ لم تُحَلّ أَوْكيتُهنّ لعليّ أعهدُ إلى الناس))، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ، قالت ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم)).[١]

كما ثبت عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه).[٢]

وكان من سنته ﷺ أن ينفث على نفسه في صحته ومرضه ﷺ، وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها): (أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وامسح بيد النبي ﷺ عنه).[٣]

وقد ورد أنه ﷺ كان يشتكي من السم الذي أكله في شاة اليهودية، في الطعام الذي صنعته لرسول الله ﷺ في خيبر، وأرادت به قتله ﷺ، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مـــات فيـــه: ((يا عائشـــة ما أزال أجد ألم الطعام الذي

---

(١) من حديث البخاري، رقم: ٤٤٤٤، عن عائشة (رضي الله عنها).
(٢) من حديث البخاري، رقم: ٤٤٤٢.
(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٤٣٩.

أكلت بخيبر أو إن وجدت انقطاع أبهري في ذلك السم)).[1]

وفي الأيام الأخيرة اشتدّ الألم برسول الله ﷺ، وكان يجتمع عنده أهل بيته وخصوصاً أصحابه للسلام والاطمئنان عليه. وكان من لم يدخل عليه يسأل من دخل عليه وأن علياً رضي الله عنه (خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال: أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده العباس رضي الله عنه فقال: أنت، والله بعد الثلاث عبْد العصا، والله إني لأرى رسول الله سيتوفى في وجعه، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت فاذهب بنا إلى رسول الله فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا، قال علي: والله لئن سألناها رسول الله فيمنعنا لا يعطيناها الناس أبداً وإني لا أسألها رسول الله أبداً).[2]

وهذه الرواية تدل على إحساس العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ بحال النبي ودنو أجله، وخوفه مما قد يحدث لآل البيت بعد وفاة النبي ﷺ، كما أنه يؤكد على أنهم لا يعلمون فيمن يكون الأمر والخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأن العباس يرى الاستفسار عن ذلك، ولكن علياً رضي الله عنه رأى عدم سؤال رسول

---

(١) رواه البخاري، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم: ٤٤٢٨.

(٢) رواه البخاري عن كعب بن مالك، حديث رقم: ٤٤٤٧؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٦٥٤.

الله ﷺ، مع أن الأمر لم يكن واضحاً بالنسبة لعلي والعباس (رضي الله عنهما)، وقد وردت أحاديث أخرى تدل على أن رسول الله ﷺ أراد أن يكتب كتاباً للناس من بعده، إلا أن خلافاً حدث في من عنده.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: ((هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حَسْبُنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ، قوموا)). قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.[(١)]

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه تحدث بما كان يريد أن يكتب، فقد روى البخاري قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: ((دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه))،

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٣٢.

وأوصاهم بثلاث قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها)).[1]

ومن الواضح من هذه الرواية لابن عباس أحد علماء أهل البيت ما هي الوصايا التي أرادها ﷺ، ولم تكن الخلافة من بعده موضوع تلك الوصية، ولو كانت موضوعها فإنه لم يكن فيها تحديد لشخص بعينه لا لعلي رضي الله عنه ولا لأبي بكر رضي الله عنه، بل ربما أشارت بعض الأحاديث أنه كان سيوصي لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده من غير قدح في عليّ ولا في غيره، وأنه كان ألمح إلى ذلك في مواقف أخرى سيأتي ذكرها، إلا أنه لم ينص عليه ﷺ ولو كان سينص على ذلك لعلي رضي الله عنه أو غيره لما ترك هذا الأمر إلى ساعات مرضه الأخيرة، ولكان ذَكره أكثر من مرة خصوصاً قبل المرض، لأهمية الأمر.

ومن المعروف أنه ﷺ خطب الناس أكثر من مرة ولم يذكر أو يشر إلى شيء من ذلك في تلك الخطب، مع إمكانية الأمر ويسره لو كان ﷺ راغباً في ذلك، خصوصاً أنه تحدث عن أقل من هذا في تصور من يدّعون رغبته في الوصية لعلي رضي الله عنه أو لغيره.

كما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ((ادعِ لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٣١.

كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)).[1] والثابت أنه لم يكتب لأبي بكر ﷺ، وهذا الحديث يمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس ﷺ السابق في البخاري بنية الرسول ﷺ في الكتابة واختلاف من حوله ثم عدوله عن الكتابة، وأنه ﷺ ربما كان ينوي الكتابة لأبي بكر لو كان موصياً، خصوصاً أنه أمره بالصلاة وهذه علامة قوية، مع أن الأمة ترى أنه لم يوصِ لأبي بكر ولا لغيره.

ومن المؤكد أن أبا بكر الصديق ﷺ قد صلى بالناس ثلاثة أيام وقيل سبع عشرة صلاة قبل وفاة النبي ﷺ. وكانت أولى تلك الصلوات صلاة عشاء، فقد ورد عن عائشة قالت: (ثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلّى الناس؟ قلنا: لا. هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: صبوا ماء في المخضب ففعلنا، قالت فاغتسل ثم ذهب لينوء ـ لينهض بجهدٍ ومشقة ـ فأغمي عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوفاً في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله إلى أبي بكر ليصلي بالناس، فكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام).[2]

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر الصديق؛ وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ والمسند، ج٦/ ٣٦؛ وابن سعد في الطبقات، ج٣/ ١٨١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٢؛ وعثمان الخميس، كنوز السنة، ص٤٢١.

وقد ورد في رواية أخرى عند الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﵁ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل فيه أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه فقلت: إني أحفظ وأعي قال: ((أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم)).[1] وفي وراية لأم سلمة (حتى جعل يجلجلها في صدره، وما يفيض بها لسانه).[2]

وقد ورد عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ((لا يموتنّ أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه)).[3]

اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ

وفاة الرسول ﷺ كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة الموافق: ٨ حزيران (يونيو) ٦٣٣م وذلك في الضحى قبل منتصف النهار.[4]

كان رسول الله ﷺ قد انقطع عن الصلاة بالمسلمين قبل

---

(١) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٥٥٧؛ وانظر: أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول، ص ٣٣؛ وانظر: رواية عائشة عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٠.

(٢) رواه النسائي (انظر تخريجه)، في ذهول العقول بوفاة الرسول، ص٣٣.

(٣) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٥٥٧؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦٨٩.

(٤) أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص٤٢. وعبد السلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ٢٩.

الوفاة ثلاثة أيام الجمعة والسبت والأحد مع أن حجرته تعد داخل المسجد وفي طرفه، وفي صبيحة يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ يظهر حرص رسول الله على الاطمئنان على المسلمين ووحدتهم واصطفافهم للصلاة جماعة، خلف أبي بكر الصديق. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم رسول الله بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر).[١]

كان هذا آخر عهد جماعة المسلمين برسول الله ﷺ، ولم يره بعدها إلا بعضهم، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث كان مرابطاً بالقرب من رسول الله ﷺ أثناء مرضه بمنزله المجاور للرسول ﷺ، منقطعاً عن بيته الآخر الذي بالسنح في أطراف المدينة، حيث زوجته الثانية.

وفي اليوم الذي توفي فيه الرسول ﷺ استأذن أبو بكر من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤١؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٣.

رسول الله ﷺ في أن يزور بيته الذي بالسنح ليتفقد أحواله، فكان هناك حين قبض رسول الله ﷺ.[(١)]

ولعل حديث أنس عن حال فاطمة بنت النبي ﷺ مع أبيها كان يوم وفاته ﷺ: (لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكَرَبَ أباه، فقال لها ﷺ: ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)).[(٢)]

وربما يدل الحديث على أنه أخبرها أن هذا آخر يوم في حياته، وأنه لن يكون من أهل الدنيا بعد ذلك اليوم.

كما أنه لا يستبعد أن نَفْثَ عائشة (رضي الله عنها)[(٣)] على النبي ﷺ كان أكثر من مرة، ومنها اليوم الذي توفي فيه، حيث أشتدّ عليه الألم ﷺ.

وقد شهد بعض الصحابة آخر ما تكلم به النبي ﷺ ولعل ذلك كان في اليوم الذي توفي فيه ﷺ ومن ذلك ما رواه أبو

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٤؛ أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٣٧؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم ٤٤٥٢. (والسُنح منطقة في أطراف المدينة تبعد ما يقارب الميل عن مسجد رسول الله ﷺ وفيها مزارع بني الحارث بن الخزرج قرب وادي بطحان المشهور في عوالي المدينة).

(٢) من رواية البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته حديث رقم: ٤٤٦٢.

(٣) انظر: حديث البخاري في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته حديث رقم: ٤٤٣٩.

عبيدة بن الجراح ﵁ قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: ((أَخْرِجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).[1] وهذا هو آخر ما سمعه أبو عبيدة من النبي ﷺ وقد يكون غيره سمع من بعده شيئاً إضافياً آخر من النبي ﷺ.

ومن هذه الرواية يبدو أن أبا عبيده بن الجراح ﵁ كان من آخر من لقي الرسول ﷺ. ويتضح من ذلك اهتمامه ﷺ باستقرار الدولة الإسلامية، ومن ذلك إخراج اليهود والنصارى، حيث كانوا يشكلون تهديداً في تلك المرحلة، كما كان واضحاً أن الرسول ﷺ، كان مشدداً في منع الناس من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، لما في ذلك من الشرك الأكبر، وإن كان هذا لا يجوز مع الأنبياء، فمع غيرهم من أهل الأنبياء وأصحابهم من باب أَوْلى، حيث حرص على أن يكون من آخر وصاياه للأمة ﷺ.

وكان الرسول ﷺ يخشى أن يَفعَل الناس بقبره كما فعلت الأمم السابقة بقبور أنبيائهم، كاليهود والنصارى، ويؤكد ذلك رواية أم المؤمنين عائشة، وابن عباس (رضي الله عنهما) في صحيح البخاري، قالا: لما نزلت برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة [ثوب مربع أسود] له على وجهه فإذا اغتمّ كشفها عن

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/ ١٩٥؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، رجاله ثقات ج٥/ ٣٢٥.

وجهه وهو كذلك يقول: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))،[1] يحذر ما صنعوا، كما أكدت عائشة رضي الله عنها في رواية أخرى قالت: (لولا ذلك لأبرز قبره خشية أن يتخذ مسجداً).[2]

ولذلك فكل من فعل مثل ذلك بأي قبر لأي إنسان كائناً من كان فهو عاص لرسول الله ﷺ ومخالف لأمره.

السِّواك

كان رسول الله ﷺ حريصاً على السواك طوال حياته يفعله ويأمر المسلمين به، عند كل وضوء وعند كل صلاة، يحث عليه ويحمله معه في حله وترحاله.

وكان من آخر من دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، حيث كان دخوله خاصاً بحكم أخوَّته لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وكونه محرماً لها، وتقص أم المؤمنين عائشة حادثة دخول عبد الرحمن بن أبي بكر واستياك رسول الله ﷺ في آخر حياته فتقول: (دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستنُّ به فأبده رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فقضمته، ونفضته

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٤٤.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٤١.

وطيبته، ثم دفعته إلى ﷺ فاستنّ به فما رأيت رسول الله ﷺ استنّ استناناً قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال: ((في الرفيق الأعلى)) ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول مات بين حاقنتي وذاقنتي). [١]

وكانت عائشة رضي الله عنها فخورة باختلاط ريقها بريقه ﷺ بسبب ذلك السواك تقول (رضي الله عنها): (فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة). [٢]

وقبل وفاته ﷺ أخذته بُحّة وفهمت عائشة (رضي الله عنها) ما كان يقول، تقول رضي الله عنها: (فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة، يقول: ((﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء])) ، قالت: فظننت خيراً حينئذ). [٣]

وكان ﷺ يحدث وهو صحيح أنه ((لم يُقبَض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يُخيّر))، قالت عائشة: (فلما نزل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، الأحاديث: ٤٤٣٨، ٤٤٤٩، ٤٤٥٠؛ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٤. [والحاقنة والذاقنة: أسفل البلعوم وحتى البطن]؛ معجم محيط المحيط.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم ٤٤٥١.

(٣) رواه البخاري، باب مرض النبي ﷺ حديث رقم: ٤٤٣٥؛ ومسلم في فضائل الصحابة.

برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي، غُشي عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: ((اللهم الرفيق الأعلى)).[1] قالت عائشة: إذاً لا يختارنا.

قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: ((اللهم الرفيق الأعلى)). وقد قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجر عائشة، وقد قالت (رضي الله عنها): (مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ).[2]

ومن المؤكد إسناد ظهره إلى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في لحظاته الأخيرة، فقد ورد عنها: أصغيت إليه قبل أن يموت وهو مسند إليّ ظهره يقول: ((اللهم أغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى)).[3]

وفي حديث آخر قالت: (وإني لمسندته إلى صدري)،[4] وفي حديث آخر ما يدل على أن رأسه على فخذ عائشة (رضي الله عنها) ولا تناقض بين ذلك، روى البخاري أن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح أنه ((لم يقبض نبي

---

(١) رواه البخاري، باب من تسوك بسواك غيره، حديث رقم: ٤٤٦٣؛ وانظر: حديث رقم: ٨٩٠؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٤٠، ٤٤٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٥٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٦٣.

قط، حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير))، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال ((في الرفيق)). [1]

وفي وراية لعائشة رضي الله عنها أنه (كان بين يديه ركوة أو شيء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: ((لا إله إلا الله إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فيقول: ((في الرفيق الأعلى)) حتى قُبض ومالت يده). [2]

كانت صورة الرسول ﷺ الجسدية حسنة، لم تتغير قبل وفاته ﷺ، فمع مرضه ما يقارب الأسبوعين إلا أنه ﷺ كان في أحسن صورة، ولم يؤثر المرض في جماله وبهائه ﷺ. [3] مع أنه ﷺ لم تظهر عليه آثار الشيخوخة أو الشيب والضعف، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (توفي رسول الله ﷺ وما في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء). [4]

كانت عائشة (رضي الله عنها) شابة لم ترَ الأموات ولا خبرة لها بذلك، فلما مال رأسه عند الموت سقط من فيه نقطة بارد على ترقوة عائشة (رضي الله عنها) وصدرها ثم مال فسقط على

---

(١) انظر: حديث رقم: ٤٤٣٧ في البخاري سبق ذكره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٤٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٥.

(٣) أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ١١٧.

(٤) رواه احمد في مسنده، حديث رقم: ١٢٠٤٣.

الفراش تقول (رضي الله عنها): (ولم أكن رأيت ميتاً قط، فأعرف الموت بغيره، فجاء عمر يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة، فأذنت لهما ومددت الحجاب، فقال عمر: يا عائشة ما لنبي الله؟ قلت: غُشي عليه منذ ساعة، فكشف عن وجهه فقال واغمّاه، إن هذا لهو الغم، ثم غطاه، ولم يتكلم المغيرة، فلما بلغ عتبة الباب قال المغيرة: مات رسول الله ﷺ يا عمر، قال: كذبت ما مات رسول الله ولا يموت حتى يأمر بقتال المنافقين، بل أنت تحوسك فتنة).[1]

كان الصديق أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، وقد حل محله للصلاة بالناس بأمره، وعدّه الناس نائباً للرسول في الإمامة بالصلاة وغيرها، وكان غائباً تلك اللحظة عند زوجته الأخرى بالسُنح في أطراف المدينة، على بعد ميل تقريباً، وما إن توفي الرسول ﷺ حتى أسرع الناس إلى استدعاء الصديق رضي الله عنه، الذي أقبل مسرعاً على فرسه، ولم يحدث أحداً، ودخل حجرة ابنته عائشة (رضي الله عنها)، ورفع الحجاب فنظر إلى الرسول ﷺ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة]، مات رسول الله ﷺ، ثم جاء قِبَل رأسِه وقبَّل رأسَه وقال: وا نبيّاه. ثم قبَّل رأسه وقال: وا صفِيّاه. ثم قبَّله وقال: وا خليلاه، مات رسول الله ﷺ.[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٩٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٦/٣١؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٥٠، ورواه الترمذي في مختصر الشمائل ص ١٩٦.

وقال: (والله لا يجمع عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها).[1] وقد أشار البخاري إلى تقبيل أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ في أكثر من حديث.[2]

كان الوضع في مسجد رسول الله ﷺ صعباً، حيث كان الناس يتجمعون، ليسألوا عن صحته ﷺ ويطمئنوا عليه، ولشدة محبتهم له لا يكاد بعضهم يفارق مسجده، وكان عمر غير مصدق بوفاة الرسول ﷺ، يتكلم ويزمجر ويتوعد،[3] قائلاً: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عزّ وجل المنافقين.

فخرج أبو بكر رضي الله عنه من حجرة عائشة إلى المسجد، فلما رآه الناس انصرفوا عن عمر وتوجهوا إلى أبي بكر ليسمعوا ما يقول، وكان عمر لا يزال يتكلم في الناس، ويصف ابن عباس المشهد وهو شاهد عيان حاضر فيقول: (إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا

---

(١) من حديث البخاري في صحيحه، باب الدخول على الميت، والحديث رقم: ٤٤٥٢، وكتاب المغازي، باب مرض الرسول ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٣.

(٢) انظر: حديث البخاري، ج٥/ ١٤٣.

(٣) انظر: حديث البخاري رقم: ٤٤٥٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٥.

يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ (١٤٤)﴾ [آل عمران]. قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمعُ بشراً من الناس إلا يتلوها، وقال سعيد بن المسيب: إن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعُقِرْتُ حتى ما تُقِلّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي ﷺ قد مات).[١] لقد كان فقه أبي بكر وحكمته واضحين، كان صاحب الموقف ورَجُله، أوعى الناس للقرآن وأكثرهم استحضاراً له، ولذلك فإن الكثيرين ما إن سمعوا الصديق يقرأ تلك الآية حتى أحسوا وكأنها نزلت الساعة، فخرج الناس من المسجد إلى طرقات المدينة يتلون الآية وكأنها أنزلت للتو.[٢]

وذُكر أن علياً رضي الله عنه أُقعد ولم يستطع حَراكاً لشدة الصدمة، كما ذكر أن عثمان رضي الله عنه أُخرس وبدأ يذهب ويجيء ولا يتكلم.[٣]

أما ابنته وحبيبته ﷺ فاطمة (رضي الله عنها)، الوحيدة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم: ٤٤٩٧؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٧.
(٢) القسطلاني، المواهب اللدانية، ص ٣٩١.
(٣) انظر السهيلي، الروض الأنف، ج٤/٤٦٨.

الباقية من بناته فقد كان مصابها عظيماً وجللاً، وكان ﷺ أخبرها مقدماً بدنو أجله. وينقل أنس بن مالك رضي الله عنه ما قالته حين علمت بوفاة الرسول ﷺ: (لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشَّاه، فقالت فاطمة (رضي الله عنها): وا كَربَ أباه. فقال لها النبي ﷺ: ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)). فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة (رضي الله عنها): يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب).(١)

أما أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، الذي كان متعلقاً برسول الله ﷺ ملازماً له ﷺ فيعبر عن مصابه بوفاة الرسول ﷺ بقوله: (لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي إنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا).(٢)

شمل وقع الوفاة كل من عرف رسول الله ﷺ وأحبه، فأم أيمن حاضنة النبي ﷺ كانت هاجرت إلى المدينة وكان ﷺ يزورها ويتفقدها، فلما توفي الرسول ﷺ حرص أبو بكر على زيارتها، فقال بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: (انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقال لها ما يبكيك؟ ما عند

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٤٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب، باب رسول الله خاتم النبيين، ٣٦٢٢؛ وأحمد في المسند، ج٣ / ١٢٢، ٢٤٠.

الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكي، أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان).[1]

إن تفكير أم أيمن (رضي الله عنها) بحس أهل الأرض جميعاً، وحاجتهم إلى الوحي والتوجيه، وافتقادهم إلى الرابط والوساطة بين السماء والأرض، بين الرب وعباده حيث كان الرسول المعلم المربي الموجه الرحيم الشفيع ﷺ بين أظهر الناس، فإذا مات انقطعت تلك الصلة المباشرة. كان الناس كلهم يفتقدون رسول الله ﷺ، وكان يعزي بعضهم بعضاً، وذكر أن بلال بن رباح رضي الله عنه لما أَذّن بعد وفاة الرسول ﷺ قال أشهد أن محمداً رسول الله أرتجّ المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ﷺ ترك بلال الآذان.[2]

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيعزي الناس بعضهمُ بعضاً من بعدي تعزيةً فيَّ))، وكان الناس يقولون ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقي بعضنا بعضا يعزي بعضهم بعضاً برسول الله ﷺ.[3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب فضائل أم أيمن رقم: ٢٤٥٤؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٣.

(٢) القسطلاني: المواهب اللدانية، ج٣ / ٣٩٢.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩/ ٣٨؛ وانظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص١٥٦.

وتبصروا في قول رسول الله ﷺ: ((إذا أصاب أحدَكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب)).[1]

ويصف الشيخ محمد الغزالي انتشار الخبر في المدينة بقوله: (وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون، وله طنين في الآذان، وثقل ترزح تحته النفوس، وتدور به البصائر والأبصار. وشعر المؤمنون ان آفاق المدينة قد أظلمت، فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون).[2]

كان الحزن شديداً لدى المسلمين عامة، ولدى أهل المدينة خاصة لكنهم يتذكرون قول الله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحى]، فيؤمنون أن لقاء الله نعمة لرسول الله ﷺ وجنة الفردوس الأعلى والكوثر موعده، وكان للمؤمنين والأمة كلها حزن وبلاء ومصيبة عظيمة، تقول عائشة (رضي الله عنها): (لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب واشرأبت اليهود والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه).[3]

وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً. روى

---

(١) قال عنه الألباني، صحيح بشواهد سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٠٦.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٥١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٥.

البخاري بسنده عن عمرو بن الحارث قال: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة). [1]

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها): (أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهن درعاً من حديد). [2]

وورد عن عائشة قالت: (توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير). [3]

وكان ﷺ في حياته يقول: (ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار في صائف فاستظلّ تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها). [4] ما كان ﷺ حريصاً على جمع المال وتكديسه للورثة، وكان يحذر من ذلك في قوله الذي رواه الحارث بن سويد قال عبد الله: (انتباه المؤلف للنقص). . . . .

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٤٤٦١؛ وانظر: رواية عائشة عند الإمام أحمد في مسنده؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٤٥.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٠٦٨، و٢٩١٦، و٤٤٦٧.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٤٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب ما قدم من ماله فهو له، ج٧/ ١٧٦.

قال النبي صلى الله عليه وسلم ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله)) قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال ((فإن ماله ما قدَّم ومال وارثه ما أخَّر)).[1]

وقد قال ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال))،[2] كما أنه من المعروف أن الصدقة لا تحل له ﷺ ولا لآل بيته إنما يأكلون من الخُمس.

لقد جادت قرائح الشعراء منذ وفاة الرسول ﷺ إلى اليوم الحاضر بقصائد مختلفة في رثاء الرسول ﷺ، ولعل أصدقهم رثاءً كان شاعره ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري، الذي أجاد في مدح الرسول ﷺ في حياته، كما أبدع في رثائه عند مماته وهو أول من فتح للشعراء باب رثاء النبي ﷺ، حيث قال يبكي رسول الله ﷺ في قصيدة من عيون الشعر أوردها ابن هشام، قال فيها رضي الله عنه:

بِطيبَةَ رســـمٌ للرســـول ومعهدُ
منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتهمدُ

ولا تنمحي الآيات من دار حرمةٍ
بها منبر الهادي الذي كان يَصعدُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٣٥٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٢٥٧٨، وانظر: باب الخراج والإمارة والفيء قول رسول الله ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة.

وواضـح آثـارٍ وبـاقـي مـعـــالـمٍ
وربــع لـه فيه مُصلّى ومسجــدُ

بها حجراتٌ كان ينزل وسطـها
مـن الله نـور يُستضاء ويـوقـــدُ

معارف لم تُطمَس على العهد آيُها
أتاهـا البِلىٰ فالآيُ منهـا تَجَدَّدُ

عـرفتُ بـهـا رسمَ الرسول وعـهدَه
وقبراً بـهـا واراه في الترب مُلحَدُ

ظللت بها أبكي الرسولَ فأَسعدَت
عيونٌ ومثلاها من الجفن تسعدُ

يـذكِّـرن آلاءَ الـرسـول ومـا أرى
لها مُحصِياً نفسي فنفسي تبلَّدُ

مُفجَّـــعة قد شفَّها فقــدُ أحمد
فظلتْ لآلاء الرســـول تعــددُ

وما بلغت من كل أمر عُشَـيْرَهُ
ولكن لنفسي بعد ما قــد توَجِّـدُ

أطالت وقوفاً تذرف العين جَهدَها
على طلل القبر الذي فيه أحمـدُ

فبورِكْتَ يا قبر الرسول وبوركَتْ

بلادٌ ثوى فيها الرشيد المسدّدُ

وبورك لحدٌ منك ضُمّن طيباً

عليه بناء من صفيح منضّدُ

تهيل عليه الترب أيدٍ وأعينٌ

عليه وقد غارت بذلك أسعُدُ

لقد غيَّبوا حِلماً وعلماً ورحمة

عشية علَّوه الثرى لا يوسّدُ

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم

وقد وهنت منهم ظهور وأعضُدُ

يُبكُّون من تبكي السماوات يومَه

ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ

وهل عدلت يوما رزيةُ هالك

رزيةَ يوم مات فيه محمدُ

تَقَطَّع فيه منزَلُ الوحي عنهم

وقد كان ذا نور يغور ويُنجِدُ

يدل على الرحمن من يقتدي به

وينقذ من هول الخزايا ويرشدُ

إمـامٌ لـهـم يـهـديـهـمُ الحق جاهداً

معلم صدقٍ إن يطيعـوه يسعدوا

عفُوٌّ عـن الـزلات يقبل عـذرهـم

وإن يحسنوا فالله بالخير أجودُ

وإن نـاب أمرٌ لـم يقـومـوا بـحـمـلـه

فـمِـن عـنـده تـيـسـيـرُ مـا يـتـشـــدّدُ

فـبـيـنـا هُـمُ فـي نـعـمـة الله بـيـنـهـم

دلـيـل بـه نـهـج الـطـريـقـة يُـقـصَـدُ

عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى

حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عـطـوف عـلـيـهـم لا يُـثنّى جـنـاحُـه

إلـى كـنـف يـحـنـو عـلـيـهـم ويـمـهـدُ

فبينا هُـمُ في ذلـك الـنـور إذ غدا

إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقصَدُ

فأصبح محمودًا إلى الله راجعاً

يبكّيه حـــق المرسلات ويحمدُ

وأمست بلاد الحُرمِ وحْشاً بقاعُها

لغيبة ما كانت من الوحي تعهدُ

قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها

فقيدٌ يّبكِّيه بلاط وغرقدُ

ومسجده فالموحشات لفقده

خَلاءٌ له فيه مقامٌ ومقعدُ

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت

ديار وعرصات وربعٌ ومولِدُ

فبكِّي رسول الله يا عينُ عبرةً

ولا أعرفنْكِ الدهرَ دمعك يجمدُ

وما لكِ لا تَبكِين ذا النعمة التي

على الناس منها سابغٌ يتغمدُ

فجودي عليه بالدموع وأعولي

لفقد الذي لا مثله الدهر يوجدُ

وما فقدَ الماضون مثلَ محمدٍ

ولا مثلُه حتى القيامة يفقدُ

أعفُّ وأوفى ذمةٍ بعد ذمةٍ

وأقرب منه نائلاً لا ينكَّدُ

وأبذلُ منه للطريف وتالِدٍ

إذا ضنّ مِعطاءٌ بما كان يَتْلَدُ

وأكرمُ صيتاً في البيوت إذا انتمى

وأكـرمُ جَـداً أبـطـحـيـاً يـسـوَّدُ

وأمنعُ ذرواتٍ وأثبتُ في العُلا

دعـائـم عـــزٍ شاهـقـاتٍ تُشَيِّدُ

وأثبتُ فرعاً في الفروع ومنبتاً

وعُوداً غذاه المزنُ فالعود أغيَدُ

رَبَـــاه وليـداً فاســـتتمّ تمامُه

على أكرم الخيرات ربٌّ مُمَجَّدُ

تناهت وصاةُ المسلمين بكفــهِ

فلا العلم محبوسٌ ولا الرأي يفندُ

أقـــول ولا يُلفَى لقولي عائبٌ

من الناس إلا عازبُ العقلِ مُبعَدُ

وليس هـــواي نازعاً عن ثنائه

لعلي به في جــنة الخُلد أخلُدُ

مع المصطفى أرجو بذاك جوارَه

وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد(١)

---

(١) ابـن هشـام، السيـرة النبوية، شعـر حسان بـن ثابـت فـي مرثيتـه الرسول، ج٤/ ٦٦٦ _ ٦٦٩.

ومما قال حسان بن ثابت في بكائه ورثاء رسول الله ﷺ، كما أورد بن هشام:

ما بال عينك لا تنام كـــــأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمدِ

جزعاً على المهديّ أصبح ثاوياً
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهي يقيك التربَ لهفي ليتني
غُيِّبت قبلك في بقيع الغرقـــــدِ

بأبي و أمي من شَهِـدْتُ وفــاتَه
في يوم الاثنينِ النبيِّ المهتدي

فظللتُ بعد وفاته متبلــــــداً
متلدداً يا ليتني لـــــم أولدِ

أأقيم بعدك بالمدينة بينــــــهم
يا ليتني صُبِّحتُ سمَّ الأســــودِ

ومما قال في القصيدة نفسها:

أو حلّ أمر الله فينا عاجلاً   في روحةٍ من يومنا أو في غدِ

فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً   محضاً ضرائبه كريم المحتدِ

يا بِكْرَ آمنة المبارك بكرها   ولدته محصنةً بسعد الأسعدِ

نوراً أضاء على البرية كلها ... من يُهْدَ للنور المبارك يهتدي

يا ربّ فاجمعنا معاً ونبيَّنا ... في جنة تثني عيون الحُسَّدِ

في جنة الفردوس فاكتبها لنا ... يا ذا الجلالِ وذا العلا والسؤدَدِ

والله أسمع ما بقيت بهالكٍ ... إلا بكيت على النبي محمدِ

يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيَّب في سواء الملحدِ

ضاقت بالانصارِ البلادُ فأصبحوا ... سوداً وجوههم كلون الإثمدِ

ولقد ولدناه و فينا قبره ... و فضول نعمته بنا لم يجحد

والله أكرمنا به و هدى به ... أنصاره في كل ساعةِ مشهد

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد[1]

ومما قال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ نقلاً عن ابن هشام في السيرة النبوية:

نَبّ المساكين أن الخيرَ فارقهم
مع النبي تولى عنهم سَحَرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول، ج٤/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠.

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه

إذا اللسان عتى في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه

بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واراه بملحده

وغيّبوه وألقوا فوقه المدَرَا

لم يترك الله منا بعده أحداً

ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم

وكان أمراً مِنَ امر الله قد قُدرا

واقتُسِّم الفيء دون الناس كلهم

وبددوه جهاراً بينهم هدرا

ومما قال حسان رضي الله عنه أيضاً:

آليت ما في جميع الناس مجتهداً

مني إليه براً غير إفناد

تالله ما حملت أنثى، ولا وضعت

مثل الرسول، نبي الرحمة الهادي

ولا برا الله خلقاً من بريت به

أوفى بذمة جارٍ، أو بميعاد

من الذي كان فينا يُستضاء به
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك عطّلن البيوت فما
يضربن فوق قفا سترٍ بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المباذل قد
أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نَهَرٍ
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي[١]

تجهيز الرسول ﷺ والصلاة عليه ودفنه

حينما توفي الرسول ﷺ كان يلبس كساءً غليظاً، ورد عن أبي بردة رضي الله عنه قال: أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساءاً من هذه التي يدعونها الملبدة، وفي وراية أنها قالت: (في هذا نزع روح رسول الله ﷺ)،[٢] ولا شك أن عائشة تركت حجرتها وخرجت بعد أن سجّت رسول الله ﷺ عند اجتماع المسلمين ليباشر النبيَّ ﷺ أهلُه من الرجال، الذين واروا الحجرة على جسد رسول الله ﷺ الطاهر، وبقي كذلك

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٧١.
(٢) من رواية البخاري، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه، ٣١٠٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزينة، باب التواضع في اللباس، ٢٠٨٠/ ٣٤.

ﷺ فترة انشغال المسلمين بالخبر، وكان أشد الناس حزناً على رسول الله ﷺ وفقداً له أقربهم إليه ابنته فاطمة (رضي الله عنها)، ولذلك اجتمع عندها وفي بيتها آل البيت، على رأسهم عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومعهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين.[1] كما عرف عن صفية (رضي الله عنها) أنها كانت تلوح بثوبها بيدها ما تستطيع الحديث من الحزن.[2]

وكانت جميع بيوت الصحابة صغيرة يصعب اجتماع الكثيرين فيها في وقت واحد، واجتمع بعض المهاجرين والأنصار عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد أغلقت الحجرة على جسد رسول الله ﷺ، وبقي جسده ﷺ بقية يوم الاثنين يوم الوفاة، حيث انشغل الناس بتدبير خلافة الرسول ﷺ. ولعلهم اهتموا لهذا الأمر مبكرين قبل تجهيز جسده الطاهر ودفنه، لشعورهم أنهم ما زالوا تحت إمرته ما دام جسده موجوداً لم يوارَ التراب، وإحساسهم بأن عليهم تدبير أمر خلافته قبل دفنه ﷺ، واشتغل الناس ببيعة الصديق رضي الله عنه.[3]

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٠.
(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤.
(٣) مروان كجك، تهذيب سيرة ابن كثير، ص ٦٨٣؛
وانظر: بيعة العقبة، من هذا الكتاب؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٥.

وفي يوم الثلاثاء وهو التالي لوفاته ﷺ، اجتمع في حجرة عائشة (رضي الله عنها) آل النبي ﷺ، عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأبناء عمه العباس الفضل، وقُثم، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله ﷺ،[1] ثم نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري الخزرجى من بني عوف، وكان من أهل بدر فقال: يا علي ننشدك الله وحظنا من رسول الله، وكان يريد السماح بمشاركة الأنصار في الغسل وهو واحد منهم فقال علي رضي الله عنه له: ادخل فدخل معهم.[2]

وقيل أنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه (أمرهم أن يغسله بنو أبيه).[3] وكان أمراً طبيعياً وتلقائياً حتى لو لم يأمرهم أبو بكر رضي الله عنه بذلك، ومن الأرجح أنهم وضعوه على سريره في الحجرة للغسل لثبوت صلاتهم عليه وهو على سريره ﷺ.

وقد غسلوا النبي ﷺ من دون أن ينزعوا لباسه ﷺ، ففي رواية لعائشة (رضي الله عنها) قالت: (لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا، ألقى الله عز وجل النوم حتى ما بهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٢.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل، باب ما جاء في وفاة النبي ﷺ ص٢٠٠، وقال الألباني صحيح انظر هامش الرواية.

ناحية البيت لا يدرون من هو، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه، وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة تقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله غير نسائه).(1)

وهذا رأيها لاختصاصهن بجواز النظر إلى جسده الطاهر كاملاً. وهذا ما فُعل بأبي بكر عند موته، طلب أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس (رضي الله عنها).(2)

ومن المؤكد أن الميت يكون في باطنه ما يحتاج إلى تنظيف لكن الرسول ﷺ لم يجدوا فيه ذلك، فقد ورد أن (علياً رضي الله عنه التمس من النبي ما يلتمس من الميت فلم يجدوا شيئاً، فقال: بأبي وأمي طبت حياً وميتاً).(3)

كان غسل رسول الله ﷺ بالماء والسدر،(4) وكان علي رضي الله عنه

---

(1) رواه أبو داود في ستر الميت عند غسله واللفظ له، ٣١٤١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٢؛ ورواه ابن حبان وصححه الذهبي؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٢٧٦؛ وانظر: العلي، صحيح السيرة، ص٧٢٣؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٦، وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٥١٨.

(2) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.

(3) رواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٦، وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٥١٩.

(4) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٢٠؛ وابن سعد، الطبقات، ج٢ / ٢٨٠.

يسنده إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس وابنه الفضل وقثم يقلبونه مع علي ﵁، وكان أسامة بن زيد وصالح مولى رسول الله ﷺ يصبان الماء، وعلي يغسل ويدلك والقميص دون أيديهم.[1]

ثم أُدرج ﷺ في ثوبين أبيضين وبُرد حبرة (وهي ثياب يمنية مخططة)،[2] وقيل أنها كانت من القطن (الكرفس). وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض).[3] وكان غسله من بئر بقباء يشرب منها ﷺ، وتسمى بئر سعد بن خيثمة.[4] وهذا دليل على نقاء ذلك الماء وطهارته وتميزه عن غيره.

وقالت عائشة (رضي الله عنها): (كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة)،[5] وذكر أنه أُبقي على قميصه الذي كان عليه تحت الكفن.[6].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٢٨١، أنظر: عنوان: صفة كفنه ﷺ عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٥٢٢.
(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٦.
(٥) من رواية البخاري في كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص، حديث رقم: ١٢٧١، ١٢٧٢؛ ومسلم في صحيحة، كتاب الجنائز «في كفن الميت»، ج٩٤١/ ٤٥.
(٦) انظر: أبو داود، كتاب الجنائز، باب الكفن ٣٥٣.

وقد وُضع رسول الله ﷺ على السرير بعد تكفينه، فتشاور المسلمون في الصلاة على النبي ﷺ، فكان رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن لا يُخرج ﷺ من المكان الذي توفي فيه قالوا: (يا صاحب رسول الله ﷺ أيصلى على رسول الله ﷺ قال: نعم، قالوا كيف؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله أيدفن رسول الله؟ قال: نعم، قالوا أين؟ قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب فعلموا أن قد صدق).[1]

ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالاً، يدخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أُدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد،[2] وكان المصلون يرونه أنه أمامهم وهو ميت ﷺ.

ولا شك أن هذا الأمر تطلب ترتيباً وتنظيماً، حيث أن الكل

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل، ص ٣٧٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٣؛ وابن سعد، في الطبقات، ج٢/ ٢٧٥؛ وانظر تخريجه عند العلي، صحيح السيرة، ص ٧٢٦، وضع البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب «ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)»؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٢١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٢٨٩؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٦٦٣؛ انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٢.

يرغب في الصلاة على رسول الله ﷺ والمكان ضيق، فاحتاج الأمر شيئاً من الترتيب، ويبدو أنه كان للسن دور في ذلك، وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه روى عن رسول الله ﷺ قال: (سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه).[1]

وقد تكون المحبة للمكان من الله ليكون قبر نبيه فيه، وقد تكون من النبي ﷺ للمكان، وكلها تتفق مع اختيار الله لموضع قبر نبيه ﷺ، كما اختار له مهاجراً، ولم نسمع أن أحداً من الصحابة أبدى رأياً آخر حول موضع قبر النبي ﷺ مخالفاً لرأي أبي بكر رضي الله عنه.

وأما الحفر لقبر رسول الله ﷺ فبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة توفي عدد من أصحابه، وكانوا أحياناً يلحدون لحداً وهو الشق في جدار القبر، وأحياناً يشقون شقاً،[2] وهو الحفر في وسط القبر، وهي طريقة أهل المدينة، وكلها متبعة بحسب من كان يقوم بإعداد القبر. ولما مات رسول الله ﷺ (اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم، فقال

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، ص ١٠٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٢٦٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١١.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب اللحد والشق في القبر، ج٢/ ٩٦.

عمر لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً، أو كلمة نحوها فأرسلوا إلى الشقّاق واللاحِد جميعاً، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن رسول الله ﷺ).[1]

وقد ورد أن الذي كان يلحد هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وكان يحفر لأهل المدينة، وأن الذي يشق هو أبو عبيدة بن الجراح، وأن الذي بعث يدعوهما هو العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فجاء الأنصاري أولاً فلحد لرسول الله ﷺ،[2] ولذلك أحب الناس عموماً والصحابة خصوصاً أن يُلحد لهم، فهذا سعد بن أبي وقاص في مرضه الذي مات فيه يقول: ألحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما صُنع برسول الله ﷺ.[3]

ووافق اللحد ما كان يدعو به الصحابة، حيث كانوا بعد استدعاء الرجلين يقولون: (اللهم اختر لرسولك)،[4] فكان اللحد ما كتبه الله لرسوله.

كان الرسول ﷺ بجوار القبر حتى استكمل الناس رجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً الصلاة عليه في جوف الليل، من مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة الموافق ١٤ حزيران سنة ٦٣٣م.

(١) وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ح٤/ ٦٦٣.
(٣) رواه مسلم، في كتاب الجنائز، باب اللحد ونصب اللبن على الميت.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٣.

ثم نُحي السرير عن حفرة القبر، وأُدخل ﷺ القبر، حمله علي رضي الله عنه وعمه العباس وابناه قثم والفضل ومولاه شقران،[1] وقيل إن شقران مولى رسول الله ﷺ وضع قطيفة كانت لرسول الله تحته كان يفترشها رسول الله ﷺ ويلبسها فقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً، وذلك خشية أن يتنافس الناس عليها.[2]

وقد شاركهم في ذلك أوس بن خولي الأنصاري رضي الله عنه، وحينما وضع الرسول ﷺ في قبره نصب عليه اللبن ليمنع التراب (كما يفعل في القبور حالياً)، نشاهدها بالطريقة نفسها حتى الآن، يتبعون فيها ما فُعل برسول الله ﷺ، ثم بعد إتمام كمال اللبن وتطيينه، أهالوا التراب على قبر رسول الله ﷺ وذلك في جوف الليل.

تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) (ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي [الأرض اليابسة المُحْصِبة] من جوف الليل من ليلة الأربعاء).[3]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٢٧٥؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤١٤، ٤١٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٤. والترمذي، كتاب الجنائز، ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر، (١٠٤٧)؛
انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر، ٩٦٨/ ٩١.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦٤.

وفي صباح اليوم التالي أذَّن بلال الفجر، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله بكى وبكى الناس، وظهر حزنهم على رسول الله ﷺ.[1]

وقد بقي قبر الرسول ﷺ كما هو في حجرة عائشة (رضي الله عنها) من دون إبراز أو رفع زائد عن مستوى الأرض،[2] وهو ما طبق بمعرفة الصحابة لحديث رسول الله ﷺ الذي روته عائشة (رضي الله عنها) وعقبت عليه (أنه ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم بعده: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خَشي أو خُشي أن يتخذ مسجداً).[3]

وقد دُفن أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك بجوار رسول الله ﷺ ثم استأذن عمر رضي الله عنه أن يُدفن معهما في الحجرة نفسها عند وفاته، فأذنت له عائشة (رضي الله عنها) في قصة طويلة.[4]

وقبر أبي بكر أدنى من قبر الرسول ﷺ، وقبر عمر أدنى من

(١) الندوي، السيرة النبوية، ص ٤١٤.

(٢) صحيح البخاري، عن أبي بكر بن عياش، عن سفيان الثمار أنه رأى قبر رسول الله ﷺ مسنماً، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، حديث رقم: ١٣٩٠.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر رقم ١٣٩٠.

(٤) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/ ٩٤٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٣٦٨.

قبر أبي بكر، وكلهم في اتجاه القبلة، بحيث أن رأس الصديق بحذاء كتف الرسول ﷺ، ورأس عمر بحذاء كتف أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وأبو بكر خلف النبي ﷺ ومن خلفه عمر (رضي الله عنهما)، وأصبحا رفيقي رسول الله ﷺ في الحجرة الشريفة، كما كانا صاحبيه في حياته رضي الله عنهم أجمعين.[(١)] وكانت القبور ترتفع عن الأرض أربعة أصابع.[(٢)]

كان أكثر الناس احتكاكاً برسول الله ﷺ أثناء مرضه وعند وفاته أقربهم إليه، سواء من النساء أمثال عائشة (رضي الله عنها) وبقية أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، أو من الرجال كأبي بكر وعمر وآل البيت علي والعباس وبنوه، وأنس ابن مالك، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أجمعين، ولذلك نقلت عائشة (رضي الله عنها) لنا أخباراً ووصايا عنه لم ينقلها أحد آخر، وهكذا يتضح أنه كان للنساء دور في مشاركة الأمة في العناية برسول الله ﷺ وقت حاجته لذلك، في مرضه الذي مات فيه.

ولعل تمريضه عند عائشة (رضي الله عنها) وفي حجرتها، وموته على صدرها ﷺ، وكونها ملاصقة له في آخر أيامه، أبان عن فضلها ومكانتها عند رسول الله ﷺ، وهو أعلم بها من غيره ﷺ، وثقة آل بيته وهي منهم وائتمان الأمة إياها على أغلى

---

(١) انظر: كيفية استأذن عمر من عائشة في الدفن مع رسول الله ﷺ عند البخاري في صحيحه، حديث رقم ١٣٩٠.
(٢) القسطلاني، المواهب اللدانية، ج٣/ ٤٠١.

البشر ﷺ، وكانت شابة حافظة لكل ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، وقد ثبتت حكمة رسول الله ﷺ في أن يُمرَّض عند عائشة (رضي الله عنها)، حيث حفظت عنه ووعت، كما كانت لها محبة خاصة في قلبه، وراحته عندها لا يجدها ﷺ عند أحدٍ غيرها.

ولا غَرْو إن كانت معظم الروايات المتعلقة بمرض الرسول الله ﷺ ووفاته وآخر وصاياه، من طريق أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وهذا أبان فضلها وعلمها لكل ذي عقل.

كما أن وجوده في بيت عائشة يتيح لأبي بكر الصديق رضي الله عنه الدخول عليه والاتصال به ﷺ أكثر من غيره من الناس، وكان علي رضي الله عنه وآل البيت مجاورين لرسول الله ﷺ متصلين به متفقديه باستمرار، وكان آل البيت وآل أبي بكر الصديق مجتمعين ومعهم بقية المهاجرين والأنصار هم أحباب رسول الله ﷺ قبل وفاته وبعد وفاته، بينهم من التوادّ والتراحم والألفة فضلاً عن المصاهرة، ما ليس بين غيرهم.

وحاشا لله أن نتصوَّر بينهم شيئاً من العداء والتنافر الذي لا يقبله أصحاب الطوائف بين علمائهم وأئمتهم المزعومين، فكيف يكون بين المصطفى ﷺ وأصحابه ومحبيه وأصهاره؟!.

وكان أولى الناس بتجهيز رسول الله ﷺ وغسله هم أبناء أبيه الأقربين، يعني أبناء عبد المطلب وأحفاده، وقد تولوا هذا الأمر

بكل أمانة، وهم الأولى في مثل هذا الموقف دونما تقصير من بقية الصحابة. وكان أكثرهم عملاً ومباشرة لتجهيز جسد رسول الله ﷺ الشريف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه، مع عمه العباس وأبنائه وموالي رسول الله ﷺ، وبمشاركة رمزية من الأنصار رضي الله عنهم.

الفهرس

رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الخامس



المعايشون للمصطفى ﷺ

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بالرياض)



ⓗ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم

رسول الله وخاتم النبيين/ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري ـ الرياض، ١٤٣٢ هـ

٣٨٤ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

٥ مج

ردمك: ٩ ـ ٧٥٦٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)

٣ ـ ٧٥٧١ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (ج٥)

١ ـ السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٢/٥١٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١

ردمك: ٩ ـ ٧٥٦٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م

• اسم الكتاب: رسول اللّه وخاتم النبيين دين ودولة ـ المعايشون للمصطفى ﷺ

• تـــأليـــف: أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

• الطبعة الأولى: ذو الحجة ١٤٣٢ هـ ـ نوفمبر 2011م

ص. ب: 10437 ـ الريـاض 11635

E-mail: azizomary@hotmail.com

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

رسول الله وخاتم النبيين
ديـن ودولـة

القسم الخامس

المعايشون للمصطفى ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب].

بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

كان الرسول ﷺ إمام المسلمين في صلاتهم، ورأس الدولة الإسلامية وقائدها وبانيها، **وكان** همه ﷺ والأمة كلها، استمرار الدولة والنظام وحفظ الحقوق وقيام الدين. وهدف الرسول ﷺ الامتداد إلى مختلف أنحاء العالم لتبليغ الرسالة وضمان العدل والأمن للناس كافة، مع التفكير بدايةً بفارس والروم المجاورتين لبلاد العرب. ومن هنا جاء توجيهه ﷺ لجيش أسامة بن زيد رضي الله عنه وإعداده للخروج قبيل وفاته إلى أطراف الشام.[١] وهذا يعني ضرورة وجود رأس قيادةٍ للدولة يتولى تنفيذ أوامر الرسول ﷺ ووصاياه، وإقامة شرع الله، والامتداد العالمي للدولة والدعوة الإسلامية.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه، حديث رقم: ٤٦٦٨، ٤٦٦٩.

كان هذا همٌّ للرسول ﷺ، ومع ذلك فإنه لم يوص لأحد بعينه ليلي الأمر من بعده.[1] وقد كانت هناك إشارات اتضح منها ترجيحه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لهذا الأمر. وكان عماد الدولة الإسلامية بالدرجة الأولى سكان المدينة الأنصار، إضافة إلى المهاجرين رضوان الله عليهم، ولكل مكانته كمجموع في السلطة وإدارة الدولة ومساعدة الرسول ﷺ في مختلف شؤونها مع تفاوت في المهام والمكانة بين أفرادهم.

كان واضحاً للجميع ما تنزل من آيات تأمر بالاستمرار وحمل الدين، وما يطلبه من نظام وعدم الرجوع إلى الوراء بعد موت الرسول ﷺ:[2] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. نعم، إنهم الشاكرون الذين اختاروا أبا بكر ليقيموا نظاماً مستعداً للقضاء على من ينقلب على عقبيه من المرتدين وأمثالهم. واتضح معنى الآية في ذلك الموقف، والحفاظ على القوة والنظام، والاستعداد للدفاع عن دولة الرسول ﷺ ضد المرتدين الذين قيض الله لهم أبا بكر رضي الله عنه وأعوانه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: حديث رقم: ٢٧٤٠، ٢٧٤١ عند البخاري في صحيحه (وانظر وفاة الرسول ﷺ من هذا الكتاب).

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، حديث رقم ٣٦٦٨، كتاب فضائل الصحابة.

حادثة السقيفة

في يوم الإثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار ـ وهم أهل المدينة ـ قبل هجرة الرسول ﷺ إليها، إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، وهو من زعمائهم في سقيفة بني ساعدة، في وقت كان علي بن أبي طالب وبقية آل البيت عند فاطمة (رضي الله عنها)، وكان عمر رضي الله عنه مع بعض المهاجرين والأنصار مجتمعين عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه.(١) كان الوضع صعباً والتفكير قائماً؛ فالأنصار يرون أنهم أهل المدينة وسلموها للرسول ﷺ بعد الهجرة، وأن الأمر بعد الوفاة يتطلب ترتيباً جديداً، ربما يكون في نظر بعضهم عودة القيادة فيها لأهلها، بعد وفاة المصطفى ﷺ. وكان غالبية الأنصار والمهاجرين يرون ان الوضع اختلف، وأن دولة إسلامية نظامية أشمل وأوسع من المدينة قامت وستستمر بعد الرسول ﷺ بنظام وترتيب بعيداً عن أي وضع سابق قبل الهجرة. وكان أكثر الناس تأهيلاً لقيادة الدولة هم أكثر الناس فهماً لنظامها وترتيبها وشرعها، وهم المهاجرون السابقون الذين صحبوا الرسول ﷺ في مكة والمدينة وتعلموا على يديه، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأنهم أولى الناس بالأمر من بعده. وهذا الأمر كان مفهوماً عند بعض الأنصار وعند المهاجرين من أهل المدينة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٧؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٤.

لذلك بادر بعض الأنصار بإبلاغ أبي بكر وعمر ومن معهم رضي الله عنهم، باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وطلبوا منهما حضور ذلك الاجتماع، قبل أن يصدر عنه شيء يكرهونه. وكان هذا دليلاً على حرص الأنصار أن يحضر شيوخ المهاجرين اجتماعهم، فقال عمر لأبي بكر (رضي الله عنهما): (انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه).[1]

وفي الطريق قابلا رجلين من الأنصار، هما عويمر بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي من بني العجلان، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم.[2] كان واضحاً أن القضية ليست منافسة بين المهاجرين والأنصار، بل كان حدثاً فيه الكثير من التقدير والاحترام بين الفئتين اللتين وصفهما الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. فالذي بلَّغ أبا بكر وعمر بالاجتماع هم من الأنصار، والذين قالوا: لا عليكم اقضوا أمركم من الأنصار، وعمر رضي الله عنه قال: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فالكل يرى

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٧.
(٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المغازي، لابن أبي شيبة، ص ٤٢٤؛ انظر: الروض الأنف، ج٤/ ٤٧٢.

أنه أَخٌ للآخر، ليست منافسة ولا حباً في الرئاسة، لكنه اجتهاد في الحق والوصول إلى الأفضل، وإن كان للبعض، ممن يكرهون الصحابة، رأي آخر مبني على الشك في الصحابة أصلاً وفي كل تصرفاتهم.

ولعل عمر رضي الله عنه أحسّ في وقت متأخر من خلافته بمثل هذا الرأي، فحدَّث الناس بنفسه عما وقع في سقيفة بني ساعدة في حديث طويل رواه ابن عباس قال: (كنت أختلف إلى عبد الرحمن بن عوف ونحن بمنى مع عمر بن الخطاب، أُعلِّم عبد الرحمن بن عوف القرآن، فأتيته في المنزل فلم أجده، فقيل: هو عند أمير المؤمنين، فانتظرته حتى جاء، فقال لي: قد غضب هذا اليوم غضبًا ما رأيته غضب مثله منذ كان، قال: قلت: لم ذاك؟ قال: بلغه أن رجلين من الأنصار ذكرا بيعة أبي بكر، فقال: والله ما كانت إلا فلتة، فما يمنع امرءاً إن هلك هذا أن يقوم إلى من يحب، فيضرب على يده، فتكون كما كانت، قال: فهمّ عمر أن يكلم الناس، قال: فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك ببلد قد اجتمعت إليه أفناء العرب كلها، وإنك إن قلت مقالةً، حُملت عنك، وانتشرت في الأرض كلها، فلم تدر ما يكون في ذلك، وإنما يعينك من قد عرفت أنه سيصير إلى المدينة، فلما قدمنا المدينة، رحت مهجرًا حتى أخذت عُضادة المنبر اليمنى، وراح إليّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل حتى جلس معي، فقلت: ليقولن هذا اليوم مقالة ما قالها منذ

استُخْلِف، قال: وما عسى أن يقول، قلت: ستسمع ذلك، قال: فلما اجتمع الناس، خرج عمر حتى جلس على المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ﷺ فصلى عليه، ثم قال: إن الله أبقى رسوله بين أظهرنا ينزل عليه الوحي من الله يحل به ويحرم، ثم قبض الله رسوله، فرفع معه ما شاء أن يرفع، وأبقى منه ما شاء أن يبقى، فتشبثنا ببعض، وفاتنا بعض، فكان مما كنا نقرأ من القرآن «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»، ونزلت أية الرجم، فرجم النبي ﷺ ورجمنا معه، والذي نفس محمد بيده! لقد حفظتها وعلمتها وعقلتها، لولا أن يقال: كتب عمر في المصحف ما ليس فيه، لكتبتها بيدي كتابًا، والرجم على ثلاثة منازل، حَمْلٌ بَيِّنٌ، أو اعتراف من صاحبه، أو شهودٌ عَدْلٌ، كما أمر الله.

وقد بلغني أن رجالاً يقولون في خلافة أبي بكر: إنها كانت فلتة، ولعمري إن كانت كذلك، ولكن الله أعطى خيرها ووقى شرها، وأيكم هذا الذي تنقطع إليه الأعناق كانقطاعها إلى أبي بكر، إنه كان من شأن الناس أن رسول الله ﷺ توفى فأُتِينا، فقيل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت في بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعونه، فقمت وقام أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح نحوهم فزعين أن يحدثوا في الإسلام فتقًا، فلقينَا رجلان من الأنصار، رجلا صدقٍ: عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي، فقالا: أين تريدون؟ فقلنا: قومكم لما بلغنا من أمرهم، فقالا: ارجعوا

فإنكم لن تُخالَفوا، ولن يؤتى شيء تكرهونه، فأبينا إلا أن نمضي، وأنا أزوي كلامًا أريد أن أتكلم به، حتى انتهينا إلى القوم، وإذا هم عكوف هناك على سعد بن عبادة، وهو على سرير له مريض، فلما غشيناهم، تكلموا فقالوا: يا معشر قريش، منا أمير ومنكم أمير، فقام الحباب بن المنذر، فقال: أنا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكْ وعُذَيْقُها المُرَجَّبْ، إن شئتم والله رددناها جَذْعَةً، فقال أبو بكر: على رسلكم، فذهبت لأتكلم، فقال: أنصت يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار! إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام. ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: لي ولأبي عبيدة بن الجراح، فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة، قال: فوالله ما بقي شيء كنت أحب أن أقوله إلا وقد قاله يومئذ غير هذه الكلمة، فوالله لأن أُقتل، ثم أُحيا، ثم أقتل، ثم أُحيا في غير معصية، أحب إليّ من أن أكون أميرًا على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قال عمر: يا معشر الأنصار! يا معشر المسلمين! إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار،

فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتتابع الناس، ومِيْلَ على سعد بن عبادة، فقال الناس: قُتل سعد، فقلت: اقتلوه قتله الله، ثم انصرفنا وقد جمع الله أمر المسلمين بأبي بكر، فكانت لعمرُ الله فلتة كما قلتم، أعطى الله خيرها ووقى شرها، فمن دعا إلى مثلها فهو الذي لا بيعة له ولا لمن بايعه.[1]

لقد كان واضحاً من الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة احترام الأنصار للمهاجرين، والمهاجرين للأنصار وتبادل الآراء، وزُهْد أبي بكر وعمر في الخلافة،[2] وحرصهم جميعاً على استتباب النظام، فقوة الدولة والنظام مصلحة لجميع المسلمين، ورأسهم المهاجرين والأنصار الذين أسسوها مع الرسول ﷺ. كما كان واضحاً حرص أبي بكر على الإنصات للأنصار، وكذلك ثناؤه عليهم حين خطب فيهم، وقد اقترح أحد الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فرفض ذلك عمر رضي الله عنه،[3] وقد وردت رواية أخرى أنه: (لما كان ذلك اليوم، خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصار، فقال أبو بكر: «يا

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، باب فضل أبي بكر الصديق، حديث رقم: ٣٦٦٨.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/ ٣٩٣.

معشر الأنصار إنا لا ننكر حقكم ولا ينكر حقكم مؤمن، وإنا والله ما أصبنا خيراً إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العرب ولا تقر إلا على رجل من قريش، لأنهم أفصح الناس ألسنة، وأحسن الناس وجوهاً، وأوسط العرب داراً، وأكثر الناس سجية في العرب، فهلمّ إلى عمر فبايعوه»، قال: فقالوا لا، فقال عمر: لم؟ فقالوا نخاف الأَثَرة، قال عمر: أما ما عشت فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال: وأتى الناس عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتونني وفيكم ثالث ثلاثة، قال ابن عون: فقلت لمحمد: من ثالث ثلاثة؟ قال: قول الله ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة] من الآية ٤٠). (١)

لقد كان من الطبيعي تبادل وجهات النظر والاختلاف فيها أحياناً والمناقشة والسماع لمختلف الآراء. وهذا بالطبع يؤكد على أن هذا الاجتماع تم دون أي ترتيب أو تنسيق مسبق، إنما انطلق الجميع من المصلحة العامة والبحث عن الحق بعفوية ونية صادقة.

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

ولذلك كان رأي عمرﷺ منطلقاً من ناحية شرعية حيث قال: (يا معشر الأنصار: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر).[١]

وقد قام خطيب من الأنصار فقال: تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره)،[٢] وبادر أحد الأنصار وبايع قبل عمر بن الخطاب،[٣] ثم تتابع الحضور في سقيفة بني ساعدة على بيعة أبي بكر في غير رغبة منه، وكل الحضور كانوا من الأنصار عدا أبا عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطابﷺ. وكانت هذه البيعة الخاصة بيعة سقيفة بني ساعدة خاصة بمن حضرها، ولم يعتب على من غاب عنها، وكانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.

ولا شك أن هؤلاء المبايعين لو كان عندهم أدنى خبر في وصية عن رسول الله ﷺ في الولاية من بعده لأبي بكر لما ناقش المجتمعون، ولبايعوا مباشرة دونما مبادلة للآراء والأدلة، كما لو

---

(١) من رواية ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ١٧٨.
(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٩٠.
(٣) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٤٢٥.

كان هناك وصية لعلي رضي الله عنه لما خفيت عليهم رضي الله عنهم، ولما تجاهلوها فهم خير من يفهم، هم تلاميذ محمد ﷺ تربيته وأصحابه حملوا السلاح والأرواح معه:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]، فكيف يتجاهلون الوصية بهذه البساطة، كما أن علياً لم يذكر الوصية أو يطالب بشيء من ذلك، وهو أشجع الناس رضي الله عنه فحاشا لله أن يخاف في الله لومة لائم.

هذه البيعة المهمة لم تكن كافية، فكانت هناك حاجة إلى بيعة العامة. كان من الغد وهو يوم الثلاثاء بعد صلاة الفجر، البيعة العامة لأبي بكر الصديق بعد الصلاة، وهي بمثابة المناسبة العامة للتنصيب، بعد أن تمّ اختياره وانتخابه من كثرة الأنصار وعدد محدد من المهاجرين من أهل الحل والعقد، اختاروه وبايعوه لما يرون من استخلاف رسول الله ﷺ له بالصلاة بالناس، قبل تقديمه لعامة الناس وقد قام عمر فتكلم في الناس.

روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك قال: (لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول:

يكون آخرنا.وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة).[1]

كانت هذه المبايعة من عامة الناس كل من حضر، ولم يرد وجود أي اعتراض على هذه البيعة، لا من علي رضي الله عنه ولا من غير من آل البيت رضوان الله عليهم، فقد كانوا أكثر من غيرهم فرحاً ببيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكانوا مساعديه الأولين في شؤون الدولة عامة وفي مقاومة المرتدين خاصة.

ولما تمت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خطب خطبة الخلافة في الناس، وهي بمثابة إعلان رسمي عن توجهاته وسياسته القادمة في الأمة، ومنهجه في تسيير أمورها وكان مما قال رضي الله عنه: (حمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ١٨٢؛ الطبري، تاريخه، ج٢/ ٢٣٥.

يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم).[1]

كانت بداية عهده بالتواضع، وإعلان أنه لا يزكي نفسه، وأنه ليس خيرهم، وكان رضي الله عنه خيرهم فيما نعلم، لكنه خُلُق الإسلام التواضع والثناء على الله وليس مدح النفس.

كما أكدّ رضي الله عنه قضية العدل والمساواة، وأن الجميع أمام نظر الشريعة والدولة ومؤسساتها سيأخذون حقوقهم بإنصاف تام، كما أكدّ عليهم مبدأ الجهاد والأخذ بالقوة، وأنه منهج الرسول ﷺ وأحد أسباب القوة وهيبة المسلمين.

كما حذر رضي الله عنه من الفاحشة وضررها والمجاهرة بها، وأنها من أسباب الأمراض المتجددة في الأمة، وليته يرى حال البشرية اليوم وأمراضها الناتجة عن الفاحشة وعلى رأسها الأمراض الاجتماعية، ليضع سياسة مقاومة الفاحشة، والوقوف في وجه من يحب أن تشيع بين الأمة.

كما بيَّن رضي الله عنه أنه يسير وفق شرع الله وسنة رسوله وأن طاعته واجبة في حدود اتباعه لهذا المنهج، وأن طاعته لا تجب في غير ذلك، بل إن طاعته لا تلزم إذا خالف ذلك.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٢/ ٢٣٨؛ ابن كثير، تاريخه، ج٥/ ٢٤٨.

إن هذه الخطبة التي تمثل خطة عمل وسياسة مستقبلية تحتاج إلى مزيد دراسة وتحليل من الباحثين، لإبراز ما فيها من القيم والمعاني والسياسة والخطط الداخلية والخارجية للدولة والنظام الذي يسيره.(١)

أسباب اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لاشك أن الصديق رضي الله عنه هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأكثر الناس التصاقاً برسول الله ﷺ، وهو صاحبه في الهجرة من بين سائر الأمة. وقد أشار الصحابة إلى ما ورد من ذلك في القرآن الكريم ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].(٢)

وقد كان ﷺ يعتمد على الصدّيق أكثر من غيره في مرضه الذي مات فيه وقبله، ومع أن الرسول ﷺ لم يوصِ مباشرة لأبي بكر الصديق، إلا أن هناك بعض الأحداث التي اعتبرت مؤشرات واضحة في تفضيل بيعة الصديق رضي الله عنه، وإن كانت لم

(١) من أفضل من حلل الخطبة التي قالها الصديق، د. محمد الصلابي، سيرة أبي بكر الصديق، من ص ١٦٨ ـ ١٧٨.
(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

تكن وصية، حيث إنه ﷺ ترك الأمر شورى بين المسلمين، ليكون منهجاً مستمراً للأمة تأخذ به، ويكون التشاور مبدءاً أخلاقياً سياسياً، ونظاماً تسير عليه إن أرادت الحق والسعادة. ومن تلك المؤشرات:

ـ أنه ﷺ أمر بالاقتداء به وأشار إلى إنهما من بعده أبي بكر وعمر، عن حذيفة بن اليمان قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إني ما أدري قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود بشيء فصدقوه).[1]

ـ أن الرسول ﷺ أمر أن يصلي أبو بكر بالناس حين مرضه الذي مات فيه، بعد عجزه عن الخروج للصلاة بالناس. روى مسلم في صحيحه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، قالت: فقلت: يا رسول الله ﷺ إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر. . فراجعته مرتين أو ثلاثاً فقال: ليصلِّ بالناس أبو بكر فإنكنّ صَواحِبُ يوسف).[2]

وكانت مراجعة عائشة (رضي الله عنها) لرسول الله ﷺ

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، رواية رقم: ٥١٦، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ج٢/ ٢٢؛ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٢؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٣٥.

خشية على أبيها، وقد عللت ذلك في رواية ابن هشام قالت: (يا نبي الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: مروه فليصل بالناس، قالت: فعدت بمثل قولي، فقال إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر).[1]

ـ كان واضحاً ثناء الرسول ﷺ على أبي بكر في آخر خطبة خطبها الرسول ﷺ حيث أمر بسد الأبواب التي تفتح على مسجده عدا باب أبي بكر رضي الله عنه.[2]

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: إن من أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٦٥٢؛ صحيح مسلم، ج٢/ ٢٢.

(٢) سبق تخريجه. (وقد عجبت لبعض أعداء الصحابة ممن يحاول إنكار الروايات بحجة أن بيت أبي بكر كان بالسُنح أطراف المدينة متجاهلين أن وجود دارين للصديق ثابت ومعروف، وأن في كل دار منها زوجة من زوجاته).

غير ربي لإتخذت أبا بكر،[1] ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سُد إلا باب أبي بكر).[2]

ـ كما كان من المبررات الواضحة كما نقل ابن عباس رضي الله عنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبّاق المُسن).[3]

ـ وكان الناس في حياة الرسول ﷺ يسألون ويناقشون عن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ فيذكرون الصديق رضي الله عنه أولهم، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: (كنا نُخيَّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان).[4]

وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها) قولها: لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: أتني بكتف ولوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك، يا أبا بكر.[5]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً؛ وصحيح مسلم، ج٧/ ١١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ج٤/ ١٩٠.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٩٣؛ وقد نقل ابن أبي شيبة القول عن أبي عبيدة، في المغازي، ص ٤٢٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم: ٣٦٥٥.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٤٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، ج٧/ ١١٠.

ـ ومن المعروف أن الصديق رضي الله عنه كان كارهاً للخلافة فقد روى رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: وسألته عما قبل بيعتهم، فقال: وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة). [(١)]

ـ كما كانت هناك بعض الرؤى فسرها الرسول ﷺ بولاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده. روى البخاري أن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: (إن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوباً أو ذنوبين (الدَّلْو التي لها ذنب)، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذ عمر بن الخطاب من أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن، ـ قال وهب: العطن مبرك الإبل ـ، يقول: حتى رويت الإبل فأناخت). [(٢)] وقد ورد: «أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال عليه السلام: (إن لم تجديني فأْتي أبا بكر). [(٣)]

وعلينا أن نذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان من أكثر

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤ / ٣٩٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٦٨٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٦٥٩.

الناس ثناء على أبي بكر وعلى علمه رضي الله عنه، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره، إذا رجل من خلفي وضع مرفقه على منكبي، يقول: رحمك الله إن كنت أرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيراً مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فألتفت فإذا هو علي بن أبي طالب).[1]

ـ وقد أثنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق وخلافته، وكذلك خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما). وشهادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنفسه رد مباشر على من حاول القدح في الصديق أو الزعم بأن لعلي وصية تجاهلها أبو بكر رضي الله عنه. عن عبد بن خير قال: (سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قُبِضَ رسول الله ﷺ على خير ما قُبِضَ عليه نبي من الأنبياء، قال: ثم أستُخلف أبو بكر فعمل لعمل رسول الله ﷺ وبسنته، ثم قُبِضَ أبو بكر على خير ما قُبِضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ثم أسُتخَلف عمر، فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قُبِضَ على خير ما قُبِضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وبعد أبي بكر).[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٧٢١.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، رواية رقم: ٥٢٠، ص ٤٣٠.

كما ورد عن محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي بن أبي طالب ﷺ قال: (قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين).[١]

ـ ولا شك أن الروايات في فضائل أبي بكر من أقوال علي (رضي الله عنهما) تؤيد الروايات التي ذكرت بيعة علي ﷺ والعباس وغيرهم من آل البيت لأبي بكر الصديق ﷺ في البيعة العامة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة في مسجده صباح الثلاثاء التالي لوفاته[٢]. ومن الثابت أن علي بن أبي طالب ﷺ لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه وخرج معه إلى ذي القصة في حرب المرتدين.[٣]

لقد كان واضحاً ترك الرسول ﷺ الأمة دون تحديد أمير، وأنه ﷺ وضع قواعد يتم اتباعها في الشورى والاختيار من أهل الحل والعقد.[٤] وقد علمت الأمة هذا الأمر وأصبح قاعدة اتبعها عمر بن الخطاب ﷺ، حيث ثبت في الصحيحين عن ابن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٧١٥.

(٢) ابن كثير؛ السيرة النبوية، ج٤/ ٣٩٨.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٩٥.

(٤) تحدثت كتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية بتفصيلات كثيرة عن قضايا البيعة، ومنها: ابن تيمية في السياسة الشرعية، وابن القيم في الطرق الحكيمة، والماوردي في الأحكام السلطانية، وأبي يعلي الفراء في الأحكام السلطانية، وغيرهم.

عمر: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال إن أستخلفْ فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف).[١]

كما ورد عن علي رضي الله عنه أنه قال بعد أن طُلب منه أن يستخلف: (ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم).[٢]

ويؤكد ابن كثير أن علي بن أبي طالب والزبير بن العوام (رضي الله عنهما) قد بايعا الصديق في اليوم الأول مع المسلمين ولم يتخلفا عن بقية المسلمين، ويستدل بذلك على شهود علي رضي الله عنه الصلاة مع أبي بكر الصديق منذ وفاة الرسول ﷺ بل وقبل ذلك لم ينقطع عن الصلاة خلف الصديق على الإطلاق، وخرج معه في أول غزوة غزاها بعد وفاة الرسول ﷺ إلى ذي القصة لقتال أهل الردة.[٣] وصدق في أبي بكر وعلي (رضي الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحه، كتاب الحكام، باب الاستخلاف، ج٨/١٢٦، انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٨٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٣٣٥.

(٢) انظر: تخريجه عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٣.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٣٩٨.

عنهما) قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة]، فكانوا يحبون الله ويجاهدون في سبيله.

وقد جدد علي بن أبي طالب البيعة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) بعد ستة أشهر مرة أخرى، وذلك بعد وفاة فاطمة (رضي الله عنها)، وذلك للتأكيد على رضاه وحسن العلاقة بينهما (رضي الله عنهما) ونفي ما يشاع من خلاف ذلك.

وقد ورد أن علياً والزبير (رضي الله عنهما) قالا: (ما غضبنا إلا لأننا أُخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي)،(1) وكلام علي رضي الله عنه حق، وعلي والزبير وأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين من أهل الحق.

وقد شاركوا جميعاً مع الصديق رضي الله عنه في الجهاد والفتوح التي خطط لها رسول الله ﷺ وانطلقت أيام الصديق وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

---

(1) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/ ٣٩٩.

المعايشون للرسول ﷺ

أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)

إن من سنن الله في البشر الزواج والذرية، وكان أنبياء الله عليهم السلام يتزوجون وينجبون الذرية، ويحيون الحياة الزوجية والاجتماعية كغيرهم من الناس، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

وقد سار رسول الله ﷺ على سنن الأنبياء قبله، حيث أحل الله له الزواج كسائر الأنبياء الآخرين، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ

عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٠)﴾ [الأحزاب].

يطلق لفظ أمهات المؤمنين ويقصد به زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن،[(١)] وقد كان لهن شرف خاص ميزهن به الله سبحانه وتعالى عن سائر النساء يقول سبحانه وتعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢)﴾ [الأحزاب].

وقد سماهن الله سبحانه وتعالى في كتابه أمهات المؤمنين، بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٦)﴾ [الأحزاب].

ويقال لهن أمهات المؤمنين بالنسبة للرجال دون النساء،[(٢)] ولذلك فقد روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها ردت على امرأة نادتها بـ (يا أُمه) بقولها: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، ولذلك رأى العلماء أن المراد بالأمومة (تحريم نكاحهن على التأبيد كالأمهات) لا ما يرتبط بالأمومة من جواز

(١) السيوطي: الحافظ جلال الدين (ت:٩١١هـ). مسانيد أمهات المؤمنين، ص١٥.

(٢) الصالحي الشامي: أزواج النبي ﷺ، ص ٣٥.

وضع الحجاب، أو المخالطة أو ما يرتبط بذلك من الأحكام.[1]

وقد اختار الله لنبيه ﷺ أفضل النساء، فهو خير الرجال، وهنّ خير النساء، وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة، فقد ورد أن الرسول ﷺ قال: إن الله أبى لي أن أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة.[2]

وقد عشن مع الرسول ﷺ في داره وصحبنه في تنقلاته وأسفاره، وأخذن أخبار الرجال وأحكام النساء والرجال، ونزلت الملائكة في بيوتهن، وفي حضورهن.

وقد كان أمامهن الاختيار بين الدنيا والدار الآخرة، فاخترن الله والدار الآخرة وذلك بعد نزول قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

ولذلك فقد وردت روايات في تخيير النبي ﷺ لأزواجه منها ما أورده البخاري في صحيحه: في باب طويل هو باب قوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ٣٥.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تراجم النساء. ص٨٩؛ الصالحي الشامي: أزواج النبي ﷺ، ص ٢٥.

مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب]. وقال قتادة ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب].

والقرآن آيات الله والحكمة السنة، قالت عائشة (رضي الله عنها) لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت ثم قال إن الله جل ثناؤه قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب]. قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.[1]

لقد كانت جميع أمهات المؤمنين يردن الله والدار الآخرة، وتالياً، فإنهن جميعاً من أهل الجنة ـ كما يقول العلماء ـ بناء على هذا التخيير ونتيجة جوابهن له.[2]

كما أنهن نلن قدراً من العلم لم ينلهُ أحد من الناس: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب]، فقد هيأهن الله لذلك.

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب وإن كنتن تردن. . .، ج٦/ ٢٣.
(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص٢٥.

وكان لهن شرف نقل كثير من أمور الشريعة للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، تنفيذاً لأمر الله في الآية، فكن ينقلن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله وهي القرآن، ومن الحكمة وهي أحاديث رسول الله ﷺ وسنته.

وقد كان تعامل رسول الله ﷺ معهن تعامل الزوج السامي المعلم الميسر الرقيق.[1] قال ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ: ((لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً))،[2] وقد رأين منه كل خير وبركه.

وكان ﷺ مثلاً للرجال في الخير مع نسائهم وأهلهم،عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ:(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).[3]

وقد حملت أمهات المؤمنين من خير رسول الله ﷺ وخير ما حمل من علم وخلق وبركة لسائر الأمة، طيلة حياتهن في أيام رسول الله ﷺ وفي أيام الخلفاء الراشدين ومن بقي منهن بعد ذلك.

---

(١) مسلم صحيحه، كتاب الطلاق باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً، ج٤/ ١٨٨.

(٢) انظر: الهاشمي، عبدالمنعم، النبي ﷺ والنساء، ط١، مكتبة المعارف المتحدة، الكوبت، ١٤٢٩هـ ص١٢١.

(٣) الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ باب فضل أزواج النبي ﷺ، ج٥/ ٧٠٩.

ولقد كُنَّ تاج المجتمع ومعلماته ومربياته، وقادته في المجال العلمي والاجتماعي، قُمْن بدور عظيم في كل مجال، وقد زاد هذا الدور وتأصل بعد رسول الله ﷺ في عصر الراشدين وجزء من عصر بني أمية.

ومن المعلوم أن من بقي منهن بعد وفاته كن يعشن في المدينة المنورة ومجتمعها، فيؤثِّرن ويتأثَّرن به، يحرص الجميع عليهن بالرعاية والتكريم، أهل المدينة وروادها من ذوي الشأن في ذلك الزمان.

خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)(١)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب،(٢) ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة النبوية تقريباً، نشأت على الأخلاق الفاضلة وعرفت بالعفة والصدق، كانت في الجاهلية تسمى بالطاهرة تمييزاً لها وعرفاناً بعفافها.

تزوجت قبل رسول الله ﷺ وكانت تاجرة ذات مال تبحث عمَّن يضارب لها في مالها، فبلغها صدق الرسول ﷺ وأمانته وخُلقه، فطلبت منه أن يتاجر لها في مالها في أسواق العرب،

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (رضي الله عنها)، ج٤/ ٢٣٠.
وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٨٢.

(٢) انظر: زواج الرسول ﷺ من خديجة (رضي الله عنها) في هذا الكتاب.

فخرج في تجارتها إلى الشام يرافقه غلامها ميسرة، الذي حدثها عن صدقه وأمانته وحسن خلقه، وقارنت ذلك بما رأت منه في تجارتها وتعامله معها.

فرغبت في الزواج منه، وحكت لأحدى صويحباتها تلك الرغبة الشريفة، فأخبرت النبي ﷺ فخطبها لعمها وتزوجها، فكانت أولى زوجاته، وأم جميع أولاده، عدا إبراهيم، أنجبت منه القاسم وبه كان يكنى ﷺ، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، (رضي الله عنهنّ)،[1] قال عنها ﷺ: (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة).[2]

وبعد خمسة عشر عاماً من زواج رسول الله ﷺ نزل عليه الوحي، فكانت نعم المرأة، آمنت به وصدقته عن خِبْرَة ومعرفة وقرب، وطمأنته بقولها: (والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتَصْدُقُ الحديث وتحمل الكَلَّ وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق).[3]

كانت أول من آمن برسول الله ﷺ، سبقت بذلك الرجال.[4]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٨٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب تزويج النبي ﷺ خديجة (رضي الله عنها) وفضلها، ج٤/ ٢٣٠، وصحيح مسلم، ج٧/ ١٣٢.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم: ٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٣.

(٤) انظر: الوحي.

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في بيتها بمكة وهي التي زمَّلته ودثَّرته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر]، كانت تحب النبي ﷺ ويحبها، لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ في حياتها وبعد وفاتها.

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها، فحزن لفقدها حزناً شديداً، ولم يزل يذكرها، ويعترف بحبّها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين فيقول: (إني قد رزقت حبّها)،[1] ويقول: (آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء).[2]

كان يصل صديقاتها بعد وفاتها ويحسن إليهنّ ﷺ، كان إذا ذبح الشاة يقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة).[3]

وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكّر صوت زوجته فيرتاح لذلك، كما ثبت في الصحيحين.[4]

وقد توفيت (رضي الله عنها) قبل الهجرة بثلاث سنين،

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة، ج٧/ ١٣٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٨٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٨١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب تزويج النبي ﷺ خديجة (رضي الله عنها) وفضلها، ج٤/ ٢٣١.

وقبل حادثة الإسراء بالنبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالحجُون.[١]

ومهما كتبنا عن خديجة (رضي الله عنها) فلن نوفيها حقها، لكن ما ذكرناه هنا إشارات والكتابة عنها تحتمل مجلدات متعددة.

سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)

هي سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية،[٢] ثاني زوجات النبي ﷺ، تزوجها بعد وفاة زوجها السكران بن عمرو، وكانت أسلمت معه وهاجرت إلى الحبشة، وبعد عودتهما مات عنها.[٣] وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة (رضي الله عنها)، ولم يتزوج معها ﷺ نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، كانت خلالها ترعى بنات النبي ﷺ حتى دخل بعائشة (رضي الله عنها).[٤]

كانت تحب المزاح فتلقي من الكلام ما تقصد به إضحاك النبي ﷺ.[٥]

---

(١) انظر: أحداث ما قبل الهجرة من هذا الكتاب.

(٢) معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ ص٦١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ٥٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٣٨.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٦٥.
عبد المنعم الهاشمي، أزواج النبي ﷺ ص١١٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٤.

كانت امرأة صوامة زاهدة رفيعة الخلق،[1] وقد ورد أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ.[2]

وفي صحيح مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها ـ أي جلدها ـ من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة).[3] ولما حجّت نساء النبي ﷺ في عهد عمر رضي الله عنه لم تحجّ معهن، وقالت: قد حججت واعتمرت مع رسول الله ﷺ، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله، وظلت كذلك حتى توفيت،[4] في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصلى عليها ودفنت في البقيع.[5]

كانت مِعْطاءة تكثر من الصدقة، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إليها بغِرارة ـ وهو وعاء تُوضع فيه الأطعمة ـ من دراهم، فقالت: ما هذه؟، قالوا: دراهم، قالت: في غرارة مثل التمر؟ ففرقتها بين المساكين.[6] روى عنها عدد من الصحابة والتابعين (رضي الله عنها) وهي قليلة الحديث.

---

(١) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٧/ ١٤٤؛ البخاري، التاريخ الصغير، حديث رقم: ١٧٨.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، ج٤٧/ ١٤٦٣؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٥.

(٥) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/ ١٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٦٦.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٦٩، ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٦.

عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها) (٩ ق. هـ ـ ٥٨هـ)

أمها أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان،[١] ولدت في السنة الرابعة من البعثة النبوية.[٢] وكانت عائشة (رضي الله عنها) تكنى بأم عبد الله،[٣] قال رسول الله ﷺ: (أُريتُكِ في المنام مرتين، أرى أنك في سُرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمْضِه).[٤] عقد عليها رسول الله ﷺ بمكة وهاجرت مع والديها إلى المدينة، ودخل بها رسول الله ﷺ بعد الهجرة وعمرها تسع سنوات، وهي الوحيدة البكر من بين نسائه ﷺ[٥] وكانت تفتخر على نسائه بذلك.[٦]

وهي الثالثة في ترتيب زواجه، عاشت مع رسول الله ﷺ في المدينة وكانت تسافر معه في كثير من غزواته، وقد أحبها الرسول ﷺ وبشرها بمرافقته في الجنة أكثر من مرة.[٧]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ٥٨.
(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٥٩.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٦٣.
(٤) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٨٩٥.
(٥) البخاري صحيحه، كتاب النكاح، باب (نكاح الأبكار)، ج٦/ ١١٩.
(٦) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٩٨.
(٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٨/ ٧٩.

صحبت الرسول ﷺ في عدد من غزواته، وبرأها الله من الإفك الذي اتهمها به المنافقون ومن سار على دربهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة.[١]

مُرِّض رسول الله ﷺ في حجرتها ومات في حجرها، توفي عنها رسول الله ﷺ ولها من العمر ثماني عشرة سنة. كانت محل عناية المسلمين بعد رسول الله ﷺ. كان أكثر الناس صلة بها وأخذاً للعلم عنها أبناءُ أختها أسماء، ومن أشهرهم في ذلك عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وغيرهم،[٢] من أكثر من شهد نزول الوحي على الرسول ﷺ نقلت ما يقرب من (٢٢٠٠) حديث عن رسول الله ﷺ،[٣] وكانت مرجعاً لأهل المدينة في الإفتاء بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد قال رسول الله ﷺ لأم سلمة حينما عاتبته في عائشة: (يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها،[٤] كما كانت كثيرة الصلة بالحسن والحسين سِبْطَيْ رسول الله ﷺ بعد عودتهما من العراق بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[٥]

---

(١) انظر حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق من هذا الكتاب.

(٢) انظر الرواة عن عائشة عند: جمعة: أحمد خليل، نساء أهل البيت، ص١٤٩.

(٣) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/ ٤٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه باب فضل عائشة حديث رقم: ٣٧٧٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٩٢، ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٨١؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٣٥.

توفيت في المدينة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة على الأرجح.[1]

حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنها) (١٨ق. هـ ـ ٤٥هـ)

هي ابنة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وأمها زينب بنت مظعون،[2] تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة،[3] عاشت معه ونهلت من علمه وتأدبت بأدبه ﷺ، عاشت بعد وفاته ﷺ، وشهدت عصر الراشدين الزاهر، وعاشت الفتن التي جرت بعد استشهاد عثمان ﷺ، كما عاشت فترة من خلافة معاوية. كان إخوتها من أبناء عمر، وعلى رأسهم عبد الله بن عمر ﷺ أكثر الناس التصاقاً بها وأخذاً للعلم منها، وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين للهجرة وقد بلغت ستين سنة.[4]

وكانت حجرتها وحجرة عائشة وسودة متجاورات،

---

(١) لمزيد من التوسع حول حياة عائشة (رضي الله عنها) بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ. انظر: سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٧م ص٦٠.

(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٧٧؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٣٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ٨٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٩؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٤٤.

والأرجح أنها جنوب حجرة عائشة، حيث يقف زوار القبر الشريف حالياً.[1]

أم سلمة (رضي الله عنها) (١٤ ق. هـ ـ ٥٩هـ)

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية،[2] استشهد عنها زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد[3] فتزوجها من بعده رسول الله ﷺ في شوال من السنة الرابعة للهجرة، كانت تشير على رسول الله ﷺ في كثير من المواقف،[4] لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، رحلت معه في العديد من الغزوات، عاشت بعد رسول الله ﷺ وشهدت عصر الراشدين، وما جرى من فتن بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، كانت تربطها علاقة خاصة بعلي بن أبي طالب وبنيه رضي الله عنهم،[5] وتوفيت في أول عصر يزيد بن أبي سفيان، سنة إحدى وستين. وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً.[6]

---

(١) انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢/ ٤٦٠؛ النجار، أخبار مدينة الرسول، ص٧٣.

(٢) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ، ج٤/ ٤٥٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٠١.
معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ ص٦٤.

(٣) انظر: ترجمته عند ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٣٣٥.

(٤) انظر: رأيها في الحلق أثناء غزوة صلح الحديبية عند البخاري، صحيحه، (باب الشروط في الجهاد)، ج٣/ ١٨٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٣١٩، الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٥٧.

(٥) السيوطي، مسند أمهات المؤمنين، ص ٤٤.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٦٣؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٥٨.

زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

هي زينب بنت جحش بن رباب، أم المؤمنين، ابنة عمة رسول الله ﷺ أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، خالها حمزة ابن عبد المطلب وخالتها صفية بنت عبد المطلب قديمة الإسلام من المهاجرات الأوائل.[1]

زوَّجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة مولاه، وكان يشكوها لرسول الله ﷺ لأنها تؤذيه بالترفع عليه بسبب النسب فكان ﷺ يقول له: (أمسك عليك زوجك) لكنه طلقها.

وبعد أن انقضت عدتها، تزوجها رسول اللّه ﷺ بأمر الله لإبطال عادة التبني ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾ [الأحزاب]، وليؤكد أنه ليس ابناً للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾ [الأحزاب]، فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣١٣، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢/ ٢٥٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/ ١٩١.

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وأخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن زيداً سيطلق زوجته ليتزوجها النبي ﷺ من بعده، ومع ذلك قال لزيد «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله على ذلك حيث قال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

ولعل من أهداف ذلك تثبيت المساواة بين الناس، فهو ﷺ يتزوج من مطلقة مولى له، والعرب كانت لا تزوج الموالي، عن أنس قال: (لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد: ((اذهب فاذكرها علي))،[1] فانطلق حتى أتاها، وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، إن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُأمر ربي عز وجل.

ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب]،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/ ١٥٠٣.

فاعتُبر ذلك عقداً وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.[1]

وقد أطعم النبي الصحابة في يوم زواجه بها، وبقي بعضهم متأخرين لم ينصرفوا وكان النبي ﷺ شديد الحياء، لم يصرفهم فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب]،[2] كانت تسامي عائشة بنت الصديق في الجمال والحظوة، دينة ورعة عابدة كثيرة الصدقة، تسمى أم المساكين، تعمل بالخرازة وتتصدق من عمل يدها.[3]

وثبت في الصحيحين في حديث الإفك، عن عائشة أنها قالت: وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش، وهي التي

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول آية الحجاب وإثبات وليمة العرس، حديث رقم: ١٤٣٨؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٠٣.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول: لا تدخلوا بيوت النبي، ج٦/ ٢٤؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ج٤/ ١٥١٣.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/ ٣١٣.

كانت تساميني من نساء النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة (رضي الله عنها): ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل رحماً، وأعظم أمانة وصدقة كانت زاهدة كثيرة الصدقة.(١)

أثنى الرسول ﷺ على كثرة تصدقها، وكنى عن ذلك بطول يدها، روي عن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ قال: ((أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً، قالت: فكنَّ يتطاولن أيهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق)).(٢)

ومن زهدها لما خرج العطاء أرسل عمر رضي الله عنه إلى زينب بالذي يخصها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر. غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله واستترت منه بثوب. قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لبرزة بنت رافع: ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة: غفر الله لك يا أم

---

(١) انظر: حديث الإفك، في غزوة بني المصطلق من هذا الكتاب.

(٢) رواه مسلم، باب من فضائل زينب، ج٧/ ١٤٤؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٠٨.

المؤمنين واللّه لقد كان لنا في هذا حق. فقالت: فلكم ما تحت الثوب. قلت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: «اللَّهمَّ لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا» فماتت،[(١)] روت عنه ﷺ أحد عشر حديثاً.[(٢)]

قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذ أدليتموني أن تَصَّدقوا بحقوتي، فأفعلوا، كانت أول أزواج النبي وفاة بعده ﷺ، توفيت سنة عشرين، وصلَّى عليها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع.[(٣)]

جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها) (١٤ق هـ - ٥٠هـ)

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، وهي ابنة للحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق، سُبيت في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم رجل من الأنصار، فجاءت تشتكي لرسول الله ﷺ فاشتراها فأعتقها ثم تزوجها سنة خمس من الهجرة،[(٤)] عاشت بقية حياتها في كنف رسول الله ﷺ، وقد

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١١٠.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢١٨.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٠٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/ ١٩٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/ ١٤٠.
(٤) انظر: غزوة بني المصطلق، من هذا الكتاب.
ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٦٥؛ البيهقي، دلائل النبوية، ج٤/ ٤٧.

شهدت عصر الراشدين وما دار فيه، وتوفيت سنة ست وخمسين للهجرة، ولها من العمر خمس وستون سنة.[1]

أم حبيبة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) (٢٨ق هـ ـ ٤٤هـ)

اسمها رملة وهي ابنة لأبي سفيان صخر بن حرب زعيم قريش المشهور، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، كانت مؤمنة صالحة، هاجرت مع المسلمين إلى الحبشة بصحبة زوجها عبيد الله بن جحش، ثم تنصر ومات عنها، وثبتت (رضي الله عنها) على إسلامها مع ردة زوجها، فخطبها النبي ﷺ، وبعث لها صداقاً وهي في الحبشة وتزوجها، ثم هاجرت إلى المدينة سنة ست من الهجرة، عاشت في بيت النبوة بعيدة عن أهلها من المشركين وعلى رأسهم زعيم قريش أبو سفيان بن حرب (والدها)، حتى أسلموا يوم الفتح، نهلت من علم رسول الله ﷺ، عاشت بعده عصر الراشدين، وجزءاً من خلافة معاوية (رضي الله عنه)، وهي أخت للخليفة،[2] كان لها هيبة وجلال، توفيت في المدينة سنة أربع وأربعين للهجرة.[3]

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٦٣؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص٢١٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٠٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٦٤.

ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) (١٨ق هـ ـ ٥١هـ)

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وهي بنت للحارث بن حزن الهلالي، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع للهجرة.[(١)] كانت خالة لعبد الله بن عباس، ولخالد بن الوليد،[(٢)] وأخت لأسماء بنت عميس لأمها، عاشت في بيت رسول الله ﷺ ونهلت من علمه، وعاشت بعده زمن الراشدين وشهدت أحداثه، بقيت زمناً من خلافة معاوية رضي الله عنه حتى توفيت سنة إحدى وخمسين للهجرة،[(٣)] ورد لها ما يزيد على سبعين حديثاً روتها عن رسول الله ﷺ.[(٤)]

صفية بنت حيي (رضي الله عنها) (١٠ق. هـ ـ ٥٢هـ)

هي صفية بنت حيي بن أخطب، من ذرية نبي الله هارون عليه السلام، كان أبوها سيد يهود بني النضير، قتل عنها زوجها من يهود خيبر أثناء غزوة خيبر، فصارت مع السبي فأعتقها رسول الله ﷺ ثم تزوجها في شوال سنة سبع للهجرة،[(٥)] أحبت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٧٢؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٣٢.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٣٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٣٧٢.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٥؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٦٤.
(٤) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/ ٤٩٦.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٦.

رسول الله ﷺ رغم عدائه ليهود وقتله لأبيها وزوجها وهما من زعمائهم، حيث شرح الله صدرها للإسلام، ودعا لها ﷺ حتى ذهب ما كانت تجده عليه، وأخبرها ﷺ أنها ابنة نبي، وعمها نبي وزوجة نبي. توفي عنها رسول الله ﷺ، فعاشت زمن الراشدين وشهدت أحداثه، وبقيت زمناً من خلافة معاوية رضي الله عنه وتوفيت سنة اثنتين وخمسين للهجرة الشريفة.[١]

مارية القبطية (رضي الله عنها)[٢]

هي أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، مؤمنة من أهل مصر، وهي مارية بنت شمعون من قرية حفن بمحافظة المنيا المصرية كان والدها من زعماء القبط.[٣]

وقد قدمت المدينة في السنة السابعة للهجرة ضمن هدايا بعثها المقوقس أو (كيرس) حاكم مصر إلى النبي ﷺ مع أختها سيرين، وقد عرض الرسول ﷺ عليهما الإسلام فأسلمتا وحسن إسلامهما،[٤] وقد وهب النبي ﷺ سيرين لحسان بن ثابت،

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٥؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص٢١٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٦.

(٣) انظر: لمزيد من التفصيل؛ رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس من هذا الكتاب.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ٢١٢، ٢١٤.

واصطفى لنفسه مارية، كانت امرأة جميلة عاقلة، أثارت غيرة أم المؤمنين عائشة وغيرها من نساء النبي ﷺ.[1]

وَلَدت لرسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة ابنه إبراهيم، وعاش في كنف الرسول ﷺ سنة وبضعة أشهر، حتى توفي في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة، فحزن عليه الرسول ﷺ وحزنت عليه مارية (رضي الله عنها).[2] وقد توفي الرسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها، وقد أوصى بأهل مصر خيراً في قوله (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال ذمة وصهراً)،[3] كانت مارية خالة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضي الله عنه.[4]

توفيت في السنة السادسة عشرة للهجرة النبوية، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت في البقيع.[5]

ويعُدها بعض العلماء من إماء الرسول ﷺ وأنها مُلك يمينه، وعلى كل حال فهي أم ولد لرسول الله ﷺ. وقد ذكر عن

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٢.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وصية النبي بأهل مصر ج٧/ ١٩٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٤؛ الطبري، تاريخه، ج٢/ ٤٧٥.

ابن عباس أنه قال: (أعتقها ولدُها)، [1] يعني إنها عتقت في حياة النبي ﷺ بعد ولادتها لإبراهيم ابن النبي ﷺ، أي ليست جارية، وكانت حسنة الدين والإسلام، ولها من المكانة عند الصحابة كما لغيرها من أمهات المؤمنين، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على أن يشهد الناس جنازتها يدعوهم لذلك بنفسه. [2]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١٦.

استقرار أمهات المؤمنين

عاشت أمهات المؤمنين في المدينة أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته عدا خديجة (رضي الله عنها) التي توفيت بمكة، فكان سكناهن وإقامتهن الدائمة فيها في بيوتهن وحجراتهن التي خصصها لهن رسول الله ﷺ في الغالب، حيث كان استقرارهن ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب]. وكان بعضهن يخرجن للحج إلى مكة برفقة محارمهن،[١] كما خرجت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) إلى العراق قبيل موقعة الجمل بصحبة عبد الله بن الزبير[٢] ابن أختها أسماء رضي الله عنها، وكانت (رضي

---

(١) ابن حنبل: المسند، ج٦/ ٣٢٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٥/ ١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣/ ٢٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٢٣١.

الله عنها) كلما ذكرت هذا الخروج استغفرت وبكت، ما يدل على ندمها على هذا الخروج.[1] وقد منع عبد الله بن عمر أخته أم المؤمنين حفصة من الخروج إلى العراق مع عائشة (رضي الله عنها)، كما أن أم حبيبة (رضي الله عنها) كانت أختاً للخليفة معاوية رضي الله عنه ومع ذلك فإنها آثرت البقاء في المدينة وعدم الهجرة إلى دمشق مقر الخلافة آنذاك، مع ما ذكر من زيارتها لدمشق وسرعة عودتها للمدينة،[2] ولعل أمهات المؤمنين يتذكرن قوله ﷺ لعامة الناس:

((تفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)).[3] فإذا كانت المدينة خيراً لعامة الناس فأمهات المؤمنين أولى بذلك، خصوصاً أنهن أُمرن بالقرار في المدينة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٧٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص٧٠؛ جمعة، نساء أهل البيت، ص٣٩٩.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ج٤/ ١٢٢؛ وانظر: تخريج الحديث عند صالح الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص ١٩١.

علاقاتهن الاجتماعية

كان لأمهات المؤمنين مكانتهن المميزة بين أهل المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث يحرص أهل المدينة على لقياهن والتحدث إليهن والتعلم منهن، كما أن بعض من يزور المدينة من الأمصار الإسلامية يقدمون الهدايا لبيوت أمهات المؤمنين، وكن من الزاهدات العابدات، ويخرجن ما يأتيهن صدقة على أهل المدينة من الضعفاء والمحتاجين، كما كان رواة الحديث وطالبو العلم من الرجال والنساء يقصدون المدينة للسماع منهن وأخذ علمهن.[(١)]

لم تكن أمهات المؤمنين غريبات عن المجتمع، فالكل يرى أنهن أمهات لهم، كما أنهن يرتبطن بعلاقات عائلية وأسرية مميزة مع الكثير من أهل المدينة وغيرها، يقول تعالى مشيراً لهذه العلاقة والروابط الخاصة ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) انظر: عبد العزيز العمري، إثراء أمهات المؤمنين في المجتمع المدني في عهد معاوية بن أبي سفيان، بحث ضمن كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ص١٥٦؛ انظر: ندى النخيلان، أمهات المؤمنين وأثرهن في مجتمع المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة، ١٤٣٠هـ وقد نشرتها، دار إشبيليا، الرياض ١٤٣٢هـ.

وقد كان معظمهن من قريش، مثل عائشة وحفصة، وأم سلمة وأم حبيبة، كما أن بعضهن من العرب ومنهن جويرية بنت الحارث وميمونة بنت الحارث، وكانت منهن صفية وأصلها من يهود العرب ثم أسلمت، ومنهن مارية قبطية من مصر. والجميع تربطهن بالمجتمع علائق الإيمان والمحبة لرسول الله ﷺ ولآله، ويتميزن بقربهن من رسول الله ﷺ، وبأمومتهن للمؤمنين عموماً، كما كان لبعضهن إخوة وأخوات مثل حفصة وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وغيرهن. وكان لهؤلاء الأخوة بنين وبنات وأحفاد وأخوات وزوجات وأرحام، فكانت لهن من ثَمَّ علاقاتهن الأسرية الخاصة، الممتدة بجذورها المختلفة في مجتمع المدينة ومكة والأمصار الإسلامية الأخرى.

وكن (رضي الله عنهنّ) واصلات للرحم موصولات باستمرار، فكن يهدين للنساء الأقمشة وغيرها،[1] كما يهدي لهن أقاربهن من الرجال والنساء، فقد ثبت تقديم عبد الله بن الزبير هدايا لخالته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها).[2]

وقد حُرِمت أمهات المؤمنين في المدينة إجمالاً من الذرية، عدا أم سلمة التي عاش أبناؤها من زوجها السابق أبي سلمة، الذين تربوا في حجر رسول الله ﷺ،[3] فكانوا عوناً لها وعوناً

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٧١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٧٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢/ ٤٣٠؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٥١.

للناس على تلقي علمها. وقد عاش أبناؤها سلمة وعمر طيلة خلافة معاوية وبقوا بعد ذلك عشرات السنين، وأما ابنتها زينب فقد كانت من أفقه النساء في زمانها، وعاشت طيلة خلافة معاوية وبقيت بعده.[١]

وامتازت علاقة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بأبناء أختها أسماء، حيث كانت تكنى (بأم عبد الله) يقصدون به عبدالله بن الزبير، كانوا يصحبونها في سفرها وإقامتها، كما كانوا يعتبرونها بمثابة الأم لهم، وقد نالوا بصحبتها من علمها، فكانت معظم روايات الحديث عنها عبرهم.[٢] كان أبناء الزبير ينادونها بـ يا أماه، ويا خالة، ويعجبون من غزير علمها،[٣] وكانت توجههم وتؤدبهم عند الحاجة[٤] كما كانت تدفع عنهم الأذى.[٥]

كما كان إخوتها وأبناء إخوتها من الملازمين لها، وكانت

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٠٦، ٢٠٤، ٢٠٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) انظر الرواة عن عائشة عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٣٦؛ الفنيسان: مرويات أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في التفسير، ص١٦، وندى النخيلان، دور أمهات المؤمنين في مجتمع المدينة في عصر الراشدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة، ١٤٣٠هـ، ص٢٨٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ١٨٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٨٤.

(٥) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣١.

تصلح بينهم عند الحاجة، فقد وردت أخبار عن إصلاح عائشة (رضي الله عنها) بين أخيها عبد الرحمن وبين زوجاته،[1] وقد كان بعض أبناء أخيها عبد الرحمن قبل موتها ملازمين لها،[2] كما شهد وفاتها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وغيرهم من أقاربها.[3]

كما كان لحفصة (رضي الله عنها) علاقتها المميزة بأبناء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخصوصاً الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنه، حيث كان يوجهها وتسمع منه، وقد أوصته عند موتها، وقد نزل في قبرها مع بعض أبنائه وأبناء عاصم بن عمر رضي الله عنهم.[4]

وقد كانت أم حبيبة أختاً للخليفة معاوية رضي الله عنه أدركت زمن خلافته، وكان يقدرها ويخصها بالزيارة والوصل، كما كانت لها علاقات حميمة بأبناء إخوتها، وكان جمعٌ من بني أمية من محارمها يلتقون بها ويروون الأحاديث عنها.[5]

كما اشتهر عن أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها) صلتها لأرحامها ممن يخالف دينها، حيث بقي بعضهم على اليهودية،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٩٠.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ١٨١.
(٣) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٢٨.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٤٤.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٦٢.

ومع ذلك فقد كانت تصلهم،[1] بل إنها أوصت عند موتها ببعض المال لابن أختها وكان يهودياً.[2]

ومن المعروف جواز الوصية لغير الوارث، واختلاف الدين يمنع من الميراث ولذلك يأخذ غير المسلم بالوصية،كما كان أصحاب النبي ﷺ يحرصون على زيارة أمهات المؤمنين وعدم الانقطاع عنهن، وكانوا يناقشونهن في بعض المسائل الفقهية والروايات وكن في بعض الأحيان يصححنها عند الحاجة، كما فعلت عائشة في حديث قطع الصلاة،[3] وفي غيره.[4]

والمتتبع لروايات الحديث يجد أمهات المؤمنين يروين عن الصحابة والصحابة يروون عنهن،[5] وذلك كله مع الحفاظ على الحجاب والآداب الشرعية الصحيحة.

وهذا يدل على العلاقات الخاصة بين الصحابة وبين بيت النبوة، وعلى استمرارها بعد وفاة النبي ﷺ مع من بقي من أمهات المؤمنين طيلة حياتهن.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢٢٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ١٢٨؛ الدارمي: سنن الدارمي، ج٢/ ٤٢٧؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢/ ٣٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي ٢٢٥.

(٣) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب الصلاة، باب من قال (لا يقطع الصلاة شيء)، ج١/ ١٣٠.

(٤) انظر: الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ١٣٢.

(٥) جمعة: أحمد خليل، نساء أهل البيت، ص٣٣٤.

وكانت أقوى صلاتهن مع الحسن والحسين (رضي الله عنهما) سبطي رسول الله ﷺ بعد عودتهما من العراق واستقرارهما في المدينة، حيث كانا يتفقدان أمهات المؤمنين ويدخلان عليهن ويتابعان أحوالهن لكونهما محارم لهن فهن زوجات جدهما رسول الله ﷺ ورضي عنهم.

كما تميزت العديد من الصحابيات والتابعيات بالرواية عن أمهات المؤمنين وأخذ العلم منهن والتردد عليهن،[١] وقد اشتهر عدد من التلميذات لعائشة (رضي الله عنها)،[٢] منهن عمرة بنت عبد الرحمن،[٣] ومولاتها أم ذرة كانت تروي عن عائشة وعن غيرها من أمهات المؤمنين.[٤]

كما اشتهر عدد من النساء الراويات عن أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها).[٥]

كما اشتهر رواية جماعة من النساء عن أم سلمة (رضي الله عنها).[٦]

---

(١) جمعة: نساء أهل البيت، ص ١٥٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٩٢.

(٣) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة الأنصارية، تربت في حجر عائشة (رضي الله عنها) تابعية مدنية ثقة حجة، عدت من عالمات زمانها، أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة حديثها، توفيت سنة ١٠٦هـ، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج٨/ ٩٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١٢/ ٤٣٨.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٢/ ٤٧٦.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٢/ ٤١٠.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٢/ ٢٥٦.

وروت جماعة من النساء عن أم حبيبة (رضي الله عنها).[1]

وقد كانت أمهات المؤمنين مرجعاً للناس في أحكام الزواج والطلاق والرضاع والمعاشرة وما يرتبط بها.[2]

وقد اشتهر عن عائشة (رضي الله عنها) عنايتها الخاصة بالمرأة، فقد كانت تعتني بالفتيات الصغيرات وبالنساء المتزوجات، تنصحهن وتوجههن، كما كانت تنصح الرجال في كيفية التعامل مع النساء، وخصوصاً حديثات السن منهن، وتروي في ذلك قصتها مع النبي ﷺ التي رواها النسائي (عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو)،[3] قالت: وكانت تحدث باستمرار عن حسن تعامل الرسول ﷺ مع نسائه، وعن سمره معهن ومزاحه وملاعبته لهن، ومراعاته لأحوالهن في السفر والحج والعمرة.[4]

---

(١) جمعة، نساء أهل البيت، ص٢٩٦.
(٢) جمعة، نساء أهل البيت، ص٢٦٥.
(٣) النسائي: السنن الكبرى، كتاب صلاة العيدين، باب اللعب في المسجد يوم العيد ونظر النساء إلى ذلك، ج٣/ ١٩٥؛ الذهبي، سير أعلام النساء، ج٢/ ١٥١.
(٤) انظر: ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوه الإحرام، ج٤/ ٢٧؛ الصالحي، أزواج النبي ﷺ، ص ٩٨، ٩٩، ١٠١.

وكانت عائشة تنادي بنات حواء لإيجاد المودة وزرع المحبة في بيوتهن، وتقول في هذا المجال ناصحة النساء: «أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تتصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه وإذا أقسم عليك فأبرِّيه ولا تأذني في بيته لمن يكره».[1]

كما كانت تؤكد على حسن التعامل مع الفتيات الصغيرات، وتضرب المثل بفعل رسول الله ﷺ معها، فقد ورد عن «هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات ويجئن صويحباتي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله انقمعن منه، فكان رسول الله ﷺ يدخلهن فيلعبن معي».[2]

وقد اشتهرت أم المؤمنين حفصة بمعرفتها الكتابة،[3] فلعل لها دوراً في تعليم بعض الفتيات ذلك.

كما كان لبعضهن موالٍ وجوارٍ، وكن يعاملنهم معاملة حسنة، وكانوا يشهدون العلم منهن، ويرون بأنفسهم زهدهن وحسن تصرفهن، وخصوصاً الجواري اللاتي كن في مرحلة التربية،[4] وقد أعتقت أمهات المؤمنين عدداً من الموالي رجالاً ونساء.[5]

---

(١) عبد الرزاق: المصنف، ج٣/ ١٤٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٦٦.
(٣) جمعة، نساء أهل البيت، ص ١٩٢.
(٤) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٧٠.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٢، الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص٩٦، ١٢٧.

كانت العلاقة قائمة بين أمهات المؤمنين بعضهن مع بعض بعد وفاة الرسول ﷺ، وتميزت علاقة عائشة بحفصة (رضي الله عنهما) بالقوة والخصوصية.[1] ولعل من أسباب ذلك كون بيت عائشة ملاصقاً لبيت حفصة (رضي الله عنهما)،[2] كانت أمهات المؤمنين يتفقد بعضهن بعضاً ويعطف بعضهن على بعض، حيث ذهبت الغيرة من بينهن بوفاة النبي ﷺ،[3] ووردت روايات مختلفة عن حضور بعضهن وفاة البعض، فقد وردت دعوة أم حبيبة لأم سلمة ولعائشة حين حضرتها الوفاة واستغفارهن لبعض وسرورهن بذلك.[4]

كما تميزت علاقتهن ببقية آل البيت رضي الله عنهم بالقوة واشتهرت العلاقة الخاصة بين أم المؤمنين صفية (رضي الله عنها) وبين أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[5]

كما اشتهرت زيارات الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وترددهما عليها،[6] وتفقُّد أحوالها مع بقية أمهات المؤمنين.

---

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٤٣.
(٢) عبد الغني: محمد الياس، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ص ٢٦.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٩٤.
(٤) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٧٠.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٧٣.

ولاشك أن مجتمع المدينة قد تغيرت تركيبته السكانية تدرُّجاً مع الفتوح، وانتشار الإسلام وامتداده لمواطن وشعوب جديدة، حيث رحل كثير من سكان المدينة إلى مناطق الفتح، كما قدم الكثير من العجم والموالي إلى المدينة.

وعموماً فقد كانت أمهات المؤمنين على صلة بشرائح المجتمع وطبقاته كافةً، يتمتعن بمكانة خاصة بينهم، وتزيد علاقتهن ببيوت المهاجرين والأنصار، وخصوصاً الذين بقوا في المدينة ولم يرحلوا منها.

والمطلع على ما روي عن أمهات المؤمنين من أحاديث يدرك مقدار هذه الصلة، خصوصاً إذا علم مناسبات تلك الروايات وارتباط تلك المناسبات بحياة الناس العامة، فما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قرابة (٢٢٠٠)[١] حديث، لكل حديث مناسبة وحادثة، بل ربما تكرر الحديث في أكثر من مناسبة.

وعموماً فإن أمهات المؤمنين كن رمزاً بقي بعد رسول الله ﷺ يحنو عليه الجميع ويحبه كل الناس من المؤمنين والمؤمنات، وتهوى إليهن أفئدة المؤمنين كما تهوى إلى الأمهات، فكن كما وصف الله (أمهاتٍ) لكل المؤمنين يُنظر إليهنّ بهذه النظرة، بل كن أعظم من أمهات النسب في نظر

---

(١) الخزرجي، تهذيب الكمال، ص١٢٤٠.

المؤمنين، وعند مرض بعض أمهات المؤمنين يصبحن محل عناية خاصة من المجتمع ككل، ومن أصحاب النبي ﷺ خصوصاً.

وفيات أمهات المؤمنين

جاء ابن عباس يستأذن على عائشة (رضي الله عنهما) في مرضها الذي ماتت فيه، فلما دخل عليها قال لها: ابشري فما بينك وبين أن تلحقي بمحمد ﷺ، إلا أن تخرج الروح من الجسد، كُنتِ أَحبّ نساء رسول الله ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً.[1]

وعند وفاتها نزل في قبرها عدد من أبناء الزبير أمهم أسماء بنت أبي بكر، وخالتهم عائشة (رضي الله عنها) وعدد من أبناء إخوتها.[2]

وحينما توفيت أم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها) اجتمع لجنازتها أهل المدينة، وصلى عليها أمير المدينة في حينه مروان ابن الحكم، وحمل جنازتها جماعة من الصحابة ﷺ، وتأثر أهل المدينة بموتها.[3]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٧٤، أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢/ ٨٧٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٨٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٩٣؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص٩١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٨٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٩٤.

(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٨/ ٨٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٩؛ جمعة، نساء أهل البيت، ص ٢٠٥.

بنات المصطفى ﷺ

ولدن وعشن وتربين في أفضل بيوت بني آدم عليه السلام عبر الزمان والمكان، بيت المصطفى ﷺ، سيد ولد آدم عليه السلام، أمهن خديجة بنت خويلد، أشرف وخير نساء العالمين، بيتهن بيت النبوة والصدق والعفة والطهارة (بيت الجنة)، أنعم الله عليهنِّ بالهداية، فكنَّ من أوائل المؤمنات برسول الله ﷺ المصدقات به، رغم تفاوتهنَّ في العمر.

شاركن رسول الله ﷺ همَّ الدعوة، دافعن عنه في الشدائد، مررن كما يمر غيرهنَّ بظروف مختلفة في الزواج، والولادة، والمعاشرة، عشن مع رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة بعد الهجرة في كنف أزواجهنَّ.

فارقن الحياة في حياته، عدا فاطمة (رضي الله عنها)، كانت أسرع أهله لحاقاً به بعد وفاته، فكان موعدهنَّ مع رسول الله ﷺ ونسائه مع الصالحين من أهل الجنّة، لا بُدَّ لكل دراس

لسيرته ﷺ من التعرف عليهنَّ وأحوالهنَّ كجزء مهم من محيط الرسول ﷺ وحياته يرتبهنّ أهل العلم بحسب سنهنَّ، وهنَّ:

زينب بنت الرسول ﷺ

كبرى بنات رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (رضي الله عنها) ولدت في السنة العاشرة قبل البعثة،(١) وقد أحبها الرسول ﷺ وعطف عليها وهو الرحيم بالصغار والكبار ﷺ، كان لولادتها عظيم الأثر على بيت المصطفى ﷺ، حيث سُرّ النبي ﷺ بها، وقد نشأت وترعرعت في كنف النبوة، وتلقت سامي الأخلاق والتربية، من والدها ﷺ ومن أمها خديجة (رضي الله عنها).

وفي سن الزواج خطبها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن شمس بن عبد مناف بن قصي، وهو ابن لخالتها هالة بنت خويلد، وقد عُرف أبو العاص بين شباب قريش بالصدق وحسن الخلق، إضافة إلى القرابة من ناحية الأم فهو ابن خالتها هالة، شديدة الصلة ببيت النبوة وتشبه أختها خديجة في حسن التعامل والأخلاق، وقد وافق الرسول ﷺ على زواجه منها، بعد استشارتها. وقد عاش الزوجان حياة سعيدة.(٢) وكان أبو العاص

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢١٢.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦.

رجلاً تاجراً يسافر كثيراً في تجارته إلى الشام وغيرها، تاركاً زوجته عند والدته هالة وهي خالتها.[1]

وحينما بعث الرسول ﷺ كانت زينب من أوائل المؤمنين برسالته والمصدقين به ﷺ، بكل اقتناع.[2]

وكان أبو العاص في تجارة إلى الشام، فلما عاد عرضت عليه زينب الإسلام كما عرض عليه ذلك الرسول ﷺ، فتردد رغم ثنائه على الرسول ﷺ ومعرفته به وبصدقه.[3]

وبعد اشتداد الأذى برسول الله ﷺ في مكة، كانت زينب أقل تعرضاً من غيرها للأذى لوجودها في بيت أبي العاص عند خالتها هالة، وفي هذه الأثناء ولدت زينب طفليها أمامة بنت أبي العاص وعلي بن أبي العاص.[4]

وقد هاجر الرسول ﷺ مع أهل بيته إلى المدينة، وبقيت زينب في مكة.[5]

وفي غزوة بدر خرج أبو العاص بن الربيع مع قريش فوقع

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦.
(٢) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٤٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٢.
(٤) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦.
(٥) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٤٦٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣١٢.

ضمن أسرى المشركين في بدر، وبدأت المفاوضات لفدائهم، فجاء أخوه عمرو بن الربيع لفدائه من مكة، وبعثت معه زينب بقلادة لها أعطتها إياها أمها خديجة (رضي الله عنها) عند زواجها، وأرادت من ذلك أن تفدي زوجها بهذه القلادة، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها فقال: ((إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم؟ قالوا: نعم))،[1] فأُطلق أبو العاص بن الربيع من الأسر مقابل تعهد منه أن يترك زينب لتلحق برسول الله ﷺ في المدينة، فرضي أبو العاص بذلك.[2]

وتم ترتيب هجرة زينب (رضي الله عنها) للحاق برسول الله ﷺ في المدينة، وتعاون في ذلك زوجها أبو العاص بن الربيع، مع زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. وقد اعتدى عليها (هبار بن الأسود) من رجال قريش فأسقطوها عن جملها وسقط جنينها،[3] وأصيبت بنزيف أضطرها للبقاء بعده في مكة أياماً عدّة، ثم لحقت برسول الله ﷺ بعد ذلك في المدينة ومعها طفلاها أمامة وعلي.[4]

وقد كانت زينب بعد الهجرة محل عناية خاصة من رسول

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣١٢.
وانظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٧.
(٤) ورد أن الرسول ﷺ كان يردف علي ابن زينب (رضي الله عنها) يوم الفتح، الذهبي، (سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٤٦).

الله ﷺ، كما كان أولادها يحظون بمداعبة الرسول ﷺ وتعليمه وتربيته،[1] وكان ﷺ يحمل أمامة وهو يصلي، فقد ورد عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: (بينا نحن في المسجد جلوس إذ خرج علينا رسول الله ﷺ يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي صبية، يحملها على عاتقه فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتقه إذا قام، فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها).[2]

وقد وقع أبو العاص بن الربيع في أسر المسلمين أثناء العودة من تجارة لقريش إلى الشام، قبل صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة،[3] وفي تلك العير أسروا أناساً من رجالها، فأعجزهم أبو العاص هرباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا أقبل أبو العاص من الليل في طلب ماله، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ﷺ فاستجار بها، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب (رضي الله عنها): أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال: فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على الناس فقال: ((أيها الناس

---

(١) انظر: الإمام أحمد، مسنده، ج٥/٣٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود ج١/ ١٤٥؛ والنسائي ج١/ ١١٧؛ وأحمد، ج٥/٣٠٣؛ وأنظر فتح الباري، ج١/ ٤٦٩.

(٣) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/٥٥٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٤.

هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلُص إليك فإنك لا تحلين له)). [١]

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: ((إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فَيْء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه قال: فردوا عليه ماله، حتى أن الرجل ليأتي بالحبل ويأتي الرجل بالشنة[٢] والأداوة حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم،

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٣؛ الواقدي، المغازي، ج٢/ ٥٥٣.

(٢) هي القربة المصنوعة من الجلد القديمة الجافة ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم.

فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ في محرم من السنة السابعة للهجرة.[1]

وقد بقيت زينب (رضي الله عنها) بعد ذلك مع زوجها في المدينة في كنف رسول الله ﷺ. وقد توفي ابنها علي أثناء ذلك. وبعد سنة من قدوم زوجها إلى المدينة مرضت زينب (رضي الله عنها) مرضها الذي تسبب فيه هبار بن الأسود ومن معه حين ألقوها من على جملها، وكانت وفاتها في السنة الثامنة من الهجرة.[2] وقالت أم عطية: لما ماتت زينب بنت رسول الله قال ﷺ: ((أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن بماء، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من الكافور فإذا فرغتن فآذنني))، فلما غسلناها أعطانا حقوة فقال: ((أشعرنها إياها))،[3] وكان هذا منه ﷺ تعبيراً عن كبير محبته لها، وشديد حزنه عليها ورحمته بها، وقد دعا لها رسول الله ﷺ.

وقد توفي زوجها من بعدها بأربع سنوات، وقد أوصى بابنته أمامة للزبير بن العوام رضي الله عنه،[4] وكانت بلغت مبلغ النساء

---

(١) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/ ٥٥٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٣.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٠؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص٦٥.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في أخره، حديث رقم: ١٢٥٨، ١٢٥٤.

(٤) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٤٠٠؛ ابن إسحاق، السيرة، ص ٢٢٩.

بعد وفاة خالتها فاطمة (رضي الله عنها)، التي كانت بمثابة الأم لها بعد وفاة زينب (رضي الله عنها) فتزوجها علي رضي الله عنه،[1] وبقيت في ذمته حتى استشهد فتزوجها من بعده المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي.[2]

رقية بنت رسول الله ﷺ

ولدت بعد أختها زينب فكانت الثانية في الترتيب من بين بنات النبي ﷺ، وكانت ولادتها قبل البعثة بسبع سنوات،[3] وقبل الهجرة بعشرين عاماً وأمها خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وقد تربت في بيت رسول الله ﷺ مع بقية أخواتها وخصوصاً زينب التي تكبرها وأم كلثوم التي تصغرها.[4]

وحينما شبت رقية خطبها أبو لهب عم النبي ﷺ لابنه عتبة، فتزوجها ولم يبق معها طويلاً، حيث بُعث النبي ﷺ فكان من أشد الناس عداءاً له ﷺ أبو لهب وامرأته أم جميل، حيث طلبا من ابنهما طلاق رقية بعد أن أغرياه بفراقها، وظنا أن في ذلك إهانة لها وهي المسلمة، وإهانة للنبي ﷺ،[5] بينما كان فراق الزوج الكافر والبيت الكافر المعادي نعمة من الله وسلامة من الكفر وأهله.

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٣٦.
(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٤٠٠.
(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٠٤.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٦.
(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/ ٢٥١.

وفي الوقت نفسه كان عثمان بن عفان ﵁ من أوائل المؤمنين برسول الله ﷺ المستجيبين لدعوته. وما أن علم بطلاق رقية من عتبة حتى بادر بخطبتها من رسول الله ﷺ، لما أراد الله له من الكرامة وبركة النسب مع رسول الله ﷺ، وقد تزوجها عثمان بن عفان ﵁، وكانا زوجين شابين وسيمين جميلين مضرب المثل عند أهل مكة جمعهما الإيمان ومحبة الرسول ﷺ.(١)

وحينما اشتدّ الأذى على الرسول ﷺ والمسلمين معه في مكة، أصاب عثمان وأهل بيته منه نصيب، فخرج مهاجراً برقية إلى الحبشة مع الدفعة الأولى من مهاجري الحبشة، فكانت رقية الوحيدة المهاجرة من بنات رسول الله ﷺ إلى الحبشة. وقال عنها الرسول ﷺ: ((إنهما أول من هاجر إلى الله بعد لوط))،(٢) فكانا محط عناية واهتمام المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة، وكانوا يرون ابنته معهم يصيبها ما أصابهم ويدركون من عناية النجاشي الشيء الكثير بوجود ابنة الرسول ﷺ معهم.(٣)

وقد عادت مع عثمان (رضي الله عنهما) إلى مكة مع عودة المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة، بعد أن وصلت أخبار مضللة بإسلام قريش. وحين عادت إلى مكة بعد هجرة سنوات

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٠٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٠٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٦.

(٣) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

وجدت أمها الحبيبة أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) قد توفيت،[1] فتألمت لذلك وحزنت حزناً شديداً، ثم عادت مرة أخرى مع عثمان للهجرة إلى الحبشة، وكانت مع عثمان تلفت أنظار الصحابة المهاجرين وأهل الحبشة، بطيبتها ونظارتها وحسن خلقها (رضي الله عنها) وبذلك كانت (رضي الله عنها) من أصحاب الهجرتين إلى الحبشة.

وكانت عودة رقية مع زوجها عثمان بن عفان ﵁ إلى مكة قبيل هجرة النبي ﷺ بوقت قصير.[2] وكانت مع عثمان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، حيث رزقت هناك بابنها عبد الله ابن عفان الذي توفي في سنيه الأولى.

وعند خروج رسول الله ﷺ إلى غزوة بدر كانت رقية (رضي الله عنها) مريضة، فطلب الرسول ﷺ من زوجها عثمان أن يبقى إلى جانبها للعناية بها وتمريضها، فبقى عثمان ﵁ معها أثناء مرضها في المدينة.[3]

وتوفيت (رضي الله عنها) في رمضان من السنة الثانية للهجرة قبيل عودة الرسول ﷺ من غزوة بدر، ودفنت في البقيع، وكان عمرها اثنتين وعشرين سنة، وحين عودته ﷺ من بدر زار قبرها

---

(١) انظر: وفاة أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)، من هذا الكتاب؛ وانظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص٢٢٧.
(٢) ابن حجر، الإصابة ج٤/ ٣٠٤.
(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٦.

ودعا لها، مما أثار رقة النساء فبكين عليها لما رأين رسول الله ﷺ فنهرهن عمر رضي الله عنه، فأجاز لهن الرسول ﷺ ذلك وقال: ((إياكنّ ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان)).(١)

وكانت رقية أُولى بنات النبي ﷺ وفاة بعد خديجة، ولذلك حزنت عليها بقية أخواتها، وكانت أختها زينب حينها في مكة.

أم كلثوم بنت النبي ﷺ

تأتي في المرتبة الثالثة في السن بين بنات النبي ﷺ، فهي أصغر من رقية وأكبر من فاطمة (رضي الله عنهن).(٢)

وأمها خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، ولدت قبل البعثة بقرابة ثماني سنوات،(٣) ونشأت في بيت النبوة مع أخواتها، رباها النبي ﷺ وحضنتها ورعتها أمها خديجة (رضي الله عنها)، أسلمت مع أمها وأخواتها بعد بعثة النبي ﷺ، وكانت صغيرة السن.(٤)

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٢.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٦١٢.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٢.

(٤) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٢.

وقد خطبها وتزوجها عتيبة بن أبي لهب قبيل بعثة النبي ﷺ ولم يبن بها.

فلما بُعث النبي ﷺ، ظهر عداء عتيبة مع أبيه وأمه أم جميل للنبي ﷺ ولدعوته، ولشدة العداء فإن عتيبة طلق أم كلثوم ولم يدخل بها ظناً منه ومن والديه أن ذلك يلحق الأذى بها وبرسول الله ﷺ،[1] ولم يكتف بالطلاق، بل جاء إلى النبي ﷺ وأظهر عناده وعداءه فقال: (كفرنا بك وبدينك، وفارقت ابنتك) فقال ﷺ: ((أما أني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه))، فخرج عتيبة في تجارة لقريش إلى الشام، فهجم أحد الأسود على القافلة فأصاب عتيبة فقتله.[2] وقد صبرت أم كلثوم مع أبيها على أذى قريش، وكانت ممن يواسيه ويسانده ويهون عليه، وأصابها ما أصاب أهل بيته ﷺ سنين المقاطعة من الجوع والألم، وحينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت ضمن أهل بيت النبي ﷺ الذين هاجروا كفاطمة وزيد بن حارثة وغيرهم.[3]

وكانت لها مكانة خاصة عند أمهات المؤمنين وبيوت المهاجرين والأنصار، وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة توفيت أختها رقية زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فحزن عليها حزناً

---

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٦١٢.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٧.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٣٨.

عظيماً وافتقدها، فزوج رسول الله ﷺ عثمان من أم كلثوم بمثل مهر رقية، وبمثل عشرتها.

روى سعيد بن المسيب رحمه الله: أن النبي ﷺ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهموماً لهفان فقال له: ((ما لي أراك مهموماً؟)) قال: يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل عليَّ؛ ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي وانقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينما هو يحاوره إذ قال النبي ﷺ: ((يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها))، فزوجه إياها.[(١)]

وقال لها إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد.[(٢)]

وكان زواجهما في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، وكانت بكراً لم يقربها زوجها الأول.[(٣)]

وقد أحب عثمان أم كلثوم وأحبته حباً شديداً، وقامت على

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤٩٠، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/ ٣٨٤؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/ ١٠.

(٢) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٦١٣؛ المحب، الطبري، الرياض النضرة، ج٣/ ١١.

(٣) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩/ ٢١٧؛ عبدالمنعم الهاشمي، أبناء النبي وأحفاده، ص ٥٩.

رعاية ابنه عبدالله من رقية المتوفاة، حتى توفي عبد الله وعمره ست سنوات بعد ذلك.[1]

ولذلك فإن الأمة ترى علو منزلة عثمان رضي الله عنه؛ لأنه لم يتزوج في الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره.[2]

وقد عاشت مع عثمان رضي الله عنه ست سنوات، حتى توفيت في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة.[3]

وحينما أرادات النساء تغسيلها وجههن الرسول ﷺ في كيفية غسلها، عن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته أم كلثوم، فقال ((اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر. واجعلن في الآخرة كافورا أو شيئاً من كافور. فإذا فرغتن فآذنني(فلما آذناه. فألقى إلينا حقوة. وقال ((أشعرنها إياه)).[4]

وقد جلس ﷺ عند قبرها أثناء الدفن وعيناه تذرفان، عن أنس: رأيت النبي ﷺ جالساً على قبرها، يعني أم كلثوم، وعيناه تدمعان فقال: ((فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا

---

(١) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٦.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/ ٢٠١.

(٣) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٦١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٥٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/ ٧٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل، ج٢/ ٧٤.

قال: أنزل)).[1] ودفنت في البقيع. وكان ﷺ يقرأ ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه]. وقد ورد أنه بعد وفاتها قال: ((لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان)).[2] وهكذا نرى تزويج الرسول ﷺ لعثمان من أم كلثوم بعد وفاة أختها رقية بفترة قصيرة، وليس في ذلك عيب، ولا خيانة. ويمكن اعتبار ذلك من السنة والأمور الطبيعية دونما حساسية، كما يأخذها أهل هذا الزمان، ولعل في ذلك مصلحة لعبد الله ولد عثمان ابن رقية، حيث قامت عليه خالته أم كلثوم، كما أن هذا وفاءٌ من رسول الله لعثمان وحرصاً من عثمان رضي الله عنه على استمرار مصاهرة الرسول ﷺ ونيل الشرف بذلك.

فاطمة بنت النبي ﷺ

هي أم الحسن بن علي رضي الله عنه أصغر بنات النبي ﷺ ولدتها خديجة (رضي الله عنها) قبل البعثة بقرابة خمس سنوات.[3]

أكثر بنات النبي ﷺ ذِكراً، لأنها أم الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، الوحيدان من أبناء وأسباط وأحفاد النبي ﷺ الذين بقوا من بعده وتناسلوا.

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، حديث رقم: ١٣٤٢.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٥٦.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٧٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ١٩.

كما أنها الوحيدة الباقية من بنات النبي ﷺ بعد وفاته،[1] وقد كانت حياتها من بعده قصيرة، إلا أنه لم يبق غيرها، وإلا فكل بنات النبي ﷺ مؤمنات محبوبات، لهن مكانتهن عند المسلمين في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

ولذلك غلبت أخبار فاطمة (رضي الله عنها) والحديث عنها على بقية بنات النبي ﷺ، (تكنى بنت أبيها) وعُرفت بالزهراء لصدقها وإيمانها رضي الله عنها.[2]

تربت على يد أمها خديجة في بيت المصطفى ﷺ بمكة، فكانت عفيفة طاهرة طيبة صَدُوقاً بارة، كانت (رضي الله عنها) من أوائل من شهد بعثة النبي ﷺ، وأسلمت وبايعت النبي ﷺ رغم صغر سنها.

ولصغر سنها كانت تتابع النبي ﷺ في مكة، حال انتقاله من مكان إلى آخر، تخشى عليه وتسارع لمساعدته حين تعرضه للأذى، ولذلك كانت هي المبادرة لرفع الأذى عن رأسه ﷺ، حينما ألقى عقبة بن أبي معيط سلى الجزور على الرسول ﷺ، فأزاحته من على رأسه الطاهر وسبّتهم.[3]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٧٧؛ وانظر: تقديم ابن سعد لها في ترجمته لبنات النبي في الطبقات، ج٨/ ١٩.

(٣) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١١٠.

وانظر: أذى المشركين للرسول ﷺ من هذا الكتاب.

وقد شهدت حصار الشعب للمسلمين فنالها ما نال المسلمين من الجوع والأذى، وكانت (رضي الله عنها) ممن ناداهم الرسول ﷺ بأسمائهم، حينما جهر بالدعوة في قوله: ((يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا))،[١] مع أن عمرها كان صغيراً قارب الثماني سنوات في تلك الفترة.

وكانت تزيل الأذى من أمام بيت النبي ﷺ، حيث كانت أم جميل امرأة أبي لهب تلقي بالأذى أمام بيت الرسول ﷺ، فكانت فاطمة تبعده.

استمرت تخدم رسول الله ﷺ، وخصوصاً بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) وزواج أخواتها، وقد هاجرت إلى المدينة المنورة برفقة أختها أم كلثوم وأم المؤمنين سودة بنت زمعة وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، زوجة زيد بن حارثة.[٢]

وفي المدينة بلغت (رضي الله عنها) سن الزواج، وفي الوقت نفسه تزوج ﷺ من عائشة (رضي الله عنها) مع وجود أم المؤمنين سودة، فكانت محط أنظار الخُطّاب وآمالهم، حيث بلغت وخفت مهمتها في خدمة النبي ﷺ، وكانت سنها تؤهلها للزواج، فتقدم لخطبتها عدد من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر

---

(١) انظر: ابن اسحق، السيرة، ص ١٢٨.

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ص ٤٩، وانظر: رواية الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج١/ ١٣٣.

وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، فكان ﷺ يردهم بلطف وأدب، فبادر بعض الأنصار إلى علي رضي الله عنه وشجعوه على التقدم لخطبتها من النبي ﷺ وكان حيياً رضي الله عنه.

فذهب إلى رسول الله ﷺ خاطباً، وقف عليّ صامتاً من الحياء عند النبي ﷺ، فعرف النبي حياءه ورغبته، فبادر بسؤال علي رضي الله عنه، ما حاجة ابن أبي طالب؟ فقال: علي رضي الله عنه: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال ﷺ مرحباً وأهلاً.

فعرف علي رضي الله عنه موافقة النبي ﷺ على زواجه من فاطمة وترحيبه ورغبته في ذلك،[1] وبعد أيام أتمّ عليٌّ الخطبة، وقدم مهراً لفاطمة درعاً أهداها الرسول ﷺ له في غزوة بدر.[2]

وكان زواج علي من فاطمة (رضي الله عنهما) في السنة الثانية من الهجرة في شهر ذي القعدة وكان بناؤه بها في السنة الثالثة من الهجرة قبيل غزوة أحد.[3]

وقبل بناء علي بها دعا لهما النبي ﷺ: ((اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما))، وقيل إنه دعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما ودعا لهما.[4]

---

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠؛ وأنظر: عنوان زواج علي وفاطمة (رضي الله عنهما)، من هذا الكتاب.

(٢) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٣) انظر: زواج علي وفاطمة (رضي الله عنهما)، من هذا الكتاب.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢١.

وقد سكن علي وفاطمة (رضي الله عنهما) في غرفة مجاورة لحجرات النبي ﷺ،[1] فكان يدخل عليهما ويدخلان عليه ويأنس بهما وبأولادهما بعد ذلك، وكانت حياتهما حياة زهد وكد، فما كانت حياة ترف ولا نعومة، يقول علي رضي الله عنه تزوجت فاطمة وما لي ولها غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونجلس عليه بالنهار.[2]

وقد أعطاها الرسول ﷺ خميلة ووسادة أَدم ـ جلد ـ حشوها ليف وإهاب شاة[3] ورحاءَيْن وسِقاءً وجرتين، فكانت تطحن بالرحى حتى أثر في يدها، وتجلب الماء بالقربة وتنظف البيت وتخدم زوجها علياً رضي الله عنه.

ولما علم علي كرّم الله وجهه أن النبي ﷺ قد جاءه سَبْيٌ قال لفاطمة: لو أتيت أباك فسألته خادماً، فأتته فقال النبي ﷺ: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأُسلم عليك، واستَحْيَتْ أن تسأله ورجعت، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد وسألها، ما كانت حاجتك؟ فسكتت، فقال علي: والله يا رسول الله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيت صدري، وهذه فاطمة قد طَحنتْ حتى محلت يداها، وقد أتى الله بسَبْيٍ فأَخدمنا؟ فقال الرسول ﷺ: ((لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفّة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٠.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٣.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٣، ٢٤.

عليهم ولكن أبيع وأنفق عليهم بالثمن، فرجعا إلى منزلهما، فأتاهما رسول الله ﷺ ليخفف عنهما عناءهما وقال لهما برفق وحنان: ((ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتماني؟ قالا: بلى، فقال: كلماتٍ علمنيهن جبريل: تسبّحان الله دُبُرَ كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران أربعاً وثلاثين)).(١)

كما كان ﷺ يوجههما باستمرار إلى الزهد والتصدق وعدم الحرص على الحُلي لتتبوأ بذلك السيادة على نساء العالمين (رضي الله عنها)، وليكون لها أسوة حسنة في رسول الله ﷺ في الزهد بالدنيا ومظاهرها.(٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على عليّ وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي ﷺ سكتا، فقال لهما النبي ﷺ: ((ما لكما كنتما تضحكان، فلما رأيتماني سكتّما))، فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ قال هذا: أنا أَحبُّ إلى رسول الله ﷺ منكِ، فقلت: بل أنا أحبّ إلى رسول الله ﷺ منكَ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: ((يا بنية لك رقّة الولد وعليٌّ أعزّ عليَّ منك)).(٣)

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٦.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٦.

وفي السنة الثالثة للهجرة رزقت بإبنها الأول الحسن بن علي رضي الله عنه، وكان أشبه الناس خَلْقاً برسول الله، فحنّكه بنفسه وسماه الحسن، وفرح به ﷺ فرحاً عظيماً، حيث أدخل السرور على قلبه وعلى قلب علي وفاطمة (رضي الله عنهما).[١]

وبعد عام تقريباً أي في السنة الرابعة للهجرة في شهر شعبان، رزقت فاطمة بالحسين بن علي رضي الله عنهم.[٢]

وأحب رسول الله سبطيه، ورقّ لهما وأكثر من الدعاء، وقال فيهما: ((اللهم إني أُحبهما فأَحبهما وأحب من يحبهما)).[٣]

وقد شاركت فاطمة (رضي الله عنها) مع نساء المؤمنين في غزوة أحد في جلب الماء ومداواة الجرحى، وهي التي داوت جرح رسول الله ﷺ فأحرقت حصيراً ووضعت من رماده على جرح النبي ﷺ حتى توقف النزيف، وقد غسلت سيف النبي ﷺ يوم أحد، كما غسلت سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذلك.[٤]

وفي السنة الخامسة للهجرة رزقت ببنت أسمتها زينب على اسم أختها التي توفيت قبل فترة قصيرة، وبعد ما يزيد على

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ج١/ ٢٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٢٤٦.

(٢) انظر: الزبيري، نسب قريش، ج١/ ٢٣.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥١.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٥؛ وانظر: غزوة أحد.

عامين رزقت بطفلة أخرى أسمتها أم كلثوم على اسم أختها التي توفيت قبل ذلك، وأم كلثوم هذه هي التي تزوجها عمر بن الخطاب ﵁ أثناء خلافته ورزق منها بولد.[1]

وفي أواخر السنة التاسعة للهجرة لم يكن قد بقي من بنات النبي ﷺ سوى فاطمة (رضي الله عنها)، حيث توفيت أختها التي أكبر منها مباشرة أم كلثوم (رضي الله عنها)، وهي زوجة عثمان ابن عفان ﵁، ولذلك كانت الوحيدة الباقية من بنات النبي ﷺ في السنتين الأخيرتين من حياته.

كانت فاطمة (رضي الله عنها)، الوحيدة من بناته ﷺ التي شهدت مرضه ووفاته، وكان يأنس بها أثناء مرضه تحدثه ويحدثها، ومن ذلك ما ورد عند البخاري برواية عائشة، (أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ((مرحباً بابنتي)) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، حتى قُبِض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: ((أَسرَّ إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أَجَلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي)) فبكيت.

---

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٢، ٢٣٥.

فقال: ((أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟)) فضحكت لذلك).[1]

ومن المواقف الخاصة بفاطمة أنه لما ثَقُل النبي ﷺ، جعل يتغشاه، فقالت فاطمة (رضي الله عنها): (وا كَرَبَ أباه فقال ﷺ ((ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم)). فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة (رضي الله عنها): يا أنس أطابت أنفسكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب).[2]

وقد تكلم الكثيرون من أعداء الصدّيق عن خلاف بين فاطمة وبين أبي بكر (رضي الله عنهما)، وزعموا أن ذلك الخلاف مرده إلى حرص فاطمة على الأموال، وخصوصاً النخيل التي تركها الرسول ﷺ عند وفاته صَدَقَةً.

وحاشا لله أن تكون فاطمة، الزكية الطاهرة العفيفة الزاهدة كما زعموا، ما كانت فاطمة (رضي الله عنها) من أهل الدنيا ولا تهتم بها أو تجعلها أكبر همها كما صور هؤلاء، وهي التي أخبرها النبي ﷺ بقرب رحيلها، وأنها أول من يلحق به بعد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم: ٣٦٢٣، ٣٦٢٥؛ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٥٠ ـ ٩٩؛ والترمذي في كتاب المناقب حديث رقم ٣٩٦٤. وانظر وفاة النبي ﷺ من هذا الكتب.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٥٠٣، وانظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

موته، فحاشا لله أن تكون فاطمة سيدة نساء العالمين مهمومة بالمال أو الإرث والمزارع كما يصورها هؤلاء. فكيف يُنسب لها هذا مع علمها بقرب موتها. وقد ورد عن عروة بن الزبير عن عائشة: (أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة رسول الله ﷺ التي بالمدينة وفَدَك وما بقي من خُمْس خيبر، فقال أبو بكر: (إن رسول الله ﷺ قال: ((لا نورِّث ما تركناه صدقة،[1] إنما يأكل آل محمد من هذا المال))، يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل)، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ، ولأعملنّ بما عمل به رسول الله ﷺ، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فتشهد عليّ ثم قال: إنا عرفناك يا أبا بكر فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصِلَ من قرابتي وأوسع منه).[2]

وقد طابت نفس فاطمة حينما سمعت قول الصديق وما أشار إليه من قوله ﷺ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه

---

(١) من رواية البخاري، كتاب الخُمس، حديث رقم: ٣٠٩٢، وانظر: تفصيلات أكثر عند: الصلابي، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص١٥٤، وقارن بابن شبة، في تاريخ المدينة، ج١/ ١٩٦.

(٢) من رواية البيهقي، في السنن الكبرى، ج٦/ ٣٠٠، وفي دلائل النبوة، حديث رقم ٣٢٧٦، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢١، ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨.

صدقة)). [1] ومن الثابت وجود ورثة آخرين، منهم العباس عم النبي ﷺ، وهو الذي يعصبه، ومنهم بقية زوجات النبي ﷺ، الذين لم نسمع أن أحداً منهنّ طالب بميراث مادي، والرسول ﷺ لم يترك مالاً بل ترك ديناً، وأما فدك وخيبر فهي صدقة كما أشار أبو بكر رضي الله عنه.

وفاطمة أكبر وأعظم من أن يكون همها ميراث مال دنيوي، وقد علمت أنها لن تبقى بعد الرسول ﷺ سوى بضعه أشهر، فتلك تهمه باطلةٌ فاطمة منها بريئة (رضي الله عنها) وأرضاها.

وقد ذكر في روايات أخرى أن أبا بكر ومن بعده عمر (رضي الله عنهما) طلبا من علي رضي الله عنه تسلُّم تلك النخيل في فدك وخيبر، على أن يعمل بها كما يعمل رسول الله ﷺ في الصدقة منها، فرفض علي تسلَمها لا احتجاجاً عليهما، ولكن اقتناعاً بما كان الخليفتان يقومان فيها وعملهما في تصريفها. [2]

وقد ورد عند البخاري: «فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس رضي الله عنهما، فأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولِّي الأمر». [3]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الخمس، الحديث رقم: ٣٠٩٢.

(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/ ٢٠٤، ٢٠٧.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب فرض الخمس ـ قصة فدك، ج٤/ ٤٢، وأنظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/ ٢٠٤ و٢٠٧، الخمس.

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه (مناقب فاطمة رضي الله عنها) وقال النبي ﷺ: نساء أهل الجنة.[١]

وقد أورد البخاري عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: ((فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)).[٢]

وقد اهتمت كتب الحديث ومختلف التراجم بذكر فضائل فاطمة (رضي الله عنها)،[٣] ورواية ما يتعلق بحياتها والترجمة لها، كما اهتمت بغيرها من بنات النبي ﷺ اللائي جمع بينهن بُنُوتهن للرسول ﷺ، وإسلامهن وصدقهن وتصديقهن ودفاعهن عن الرسول ﷺ.[٤]

وقد وردت أحاديث عدة في فضل فاطمة (رضي الله عنها)، كثيرٌ منها برواية أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، ما يدل على تقدير عائشة لفاطمة (رضي الله عنهما) ومعرفتها بفضلها والصدق في رواية ما جاء في فضل فاطمة وحسن العلاقة بين فاطمة (رضي الله عنها) بنت الرسول ﷺ وبين عائشة زوجة أبيها، أم المؤمنين زوجة المصطفى ﷺ بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب ٢٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٦٧.

(٣) انظر: ترجمتها عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١١٨، وابن سعد، الطبقات، ج ٨/ ١٩، وابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٨٨.

(٤) أُلِّفَ في بنات النبي ﷺ عدد من الكتب منها: عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، بنات النبي، ومحمد راتب النابلسي، سيرة بنات النبي، وغيرها كثير.

من ذلك ما روته عائشة (رضي الله عنها) قالت: (أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي رسول الله ﷺ فقال مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه. . الحديث).[1]

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها قالت: وكان بينهما شيء فقالت: يا رسول الله ﷺ سَلْها فإنها لا تكذب).[2]

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) موقفاً يبين مكانة فاطمة (رضي الله عنها) من رسول الله ﷺ وما خصها به من علم لم يُعْطَه أحد آخر، فقد روى البخاري ـ كما مر سابقاً ـ عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه، قالت: (دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قُبِض فيه، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل أهل بيته يتبعه، فضحكت).[3]

وقد مرضت (رضي الله عنها) في الأيام الأخيرة من عمرها، وكان علي رضي الله عنه حريصاً على خدمتها، روى ابن سعد في

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٤٤٧٧ ورقم ٤٤٧٨.
وانظر: وفاة النبي ﷺ من هذا الكتاب.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وروى البخاري أوله، ج ٤/ ٢١٩.
(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٤٤٧، ورقم: ٤٤٧٨.
وانظر: وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

الطبقات: «جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن فقال علي: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له. قالت وذلك أحب إليك. قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها، وكلمها فرضيت عنه».[1]

ولما أحست بدنو أجلها أوصت علياً رضي الله عنه بوصايا عدة منها أن تحمل في نعشٍ وصفته له يكون عليه شيء من الجريد يطرح عليه الثياب،[2] حتى لا يرى الناس جسدها ووصفها من شدة حيائها وعفافها (رضي الله عنها)، ومن ذلك أن يغسلها علي وأسماء بنت عميس،[3] وكانت زوجة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولعلها أشارت أن يتزوج علي رضي الله عنه بأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وهي بنت أختها زينب (رضي الله عنها)،[4] خالتها فاطمة ربتها بعد وفاة أمها، تعرف طباعها وتقواها وصلاحها، وتريد أن تكون كالأم للحسن والحسين رضي الله عنهما بعد وفاتها، وهما في مرحلة الصبا في السابعة والثامنة من العمر.

كما أوصت أن يكون دفنها بالبقيع بعد وفاتها مباشرة، وماتت ودفنت ليلاً بجوار أخواتها بنات النبي ﷺ ليكون الدفن ليلاً أكثر ستراً لها.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢١.
(٢) انظر: ابن سعد الطبقات، ج٨/ ٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢٨.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢٨.
(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٢٣٦.

وقد توفيت (رضي الله عنها) في شهر رمضان من السنة الحادية عشر للهجرة،[1] بعد والدها ﷺ ببضعة أشهر، ومن الثابت صلاة أبي بكر رضي الله عنه عليها،[2] فلعله صلى على قبرها أو أنه شهد دفنها ليلاً، خصوصاً أنه من الثابت أن أسماء بنت عميس زوجة الصديق هي من جهزها للدفن بعد موتها رضي الله عنهم أجمعين.

وصلى عليها علي رضي الله عنه ونزل في قبرها،[3] فكانت آخر من مات من بنات الرسول ﷺ وأبنائه، فحزنت الأمة كلها على فراقها وكان عمرها حين وفاتها تسعاً وعشرين سنة. كانت بنات النبي ﷺ جميعاً مؤمنات صادقات، نقيات ورعات. وهذا من رحمة الله بنبيه ﷺ، كما كان أصهاره منهن شرفاء من أطيب رجال زمانهم رضي الله عنهم، وإن تأخر إسلام أبي العاص بن الربيع قليلاً، كما شهدن مع رسول الله ﷺ ما أصابه من أذى، ودافعن عنه، وكانت عنايته خاصة بهن وقد تألم ﷺ لفقد ثلاث منهن في حياته.

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٢٩.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ١٢٩.

أصهار النبي ﷺ وأقاربه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1]

ولد قبل الهجرة بحوالى ٢٣ سنة، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، عاش في كنف وبيت رسول الله ﷺ، أول من آمن به من الصبيان، أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، ج٩/٣٧؛ وقد أجمعت الأمة وخصوصاً أهل السنة على محبة علي رضي الله عنه وألفت الكتب في مناقبه، ومن ذلك:
- أبو الحسن الندوي، المرتضي سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
- محمد علي الحاجي، علي بن أبي طالب.
- محمد علي الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسأشير إليه بكتاب علي بن أبي طالب.

كما نال نصيبه من الترجمة والتاريخ في كتب التراجم للصحابة والخلفاء والأعلام، وكذلك عند المحدثين، ومن كتبوا عن آل البيت.

الراشدين، ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وسيِّدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة بنت أسد.[١]

وصلّى مبكراً مع النبي ﷺ ومع خديجة (رضي الله عنها) وآل بيت النبي ﷺ، مكث في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ليحمي الرسول ﷺ بنفسه، ثم أدى الأمانات عن النبي ﷺ ولحق به مهاجراً في المدينة.[٢]

زوّجه الرسول ﷺ من أصغر بناته فاطمة في السنة الثانية للهجرة، وسكن داراً مجاورة للنبي ﷺ، فكان ﷺ يأنس بزيارة فاطمة وعلي (رضي الله عنهما) والجلوس إليهما وتبادل الحديث معهما.[٣]

«دخل عليٌّ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك قالت في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلُص التراب إلى ظهره فجعل ﷺ يمسح التراب عن ظهره فقال له: ((اجلس يا أبا تراب))،[٤] ولذلك كان يحب علي رضي الله عنه هذه التسمية.

كان شجاعاً مقداماً، قاتل مع الرسول ﷺ في بدر، وكان

---

(١) انظر: الزبيري، نسب قري، ص ٤٠.
(٢) انظر: الهجرة النبوية، من هذا الكتاب.
(٣) انظر: زواج فاطمة (رضي الله عنها) وعلي رضي الله عنه، من هذا الكتاب.
(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب علي، حديث رقم: ٣٧٠٣.

من المبارزين من آل البيت،[١] وفي أُحُد صمد مع النبي ﷺ،[٢] وفي الخندق تصدى لعمرو بن عبد ودّ وقتله حينما حاول اقتحام الخندق،[٣] وفي غزوة بني قريظة حمل راية الرسول ﷺ وبدأ حصارهم. وهو كاتب لرسول ﷺ، كتب صلح الحديبية بين الرسول ﷺ ومشركي مكة، وكان ممن بايع بيعة الرضوان في تلك الغزوة.[٤]

في غزوة خيبر بعد أن استعصى الفتح على رسول الله ﷺ ومن معه قال: ((لأعطينّ الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله))،[٥] فتطاول لها الناس كل يريدها، فأعطاها ﷺ لعلي ففتح الله على يديه، وقتل مرحباً اليهودي قائد يهود خيبر. ولا تكاد تجد غزوة من غزوات الرسول ﷺ إلا ولعلي فيها بطولة ومواقف وشجاعة لا يدانيها أحد.

وحينما استخلفه الرسول ﷺ في أهل بيته عند غزوة تبوك، حزن في نفسه وهو الشجاع المقدام، وحاول المنافقون استغلال الموقف للنيل منه، فحظي بشهادة النبي ﷺ حيث قال له: ((أما

---

(١) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.
(٢) انظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.
(٣) انظر: غزوة الخندق، من هذا الكتاب.
(٤) انظر: صلح الحديبية، من هذا الكتاب.
(٥) انظر: غزوة الخندق، من هذا الكتاب.
وصحيح البخاري، حديث رقم: ٣٧٠١.

ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي)).[1]

حمل آيات سورة التوبة (براءة) ليقرأها على الحجاج في مكة، في السنة التاسعة من الهجرة، فتلاها وفيها منع المشركين من الحج بعد هذا العام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة]. وكان أمير الحج أبا بكر الصديق والمبلغ علي رضي الله عنه وتعاونا في هذا الأمر.[2]

توفي الرسول ﷺ وعمر علي ثلاث وثلاثون سنة، وهو الذي غسل رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره عند تغسيله بعد وفاة النبي ﷺ، وشاركه في الغسل عمه العباس وبعض بنيه.[3]

في خلافة أبي بكر بايع علي رضي الله عنه عن طيب نفس ورضا لأبي بكر، وكان نعم الوزير له والمستشار،[4] وقد شاركه في حروب

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، حديث رقم: ٤٤١٥، و٣٧٠٦.

(٢) انظر: حج أبي بكر بالناس، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٤) ألف كتاب في مشاركات علي رضي الله عنه للراشدين ومساعدته لهم بعنوان «علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مستشار أمين للخلفاء الراشدين»، للدكتور محمد عمر الحاجي.

المرتدين منذ أول معركة في غزوة ذي القصة،[1] شارك في إدارة الدولة الإسلامية طيلة خلافة أبي بكر.

وفي خلافة عمر كان من أوائل المبايعين لعمر، وساهم معه في إدارة الدولة، وكان عمر يستخلفه على المدينة حين يسافر.[2]

وقد زوج علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم شقيقة الحسن والحسين رضي الله عنهم، ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ من عمر بن الخطاب.[3]

جعله عمر ضمن الستة المرشحين للخلافة من بعده رضي الله عنه الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ليختار المسلمون أحدهم خليفة لعمر.[4]

في خلافة عثمان كان نعم المستشار والقاضي لعثمان رضي الله عنه، وهو صهره السابق (عديله) كما يقال، كانا متزوجين من بنات الرسول ﷺ،[5] وحينما حوصر عثمان رضي الله عنه في الدار قبل استشهاده أرسل ولديه الحسن والحسين (ضي الله عنهما) ليدافعا

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦/ ٣١٤.

(٢) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٤/ ١٩٢، ج٤/ ٣٢٧؛ الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ١٧٣.

(٣) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري، ج٤/ ٢٠٧؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣٦، ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٣٣٧.

(٥) انظر: ترجمة رقية بنت النبي ﷺ، من هذا الكتاب.
وترجمة فاطمة بنت النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

عنه، فحملا سيفيهما ودافعا عن عثمانﷺ، حتى أقسم عثمانﷺ عليهما وعلى غيرهما بالانصراف.[1]

تولى الخلافة بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفانﷺ في ٢٥ ذي الحجة سنة ٣٥، حيث بايعه الصحابة في المدينة فانعقدت خلافته،[2] فكان ورعاً تقياً زاهداً عادلاً حكيماً.[3]

وكانت الأمة تمر بفترة فتنة بعد استشهاد عثمان. وقد حاول عليﷺ جاهداً توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم فلم يستطع، حيث أرهقه أصحاب الفتن. خاض معركة الجمل بغير إرادة منه،[4] نازعه معاوية وخاض ضده موقعة صفين، وكان الحق مع علي في رأي أهل السنة.[5] وقد بغى عليه أهل الشام، ولم يُكَفّروا بذلك وصدق فيه وفيهم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات].

---

(١) انظر: خليفة بن خياط؛ تاريخه ص ١٢٩.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، حوادث سنة ٣٥هـ، ج٥/ ١٥٢.

(٣) انظر: زهده وورعه عند، الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٢٤٥.

(٤) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٥٠٢؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٢٥٠.

(٥) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج١/ ٥٣٧ و٥٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ١٤٠، ١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/ ٢٦٧.

نعم كانوا إخوة بنص القرآن، والحق مع علي ﵁، ودليل ذلك كون عمار بن ياسر ﵁ قُتل مع علي ﵁.[1] وقد قال ﷺ: ((تقتلك الفئة الباغية))،[2] والفئة الباغية قتلته وهي ليست كافرة إنما مؤمنة باغية،[3] ووصفتها الآيات القرآنية التي كأنما أنزلت فيهم، وهي تخصهم ومن شابه حالاتهم.[4] وقد زاد الأمر سوءاً خروج الخوارج الحرورية على علي في موقعة النهروان، وكان ﵁ حريصاً على حقن الدماء، حيث أرسل ابن عمه عبد الله بن عباس، وكان من أمرائه لمناظرتهم، وإتاحة باب التوبة والرجوع لمن شاء منهم، ثم قاتل من أصر على الخروج والقتال في معركة النهروان المشهورة.[5]

كان مجتهداً في خلافته عفيفاً نزيهاً يولّي الأخيار الأكفاء لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان المجتمع قد تغير، والفتنة دخلته مما أتعب أمير المؤمنين علياً ﵁ وأرهقه وهو المُخلص الذي لا يعرف إلا الحق والصدق، حتى مل ﵁ من الناس وسوء تصرفاتهم.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٦/ ٢١.
(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن، حديث رقم: ٢٩١٥، ٢٩١٦؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٢٨٩.
(٣) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٤٤٧.
(٤) انظر: ابن كثير، التفسير، ج٢/ ١٧٤٦.
(٥) انظر: تاريخ الطبري، ج٦/ ٤١ ـ ٤٣؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٩٧.

كان مجاهداً عاملاً طول حياته، استشهد رضي الله عنه في مسجد الكوفة على يد المجرم عبد الرحمن بن مُلجم المرادي الذي ضربه بالسيف على رأسه، فحظي أمير المؤمنين بالشهادة في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠هـ،(١) وباء المجرم بالخسران، وصدق في القاتل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ((ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين، عاقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه، فيخضب هذه ووضع يده على لحيته)). وفي رواية ((أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، وأشقى الآخرين قاتلك)). وفي رواية (قال يوماً لعلي: ((من أشقى الأولين؟)) فقال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: ((فمن أشقى الآخرين؟)) فقال علي: لا علم لي يا رسول الله، فقال: ((هو الذي يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه)).(٢)

وقد دفن علي رضي الله عنه في مكان مجهول في نواحي الكوفة،(٣) حرصاً منه رضي الله عنه على عدم عبادة قبره وتقديسه واتخاذه مسجداً، وهو ممن عرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)،(٤) فكان علي رضي الله عنه يعادي الشرك ويبغضه، ولا يرضى أن يُفعل عند قبره المزعوم الشرك الأكبر باسم محبته، فمن أحبه فليفعل ما يحب علي وهو التوحيد

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٠؛ الطبري، تاريخه، ج٦/ ٨٥.
(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٣٢٤.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥/ ١٧٨؛ الصلابي، علي بن أبي طالب، ص٩٠٣.
(٤) من رواية البخاري في صحيحه، ج٥/ ١٣٩؛ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

والإخلاص لله كما كان علي رضي الله عنه يفعل حيث لم يسجد لصنم ولا قبر ولا غيره رضي الله عنه، وليكره ما يكرهه علي رضي الله عنه، وهو الشرك ودعاء غير الله وطلب الغوث منه، ووصفه والعياذ بالله بما اتصف به الله. فاللهم إنه بريء مما يصنع عند ذلك القبر المزعوم الذي لم يكتشف إلا في عصر بني بويه بعد ثلاثمائة سنة من استشهاده،(١) وحتى لو صح قبره رضي الله عنه لما صح ما يفعل به وبناء المسجد عليه، فاللهم اجعلنا من أوليائه يا كريم ومن من ينطبق عليه قول الرسول ﷺ (اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه).(٢) جعلنا الله من أوليائه وأبعدنا عن أعدائه وهم المشركون، سواء من عَبَدَ علياً أم عَبَد حجراً، فالشرك ملة واحدة، لا صلة لعلي رضي الله عنه بهم. وقد غضب الله على النصارى حيث عبدوا عيسى عليه السلام، فالشرك ظلم عظيم.

الحسن والحسين (رضي الله عنهما)(٣) (٤)

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن ثم الحسين

---

(١) أنظر: حديث غدير خم من هذا الكتاب.
(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٣٣٥.
(٣) أحبت الأمة الحسن والحسين وألف أهل السنة فيهما العديد من الكتب منها:
- محمد الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب.
- الحسن بن علي ودوره السياسي، فيحان كردي.
- الحسن والحسين سيدا أهل الجنة، محمد رضا.
- أحاديث بشأن السبطين، عثمان الخميس.
(٤) وضع البخاري في صحيحه، باب مناقب الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، ج٤/ ٢١٦.

(رضي الله عنهما) عظيمة، وكان ﷺ يحملهما ويداعبهما، وشَبُهُهما بالنبي واضح منذ صغرهما، وقد تمتعا (رضي الله عنهما) بمكانة كبيرة عند جدهما رسول ﷺ، وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين مكانتهما عنده ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)).[1]

وعن يعلى بن مُرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه وقبل هذا ثم قبل هذا، ثم قال: ((إني أحبهما، فأحبوهما. أيها الناس! الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَة)).[2]

وقال ﷺ: ((الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة)).[3]

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ فرآه يقبل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبله؟ ولي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم! فقال رسول الله ﷺ: ((إنه من لا يَرحمْ لا يُرحمْ)).[4]

---

(١) انظر: النسائي، سننه، حديث رقم: ٨١٦٨.
(٢) رواه أحمد في مسنده، ج١/ ٧٧؛ والترمذي في سننه، رقم ٣٧٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥٥.
(٣) انظر تخريجه عند البخاري، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥١.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: ٢٣١٨.

عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ حاملاً الحسن ابن علي (رضي الله عنهما) على عاتقه، فقال رجل: نِعْمَ المركب ركبتَ يا غلام، فقال النبي ﷺ: ((نِعمَ الراكبُ هو)).[1]

وعن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين (رضي الله عنهما) على ظهره يحبو بهما في البيت، وهو يقول: ((نعم الجَمَلُ جَمَلُكُما، ونعم العِدْلان أنتما)).[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين (رضي الله عنهما) على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته.[3]

وقد ورد أنه بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن]، نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)).[4]

---

(١) الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي، ص ٦٣ وضعَّفه.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥٦.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥٦.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٥٦.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجت مع النبي ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: ((أثم لُكع أثم لكع))، فحبسته فظننا أنها تلبسه سخاباً أو تغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبَّله فقال: ((اللهم أحببه وأحب من يحبه)).(1)

وكان ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين بقوله: ((أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق)).(2)

وعن سلمة بن الأكوع قال: لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قُدّامه، وهذا خلفه.(3)

كانت لهما مكانة خاصة عند الراشدين لمكانهما من رسول الله ﷺ.(4)

كانا يتابعان أمهات المؤمنين، ويتفقدان أحوال من بقي منهن، وخصوصاً بعد استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واستقرار

---

(1) رواه البخاري، كتاب البيوع، ٣٤/ ٤٩، باب ما ذكر في الأسواق ج٣/ ٢٠، ورواه مسلم في صحيحه، في فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(2) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٣٧١.

(3) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: ٢٤٣٢.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ١٥٠.

الحسن والحسين في المدينة، كما نقلا عنهن أحاديث رسول الله ﷺ.[١]

الحسن بن علي رضي الله عنه

ابن سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أول أولادها وأولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، به كانت تُكنى أم الحسن، وبذلك كان يكنى علي رضي الله عنه، سبط رسول الله ﷺ، دخل السرور والفرح قلب رسول الله ﷺ وقلب فاطمة وعلي رضي الله عنه بمولده في النصف من رمضان من السنة الثالثة للهجرة النبوية،[٢] أرضعته أم الفضل زوجة العباس،[٣] وقد سماه النبي ﷺ، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى. وعاش ما يقارب الثماني سنوات من حياة النبي ﷺ.[٤]

وكان النبي ﷺ يحبه حباً شديداً ويأنس به قال عنه ﷺ: ((اللهم إني أحبه فأحبه))،[٥] وقال عنه وعن الحسين: ((هما

---

(١) انظر: رواية علي بن الحسين عن حفصة أم المؤمنين (رضي الله عنها) عند البخاري في صحيحه، ج٤/ ٦٣.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج١/ ٢٢٦.

(٣) الحاكم، المستدرك، ج١/ ١٦٦؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص٢٥.

(٤) رواه أبو داود في سننه، رقم: ٥١٠٥؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص٢٠.

(٥) انظر: رواية البخاري في صحيحه، ج/ ٢١٧؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ٢٤٩، ٣٣١.

ريحانتايَ من الدنيا)).[1] كان يصعد على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيرفع النبي رفعاً رفيقاً لئلا يقع، وقد قال عنه ﷺ: ((إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).[2]

وقد عانق رسول الله ﷺ على مرأى من الصحابة.[3]

رآه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ وهو يمشي يلعب مع الصبيان فحمله وقال: بأبي شبيه النبي ليس شبيهاً بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك).[4]

كان كثير الزيارة والتفقد لأمهات المؤمنين بعد وفاة الرسول ﷺ، كما اشتهر بعبادته وتقواه وقعوده في مسجد رسول الله ﷺ من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.[5] بلغ حداً من الشرف والكرم والسخاء لم يبلغه أحد غيره.[6] أخذ العلم عن أمهات المؤمنين وعدد من الصحابة على رأسهم والده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. وكان الناس يحرصون على تزويجه ونسبه رغم كثرة طلاقه، وكان والده علي رضي الله عنه يحذرهم من ذلك ويقول:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٧٥٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ج٤/ ٢١٦.

(٣) انظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، ج٤/ ٢١٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٥/ ٣٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٣٧.

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة، ج٤/ ٢١٦.

(إنه مطلاق) ومع ذلك يفرح الناس بنسبه ولو فترة من الوقت.[(١)]

كان ملازماً لأبيه ناصحاً له طوال حياته ومسانداً له في كل أعماله، كما كانت له مكانته عند الراشدين لمكانته من رسول الله ﷺ،[(٢)] خرج مع والده علي رضي الله عنه من المدينة بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الكوفة،[(٣)] وشهد معه صفين والجمل والنهروان.[(٤)] وحضر استشهاد والده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واقتص من قاتله.[(٥)]

بايعه أهل العراق بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ثم آذوه وضيقوا عليه، فسلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ وهو ما عرف بعام الجماعة.[(٦)] وصدق فيه قول الرسول ﷺ، برواية أبي بكرة: (سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».[(٧)]

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٣٨؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٣٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/ ١٥٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/ ١٦٩.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/ ٢٣٦، ٢٠٤.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٦/ ٨٦.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٥٢.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، ج٤/ ٢١٦.

عاش بعد ذلك قرابة عشر سنوات قضاها في المدينة المنورة، كان فيها محل عناية المسلمين معلماً، وشريفاً وسيداً مباركاً، متابعاً لأحوال أمهات المؤمنين ومتفقداً لهن، حتى وافاه الأجل سنة ٤٩هـ.[١] وكان عمره ستاً وأربعين سنة. وقد بكاه الناس وحزنوا على فراقه حزناً شديداً.

الحسين بن علي رضي الله عنه[٢] (الشهيد)[٣]

يكني بأبي عبد الله[٤] ابن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة (رضي الله عنها) ولد رضي الله عنه في شعبان من السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة، ففرح به الرسول ﷺ أيما فرح، وقبله ودعا له رضي الله عنه.[٥] أجمعت الأمة على محبته رضي الله عنه، قال فيه المصطفى ﷺ وفي أخيه: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))،[٦] ولذلك فإن

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص٢٠٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٨٦.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، ج٤/٢١٦.

(٣) انظر: عنوان الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٠.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/١٨.

(٥) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ١٥٠، ٢٠٥.

(٦) انظر: الألباني، الأحاديث الصحيحة، ج٢/٤٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٢٠٦.

الأمة بأجمعها تحب الحسين رضي الله عنه وتود لو فدته بكل ما تستطيع،[1] كان الصحابة رضي الله عنهم بلا استثناء يحبون الحسين ويقدرونه، قال عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو ينظر إليه: (من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر هذا).[2].

تربي رضي الله عنه في كنف جده المصطفى ﷺ، ووالده علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله (رضي الله عنهما). ترعرع برفقة الحسن بن علي رضي الله عنه، عاش قرابة السبع سنوات من حياة النبي ﷺ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ، خَلقاً وخُلقاً،[3] فاضلاً كثير الصوم والعبادة والصلاة والحج وأفعال البر.[4]

بعد أن شبّ رضي الله عنه، كان مثال الكرم والجود وسمو الأخلاق، حريصاً على العلم فتعلم من كبار الصحابة، ومن أمهات المؤمنين، كان أحد أشراف المدينة وسادتها ومعلميها في عصر الراشدين،[5] وخصوصاً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) حيث ربطته علاقة خاصة بهما فهو محل تقدير الأمة عموماً والخلفاء خصوصاً، وهم أصهار النبي ﷺ

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ١٥١، الطبري، تاريخه، ج٦/ ٢٦٨.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٢.
(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٢٠٥.
(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٢٠٧.
(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ٢٠٧.

وأصهار الحسين رضي الله عنه، فعمر تزوج من أُخته أم كلثوم بنت علي.[1] ولا شك أن الحسين رضي الله عنه كان بالغاً وموافقاً على هذه المصاهرة.

كان من معلمي الناس الكتاب والسنة في عهد عمر رضي الله عنه وعهود من بعده.[2]

في خلافة عثمان رضي الله عنه وفي أيام والده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.[3]

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كانت له مكانته الخاصة بين المسلمين، وقد شارك مجاهداً في الفتوح الإسلامية كجندي من جنود المسلمين في فتوح شمال أفريقيا في المغرب وفي طبرستان في أقصى المشرق.[4] وعلينا أن ندرك بُعد ما بينهما لندرك ما بُذل من جهد رضي الله عنه.

وقد شارك مع أخيه الحسن رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حوصر في داره، ولم ينصرف إلا بعد أن أقسم عثمان بن عفان رضي الله عنه على المدافعين أن يتركوا الدفاع عنه، خشية من عثمان على الحسن والحسين وبقية المدافعين عنه.[5]

---

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص٢٣٢.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٥.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣.
(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.
(٥) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص٤٥٤، مسند الإمام أحمد، ج١/ ٣٩٦.

في خلافة علي ﷺ خرج معه من المدينة إلى العراق، وشاركه في كلٍّ من موقعة الجمل وصفين والنهروان.[1]

ولما استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، كان مُقدِراً ومحترماً لأخيه الحسن، وتبعاً له لم ينازعه أو ينشق عليه، بل كان عوناً له، رغم أن له رأياً آخر.[2] ولما رأى الحسن ﷺ التنازل لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ لم يُذكر رأي آخر للحسين أو مخالفة لأخيه الأكبر الحسن ﷺ فيما رآه من التنازل وحقن الدماء، وإعادة الوحدة للأمة من جديد.[3] ولعل الحسين شريك في إصلاح الأمة مع الحسن ﷺ بدرء الفتنة والتنازل لمعاوية عن حق الحسن في الخلافة، مع أن الحسن ﷺ أهل للخلافة وأحق بها، لكنه آثر درء الفتنة وخشي من إراقة الدماء.

فعاد الحسين إلى المدينة المنورة، حيث حرص مع أخيه الحسن ﷺ على تفقد أحوال أمهات المؤمنين، وتعليم الناس الخير، ومساعدة المحتاجين، وشفاعة الخير في المستضعفين والمحتاجين،[4] فكان أشرف من في المدينة من آل البيت بعد وفاة الحسن ﷺ.

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/ ١٨٧، ٢٢٦، ٢٣٦، ج٦/ ٤٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٦/ ٩٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٦٥.

(٣) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج/ ١٥٠، الحاكم، المستدرك، ج٣/ ١٧٥؛ الأصبهاني، دلائل النبوة، ج٦/ ٤٤٥؛ أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢/ ٦٦.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ١٦٣.

وحينما أَخذ معاوية البيعة بالخلافة لابنه يزيد وترك مبدأ الشورى، وحوّل الخلافة إلى ملك، لم يسكت الحسين ﵁ على ذلك، وكاتبه أهل العراق وغيرهم، وأظهروا له النصرة والبيعة وطلب منه أهل الكوفة أن يَقدُم إليهم، ووعدوه بالنصر والمؤازرة، فأراد الخروج إليهم، فنصحه وحذره عدد من أهل البيت، منهم عبد الله بن عباس وغيره وعدد من الصحابة على رأسهم أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر، وكانوا مشفقين عليه غير واثقين من نصرة أهل الكوفة له، وذكَّروه بخذلانهم لأبيه علي ﵁ أكثر من مرة.[1]

خرج الحسين ﵁ ومعه أهله وبعض مناصريه المخلصين له، وتوجه إلى الكوفة. وفي الطريق لقيه الشاعر المشهور (الفرزدق) فسأله كيف تركت الناس في الكوفة؟ فأجابه: تركتهم قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.[2]

وقد واصل الحسين ﵁ مسيره، وفي الطريق بلغه مقتل بعض أعوانه الذين سبقوه إلى الكوفة، ثم لقيه جيش عبيد الله بن زياد أمير بني أمية وقوامه أهل العراق عند كربلاء، وكاد أن يقع صلح بينهم إلا أن بعض الأشرار منعوا الصلح، وفرضوا شروطاً رفضها الحسين ﵁، وهو الشجاع ابن الشجاع ﵄، فدارت

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٦/ ٢١٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ١٦٦.
(٢) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٩٣.

معركة قتل فيها الحسين بن عليرضي الله عنه شهيداً مأجوراً مثاباً ـ بإذن الله ـ في يوم عاشوراء ١٠ محرم سنة٦١هـ وعمره ٥٦ سنة، ومعه عدد من أهل بيته وأعوانه قاربوا الثمانين، منهم سبعة من ذرية فاطمة، فكانت قضية عظيمة ابُتلي المسلمون فيها بابن بنت نبيهم ﷺ، خير الناس أماً وأباً. رحلرضي الله عنه إلى الجنة التي بُشِّر بها، وباء قاتلوه بالإثم والعار إلى يوم القيامة، وهو تبع لوالده الشهيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولصهره الشهيد عمر بن الخطاب والشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم وحشرنا معهم في الفردوس الأعلى.

لقد تألمت الأمة لمقتله وكان الصحابة والتابعون يذكرون فضله ومحبة النبي ﷺ له، فهذا أنس بن مالك لما رأى رأسه بين يدي عبيد الله بن زياد قال: (كان أشبههم برسول الله ﷺ).[1] وهذا ابن عمررضي الله عنه يقول: (أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ هما ريحانتاي من الدنيا).[2]

ومع الأسف أن بعض المنتسبين إلى الإسلام استغلوا الحادثة في تفريق الأمة وتشتيت شملها، وكأنما الأمة موافقة

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب الحسن والحسين، ج٤/ ٢١٦.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب الحسن والحسين، ج٤/ ٢١٧.

لقتل الحسين ﷺ و مشاركون في ذلك. يختلقون القصص ويصوغون الحكايات والألحان، وهم يعلمون أن الأمة كلها بلا استثناء لم توافق على قتله. وإن زرع الكراهية في الأمة أو جلد النفوس وإخراج الدماء في يوم عاشوراء ليس من دين محمد ﷺ ولا يرضاه الحسين ﷺ، ولا يقره، وهو تبع لمحمد ﷺ في سننه، وليس في ذلك تقرُّب إليه ولا علامة محبة، فحسب الحسين الدعاء له والتأسي به وكره من كرهه، وحب من أحبه بلا بدعة، وهو ﷺ واحد من شهداء الأمة لحق بحبيبه محمد ﷺ مع ركب الشهداء الذين سبقهم سيدهم حمزة ﷺ.

وقد اتخذ بعض المبتدعة مشاهد وأضرحة في أكثر من موضع في العالم الإسلامي، يزعمون فيها وجود جسد الحسين أو رأس الحسين، تفعل عندها شرْكيّات كبرى، بزعم محبة الحسين ودعائه وطلب العون منه، ومن ذلك الروضة الحسينية كما تسمى في كربلاء، وكذلك مسجد الحسين في القاهرة وفي غيرها، إضافة إلى مشاهد أخرى رُبطت بالحسين كما ربط اسمه بما يسمى الحسينيات، وهي أماكن للتجمع والعبادة سموها باسمه، وانتشرت في كل أنحاء العالم، مخالفة في تسميتها للمساجد المنصوص عليها في القرآن الكريم.

وعلى كل فالحسين ﷺ من أئمة التوحيد وإخلاص العبادة لله، وهو تبع للإمام علي ﷺ، الذي لم يعرف أنه سجد لصنم.

ويفتخر به المسلمون أنه لم يسجد لصنم وتبع للرسول ﷺ الذي لعن اليهود والنصارى لاتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وروى أحاديث عدة عن رسول الله ﷺ.[1]

أبو بكر الصديق (ثاني اثنين) رضي الله عنه[2]

هو عبد الله بن عثمان بن عامر من تيم مرة التميمي القرشي يلتقي مع الرسول ﷺ في الجد السادس، لُقِّب بأبي بكر واشتهر

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٢٨٠.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باباً بعنوان: فضل أبي بكر الصديق، ج٥/ ١٩١١.

وقد أُلِّف العديد من الكتب عن أبي بكر الصديق، منها:

- علي محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق.
- محمد رشيد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين.
- محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة.
- نزار الحديثي، أبو بكر الصديق.
- علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق.
- محمد مال الله، أبو بكر الصديق.
- مجدي حمدي، أبو بكر رجل الدولة.
- محمود شلبي، حياة أبي بكر.
- محمد أحمد عاشور، فطن أبي بكر الصديق.
- عبد الرحمن الشرقاوي، الصديق أول الخلفاء.
- محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر.
- عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق.
- عاطف لماضة، مواقف الصديق مع النبي في مكة، ومواقف الصديق مع النبي في المدينة.

بالصديق، كما عُرف بعتيق، لقول الرسول الله ﷺ له: ((أنت عتيق الله من النار)).[1]

كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة وهو قريب منه في السن حيث إنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين، اشترك مع رسول الله ﷺ في خصال كثيرة، منها الصدق والأمانة، والمعرفة، والمكانة العالية في قريش،[2] فكان بينهما التقاء خاص في العادات والنفسية، وكان بينهما رفقة خاصة ومحبة متبادلة في وقت مبكر قبل البعثة، اشتركا في كُره الخمر والزنا والظلم، وكُره الشرك.

كان من أكثر قريش معرفة بالأنساب.[3] كما كان صاحب تجارة قاربت تجارته أربعين ألف درهم حين إسلامه.[4]

أسلم على يد رسول الله ﷺ في الأيام الأولى للبعثة، وقد وضع البخاري في صحيحه باب (إسلام أبي بكر الصديق)،[5] روى فيه عن عمار بن ياسر قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر.[6]

---

(١) رواه الترمذي في المناقب، حديث رقم: ٣٦٧٩، وصححه الألباني: ١٥٧٤.
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/ ١٠.
(٣) ابن حجر الإصابة، ج٢/ ٣٤٢.
(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٤.
(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ص ١٢٤.
(٦) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب إسلام أبي بكر، ج٤/ ٢٤٠؛ وانظر: شرح ابن حجر، في فتح الباري، ج١٥/ ١٢.

وقد أشار حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ فيما نقل ابن عباس من شعره إلى مبادرة الصديق إلى الإسلام في قوله:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها
إلا النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا[1]

وقد نال أبو بكر الأذى من قريش بسبب إسلامه، كما نال رسول الله ﷺ، وقد شارك قومه في الدفاع عنه.[2]

كان إسلام الصديق رضي الله عنه دونما تردد ما جعل الرسول ﷺ يشير إلى ذلك في قوله: ((إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي)).[3]

كان إسلام أبي بكر بركة على الناس، فبعد إسلامه كان الداعية الأول لرسول الله ﷺ، فأسلم علي يديه الرعيل الأول من

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٥.
(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٦.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٥/ ١٩٢.

الصحابة، وفيهم معظم العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم الزبير ابن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم.[1]

لقد أحسن الصديق اختيار الرجال الذين كانوا نواة أمة الإسلام، وحملة الرسالة إلى العالم، ولذلك كان ﷺ يقول عن الصديق: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)).[2]

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أسلم أهل بيت أبي بكر الصديق، زوجته وبناته وأبناؤه وخادمه.[3] وقد وضع البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً) روى فيه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي).[4]

وقد نفع الله المسلمين بماله منذ أول الإسلام، حيث قام بشراء المعذبين المسلمين من الجواري والموالي من حر ماله

---

(١) علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٩.

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح، ج٢/٨.
(نقلاً عن الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٧).

(٣) الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج٤/ ١٩١.

وإعتقهم لوجه الله، وعلى رأس هؤلاء بلال بن رباح.[1] ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [الليل].

لذلك ولغيره، قال فيه رسول الله ﷺ: ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر.

وقد نال الصديق الأذى مع رسول الله ﷺ فكان يفديه بنفسه، روى البخاري (عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله ابن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات).[2]

كما وردت رواية أخرى عن ابن عباس قال: (إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضِع على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٥٣.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩٧.

يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب). [١]

وقد حاول الصديق الهجرة إلى الحبشة، فرده ابن الدغنة وهو من زعماء بني الهون بن خزيمة وأجاره بمكة أمام قريش، وقال مثلك لا يخرج يا أبا بكر.

وكان أبو بكر يصلي بفناء داره فيعلن قراءته فيتأثر به شباب ونساء قريش، فطلب القوم من ابن الدغنة أن يمنعه من الجهر بقراءته أو يرد جواره، فقال أبو بكر: إني أرد جوارك. ورضي بجوار الله عز وجل، وتحمل ما أصابه من أذى. [٢]

واستمر الصديق ملازماً رسول الله ﷺ بمكة، وكان الرسول ﷺ يخرج إلى أسواق العرب المجاورة لمكة يعرض الإسلام على الناس وبصحبته الصديق مشاركاً إياه ﷺ في الدعوة. [٣]

وحينما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج كان رفيقه الملازم والمشارك هو الصديق رضي الله عنه وكانت معرفته بالقبائل عوناً لهما في الحديث لرجال القبائل ولفت انتباههم وعرض الدعوة عليهم. [٤]

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/ ١٩٧.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ٤٢٤.

(٤) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل من هذا الكتاب.

ولعل أشهر حدث شارك فيه الصديق وحده مع رسول الله ﷺ الهجرة النبوية، ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ الإنساني حتى اتخذه المسلمون للتأريخ للأحداث.[1]

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وقبل السفر وفي الطريق كان الصديق وأهل بيته نعم العون لرسول الله ﷺ[2] في هجرته وحين استقر رسول الله ﷺ في المدينة، كان أبو بكر ملازماً له، بل وجعل داره جوار رسول الله ﷺ، وله خوخة إلى المسجد، أمر ﷺ أن تبقى عند وفاته، وأن تسد بقية الأبواب الشارعة في المسجد.[3]

وقد تشرف الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة بزواج الرسول ﷺ من ابنته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)،[4] فزاد دخوله على النبي ﷺ في حجرة عائشة وكانت لهما مواقف مشتركة معها،

---

(١) انظر عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٧٥٨.

(٢) انظر تفصيلات ذلك في موضوع الهجرة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ج٤/ ١٩٠.

(٤) انظر: زواج النبي ﷺ من عائشة، من هذا الكتاب.

وهي أحب نسائه إليه ﷺ وهو أحب الرجال إلى الرسول ﷺ. وقد ورد في الحديث الشريف (عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك قال: عائشة، فقلت: من الرجال، فقال: أبوها، فقلت ثم من قال: ثم عمر بن الخطاب فعدَّ رجالاً).(١)

وحينما مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحمّى المدينة نقلت عائشة (رضي الله عنها) الخبر لرسول الله ﷺ، فدعا دعاءه المشهور: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصحِّحها، وبارك لنا في مُدّها، وصاعها، وانقل حُمّاها واجعلها في الجحفة)).(٢)

وحينما أُذن لرسول الله ﷺ بالقتال كان أبو بكر معه في كل الميادين من دون استثناء، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في أي موضع.

وله مواقف خاصة في غزوة بدر،(٣) حيث كان مع المصطفى ﷺ. ويصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه شجاعة الصديق في هذا الموقف بقوله: (إنه خَطَبَهم فقال: يا أيها الناس من

---

(١) روه البخاري، في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب أبي بكر الصديق، ج٤/ ١٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع، ج ٧/ ١٦٠.

(٣) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحادّه، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، فهذه خصوصية للصديق، حيث هو مع الرسول في العريش، كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به: ((اللهم إنك إن تهلك هذا العصابة لا تعبد بعدها في الأرض)). وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك))، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال:

يا رسول الله بعضَ مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك). [1]

كان الصديق أكثر الصحابة اقتراباً من رسول الله ﷺ في بدر يحمل سيفه دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وكان مؤمناً بنصر الله لرسوله، يقول: يا رسول الله كفاك بعض مناشدتك ربك فوالله لينجزن الله لك ما وعد)). [2]

ولذلك كان الصديق أول من تلقى البشارة من رسول الله بالنصر، حيث قال له: ((أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ براية بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع)). [3]

كما شارك برأيه في أسرى بدر وكان رحيماً بقومه، حيث كان ممن رأى فداء الأسرى لعل الله أن يهديهم. [4]

وقد أشار الرسول ﷺ إلى لين قلب أبي بكر فيما رواه عبد الله بن مسعود (قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأصلك، اسْتَبْقِهِمْ واستَتِبْهُم، لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله: كذبوك وأخرجوك، قَدِّمهم نضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنت في واد

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/ ٢٧٢، الصلابي، أبو بكر الصديق، ص٨٠.
(٢) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٢٤. والنقع هو الغبار.
(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٥.

كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ناراً، ثم ألقهم فيه، فقال العباس: قطع الله رحمك، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم، ثم قام فدخل، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله لَيُلِيْنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [إبراهيم] وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال:

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة] وإن مثلك يا عمر مثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس] وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح] أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق). (١)

وكان له رضي الله عنه مواقف في أُحُد وبني قريظة والخندق والحديبية وفتح مكة، بان فيها رأي أبي بكر المباشر في هذه الغزوات وغيرها. (٢)

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المغازي، ص ١٩٥، ١٩٦، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، ص ١٧٦٣.

(٢) تابع كل غزوة في موضعها، من هذا الكتاب.

وحينما مرض رسول الله ﷺ لازمه الصديق، خصوصاً أن تمريض المصطفى قبيل وفاته كان في منزل عائشة بنت الصديق (رضي الله عنها) وليس لها حجاب عنه، ولم يتركه رضي الله عنه إلا في اليوم الذي توفي فيه، حينما رآه قد نشط فاستأذن من الرسول ﷺ في أن يزور بيته الآخر في السُنح أطراف المدينة، فأذن له المصطفى ﷺ وقبض رسول الله ﷺ فجر ذلك اليوم.

فأسرع الناس إلى استدعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو رجل الموقف ثباتاً ورأياً وإيماناً واستحضاراً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكأنه أُعِدّ لهذا الموقف وتلك المقولة، وذلك الفقه العظيم، حيث قال للناس: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).[(١)]

عند بيعة الصديق كانت الدولة الإسلامية قد امتدت أيام الرسول ﷺ إلى أنحاء الجزيرة العربية كافة، ووصلت أطراف الشام، واحتكت جيوشها بالروم في مؤتة، وأعد ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لغزو بلاد الروم.[(٢)] ومع هذا فقد حدثت الردة في أنحاء كثيرة من الدولة والقبائل قبيل وفاته، حيث ظهر مدعي النبوة مسيلمة الكذاب في اليمامة والأسود العنسي في اليمن،

---

(١) راجع تفاصيل في موضوع وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفى فيه، ج٥/ ١٤٥.

وازداد الأمر سوءاً بارتداد مانعي الزكاة وهم فئة كبيرة من قبائل العرب، وتصف عائشة بنت الصديق الحال حينما توفي رسول الله ﷺ بقولها: (توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، إشرأَبَّ النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وعنائها في الإسلام).[1]

وقد استدعى الأمر من الصديق مشاورات مع بقية الصحابة حول الموقف وما ينبغي اتخاذه، وكان رأي الصديق هو الصائب ومعه الدليل الشرعي من سنة رسول الله ﷺ في كل ما اتخذ من مواقف،[2] حيث أصر على تسيير جيش أسامة بن زيد الذي أمر به رسول الله ﷺ برغم معارضة بعض الصحابة وقال قولته المشهورة؛ (والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ)، وفي رواية (والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إلي من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ).[3] وقد خرج بنفسه رضي الله عنه لوداع الجيش وأوصاه بوصايا حضارية إنسانية في حفظ الأرواح والأموال وعدم الإفساد في الأرض وعدم الاعتداء على النساء

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣١، و٤٣٢.

(٢) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٩.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢١٢؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٢. وانظر: علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٢١٨.

والأطفال والمسالمين. وجاء في نص الوصية (أيها الناس، لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا،ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له. . .).[1]

وعاد الجيش بعد شهرين بعد تحقيق أهدافه وإظهار هيبة المسلمين وقوة دولتهم وقدرة قائدهم خليفة رسول الله ﷺ الأول الصديق رضي الله عنه.[2]

وفي الوقت نفسه شاور رضي الله عنه بقية الصحابة في المرتدين، فكان رأي بعضهم أن لا يقاتل ما نعي الزكاة.

وقاد الصديق بنفسه أول جيش خرج لقتال المرتدين إلى ذي القصة، رغم خوف الصحابة عليه ومحاولة ثنيه عن الخروج بنفسه، ولكنه أصر على أن يواسي الناس بنفسه، ونصره الله على القبائل المرتدة التي كانت تستهدف المدينة، وغلبهم فاضطروا للإذعان والانقياد لأمر الإسلام وأبي بكر الصديق.[3]

وبعد عودة جيش أسامة كوَّن الصديق أحد عشر جيشاً

---

(١) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٠٢.

(٢) انظر: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٠٢.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٢٥.

لحرب المرتدين في مختلف أنحاء بلاد العرب كانت بقيادة خالد ابن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة وخالد ابن سعيد بن العاص، والمهاجر بن أُميَّة، وعمرو بن العاص، والعلاء بن الحضرمي وغيرهم.[1] وقامت تلك الجيوش بحركات عسكرية قوية ضد المرتدين في كل بلاد العرب من اليمن وعُمان وحضرموت ونجد واليمامة. وكانت أشهر معاركها موقعة اليمامة في بني حنيفة، حيث قُتِل مسيلمة الكذاب واستشهد من المسلمين قرابة تسعمائة منهم ثلاثمائة وستون من أصحاب رسول الله ﷺ.[2]

وما إن انتهت السنة الحادية عشرة للهجرة حتى كان الصديق رضي الله عنه قد فرغ من القضاء على المرتدين بشقيهم، أتباع مدَّعي النبوّة ومانعي الزكاة.

وكان الصديق، صاحب رسول الله ﷺ وتلميذه، يدرك البعد العالمي للإسلام ودعوته، ومع شدة الظروف التي كان يشهدها المسلمون وكثرة الشهداء والجرحى في معارك الردة، فإن الصديق أطلق موجة الفتوح الإسلامية، بشكل لم تعرف له

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٢٥.

(٢) راجع: خليفة بن خياط، ص١١٠، ١١١؛ والطبري، تاريخه، ج٣/ ٢٥٢؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص٥٣ ـ ٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/ ٣٦٤؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور (موقعة اليمامة)، ص ١٠٣.

البشرية مثيلاً لتحقيق ما وعدوا الله ورسوله من نصرةٍ وتمكين لدين الله بين عباد الله.

فبدأت الفتوح أولاً في أطراف العراق على يد المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه بتوجيه مباشر من أبي بكر الصديق، ثم أتبعه الصديق بجيوش أخرى بقيادة خالد بن الوليد، وعياض بن غَنم (رضي الله عنهما)، وكانت جيوش الصديق تحقق الانتصار تلو الآخر على الفرس وجيوشها وتمهد للمعركة الكبرى التي حدثت بعد ذلك، وهي القادسية وفتح المدائن التي يعد الصديق رضي الله عنه هو المخطط لها بما بعث من جيوش، وإن كانت النتائج ظهرت في خلافة عمر رضي الله عنه.[1]

وقد فتح الصديق رضي الله عنه جبهة أُخرى للفتوح في الشام، حيث بعث أربعة جيوش في وقت واحد للفتوح في بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لفتح حمص، ويزيد بن أبي سفيان لفتح دمشق، وعمرو بن العاص لفتح فلسطين وشرحبيل بن حسنة لفتح الأردن.[2]

وتحركت هذه الجيوش بتوجيهات خاصة وتعليمات مباشرة من أبي بكر رضي الله عنه الذي رسم لكل جيش أهدافه، والطريق التي يسلكها.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢؛ وانظر: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٠٩ ـ ١١٥.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص١١ ـ ١٥؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص١١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥، ١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج٣/٢٠٨، ٢٠٩.

وكانت مغامرة كبرى لم تعرف البشرية لها مثيلاً لاقتحام أراضي أكبر إمبراطورية معروفة في ذلك الزمن وهي إمبراطورية الروم التي دهش قادتها وأعدوا جيشاً لملاقاة المسلمين في اليرموك. وحينها وجه الصديق أمراً لخالد بن الوليد، وهو أحد قواد جيوش العراق، بأخذ نصف جيش المسلمين في العراق والتوجه به في نجدة لإخوانه في الشام،[1] فوصل في الموعد المناسب، واستعد المسلمون لمعركة اليرموك التي رتبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه كاملة، وإن كانت وقعت وحسمت زمن عمر، حيث وصل المسلمين في اليرموك خبر وفاة الصديق رضي الله عنه.[2]

لا شك أن هذا الامتداد وهذه الفورة العظيمة في المد الإسلامي كان الفضل فيهما بعد الله لأبي بكر الصديق تلميذ رسول الله ﷺ، الذي يرجع له الفضل بإيصال الإسلام إلى تلك الأصقاع بالتخطيط والعمل الدؤوب، والتضحية والفداء.

إن الإنسان ليعجب لعظيم إنجاز الصديق في فترة قصيرة جداً حيث عَدّ المؤرخون فترة خلافته بسنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام،[3] وما أعظمها وأكثرها بركة في تاريخ البشرية جمعاء.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١١٩. الأزدي، فتوح الشام، ص ٧٣ ـ ٨١، الطبري، تاريخه، ج٣/ ٣٢.

(٢) انظر مزيداً من التفصيلات عند: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، من ص ١١٤ ـ ١٢١.

(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١/ ٤١٩.

وإن الإنسان ليعجب ممَّن نصب نفسه عدواً لهذا الخليفة المبارك الذي كان ساعده الأول علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا عوناً له في حياته شهوداً له بالخير بعد مماته، حيث عرف عن علي ﷺ ثناؤه على الصديق قبل وفاته وبعدها.

عمر بن الخطاب ﷺ (١)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى من بني عدي

---

(١) أُلِّف العديد من الكتب عن عمر بن الخطاب، وسيرته، منها:
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
- عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر.
- عمر بن الخطاب، حياته. علمه ـ أدبه، علي أحمد الخطيب.
- موسوعة فقه عمر بن الخطاب، د. محمد قلعجي.
- عمر بن الخطاب، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله.
- أخبار عمر بن الخطاب وأخبار عبد الله بن عمر، علي وناجي الطنطاوي.
- فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، محمد علي الصلابي.
- أوليات الفاروق، غالب عبد الكافي القرشي.
- الإدارة العسكرية في عهد عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوي.
- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العامي.
- الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا.
- شهيد المحراب، عمر التلمساني.
- الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوي.
- عبقرية عمر، عباس محمود العقاد.
- الفاروق مع النبي، عاطف لماضة.
- القضاء في عهد عمر، ناصر الطريفي.

من قريش قبيلة النبي ﷺ، يكنى أبا حفص وعرف بالفاروق.

ولد قبل البعثة بقرابة سبع وعشرين سنة، كان مميزاً في جسده بالطول والقوة والجسامة، سريع المشي.

نشأ في قريش قبل الإسلام، وتميز بتعلم القراءة والكتابة، عمل في الرعي لوالده في صغره، وبعد أن بلغ مبلغ الرجال عمل في التجارة كحال رجال قريش.

كان في بداية الإسلام شديد التمسك بعادات قريش وجاهليتها، كثير الأذى للمسلمين وخصوصاً المستضعفين منهم حتى هداه الله للإسلام.[1]

حرص بعد إسلامه على الصدع بالدعوة، والدفاع عن الإسلام والمسلمين وتحمل الأذى في سبيل ذلك، سماه رسول الله ﷺ بالفاروق، أعز الله به الإسلام. حتى قال ابن مسعود (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر).[2]

هاجر إلى المدينة قبل الرسول ﷺ، ومعه عشرون من أصحاب رسول الله ﷺ،[3] فكانوا ممن مهد لوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

(١) انظر: إسلام عمر بن الخطاب من هذا الكتاب.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٢٦٩؛ وانظر: حديث ابن مسعود عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب ج٤/ ١٩٩، عمر بن الخطاب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٤٧٢.

وبعد الهجرة كثرت مشاركاته لرسول الله ﷺ في مختلف الأحداث وشهد المشاهد معه ﷺ. (١)

حتى أن علياً رضي الله عنه قال: (كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)، (٢) كما كان ﷺ يأخذ بيده أحياناً.

شهد له الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من موضع، (٣) وقال عنه ﷺ: ((يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك)). (٤)

وقد رآه النبي ﷺ في أكثر من رؤيا منها: (أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما أنا نائم شربت، يعني اللبن، حتى أنظر إلى السري يجري في ظفري أو أظفاري، ثم ناولت عمر، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم)). (٥)

كما ورد أن النبي ﷺ قال: ((أُريت في المنام إني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً

---

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدوي، ج٤/١٩٨.
(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٩.
(٣) انظر: صحيح البخاري، ج٤/١٩٨ ـ ٢٠٢.
(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٨.
(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/١٩٨.

والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فرية حتى روى الناس وضربوا بعطن)).[١]

وقال عنه ﷺ فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر)). ورُوي عنه قال النبي ﷺ: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر))، قال ابن عباس رضي الله عنه (ما من نبي ولا محدث).[٢]

وقال عنه ﷺ فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بينما أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قُمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض عليَّ عمر وعليه قميص اجتره قالوا: فما أولته يا رسول الله، قال: الدين)).[٣]

وقد وافق القرآن عمر بن الخطاب في أكثر من موضوع، من ذلك موافقة رأيه في أسرى بدر.[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/ ١٩٨.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/ ٢٠٠.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤/ ٢٠١.
(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/ ٨٥٣.

في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال].

وموافقته في ترك الصلاة على المنافقين في قوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]. حيث أشار عمر على رسول الله ﷺ بعدم الصلاة على عبد الله بن أُبي زعيم المنافقين.[1]

وحينما سأل الله اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].[2]

وفي الحجاب حين أشار على النبي ﷺ أن يأمر نساءه بالحجاب فنزل على رسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا

(١) انظر: رواية مسلم في صحيحه، ج٥/ ٢٦٠؛ وتفسير ابن كثير، ج١/ ٨٩٩.
(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/ ٦٥٠.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب]. (١)

وفي مقام إبراهيم حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]. (٢)

صاهر عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ في ابنته حفصة بنت عمر، ولعل زواج رسول الله ﷺ منها أكبر دليل على المحبة المتبادلة بين الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب. وفي قصة زواجها ورد عند البخاري في كتاب النكاح قصة خطبة رسول الله ﷺ لحفصة من قول ابن عمر: (إنه رضي الله عنه يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفى بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن

---

(١) ابن كثير، تفسيره، ج٢/ ١٠٥١٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/ ٩.
(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٢٠٠.

شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أَوْجَدُ عليه مني على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً قال عمر: قلت نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها)[(١)].

كان هذا الزواج مدعاة لمزيد من الاحتكاك بين رسول الله ﷺ وبين آل عمر بنفسه وأبنائه، ولذلك كان كثيراً ما يلتقيان عند حفصة في حجرتها. وقد كان عمر يلاحظ على حفصة مراجعتها لرسول الله ﷺ أحياناً ويحذرها من غضب الله ورسوله، يقول عمر في ذلك: (لما قدمنا المدينة كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت على امرأتي فراجعتني،

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ج٦/ ١٣٠.

فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن، ثم جمعت عليّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: إي حفصة أتغاضِبُ إحداكنّ النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خِبْتِ وخسرتِ أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فرجع إلينا عشاءً، فضرب بابي ضرباً شديداً وقال أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم قلت ما هو، أجاء غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأهول؛ طلَّق النبي ﷺ نساءه. وقال عبيد بن حنين سمع ابن عباس عن عمر فقال: اعتزل النبي ﷺ أزواجه. فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل النبي ﷺ مشربةً له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلّقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أَجِدُ

فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذِنْ لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت فقلت للغلام: استأذِنْ لعمر فدخل، ثم رجع، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر: فدخل، ثم رجع إلي فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفاً قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثّر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أَدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلّقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: لا. فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسّمةً أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا

الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: أَوَفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة. وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عداً، فقال الشهر تسع وعشرون ليلة فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيّر، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خيَّر نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة). (١)

وآية التخيير التي أشارت إليها عائشة هي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محباً حباً عظيماً لرسول الله ﷺ،

(١) من رواية البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، ج٦/ ١٤٨ ـ ١٥٠.

متعلقاً به أشد التعلق غير مصدق فراقه، ولذلك صدم صدمة عظيمة حين رأى رسول الله ﷺ قد توفي فلم يصدق ذلك وهدد وتوعد وأرعد وأزبد لهول الصدمة، فقال: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربت عنقه.(١)

وأخذ يصول ويجول في مسجد رسول الله ﷺ، حتى جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر! فأبى أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر أما بعد: من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمعُ بشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيّب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرتُ حتى ما تقلّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات.(٢)

كان لعمر بن الخطاب دور في مبايعة أبي بكر الصديق

---

(١) انظر وفاة النبي ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) من رواية البخاري، في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/ ١٤٣.

بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، حيث ذكر الدليل الشرعي في تكليف الصديق بالخلافة، وهو أن الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات فيه وأنه ارتضاه لدينه: أفلا نرضاه لدنيانا، فكان دليل عمر الشرعي والعقلي أكبر مقنع للحضور في السقيفة، وبيعة أبي بكر من قبل الأنصار وعدد قليل من المهاجرين.[١]

عاش فترة خلافة أبي بكر الصديق وزيراً ومستشاراً ومعيناً له كبقية الصحابة من أمثال عثمان وعلي رضي الله عنهم.

واجه معه منذ البداية المرتدين من أتباع المتنبئين ومانعي الزكاة، وكان الرأي في قتال مانعي الزكاة هو الحق الذي أصاب فيه أبو بكر، وكاد أن يخطئ فيه عمر.[٢] كما أن عمر طلب تغيير أسامة بن زيد من قيادة الجيش الذي وجهه رسول الله ﷺ إلى الشام، لكن أبا بكر قال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله.[٣]

شارك الصديق في قرارات مهمة في إنفاذ جيوش الفتح إلى العراق وفارس وتعيين الأمراء.[٤]

---

(١) انظر: بيعة الصديق من هذا الكتاب.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢١٢ و٢٤٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢١٢.

(٤) الصلابي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، ص٩١ ـ ٩٨.

وكان رأي عمر في جمع المصحف بعد استشهاد القراء في موقعة اليمامة، مما شجع الصديق على جمعه.[(١)]

وقد اختاره الصديق للخلافة من بعده، بعد أن استشار الناس، ففي رواية ابن أبي شيبة تحت عنوان: (ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب)، (أن أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبو بكر: أبربي تخوفونني، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر، فقال: إني موصيك بوصية إن أنت حفظتها: إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً، وإن الله ذكر أهل الجنة وصالح ما عملوا، وأنه تجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: ألا أبلغ هؤلاء، وذَكر أهل النار بأسوأ ما عملوا، وأنه رد عليه صالح ما عملوا،

---

(١) انظر: رواية البخاري، باب جمع القرآن (ابن حجر، فتح الباري، ج٩/٨)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الراشدين، ص ٧٩.

فيقول قائل: أنا خير من هؤلاء، وذكر آية الرحمة وآية العذاب، ليكون المؤمن راغباً وراهباً، لا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، وإن ضيعت وصيتي، لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه).[1]

ويورد ابن أبي شيبة رواية عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت عمر بن الخطاب وبيده عسيب نخل وهو يجلس الناس، ويقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ قال: فجاء مولى لأبي بكر ـ يقال له: شديد ـ بصحيفة، فقرأها على الناس، فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة، فوالله ما آلوتكم، قال قيس: فرأيت عمر بن الخطاب بعد ذلك على المنبر.[2]

حينما مارس عمر صلاحياته خليفة للمسلمين، كان نعم التلميذ لمحمد ﷺ، طبق ما تعلمه من الرسول ﷺ، من العدل بين الناس وتفقد أحوال الرعية واستحداث لأنظمة وحسن الإدارة، فضرب الإسلام أطنابه في كل مكان.

فهو أول من سن الخراج على الأراضي المفتوحة، ووضع بذلك دخلاً ثابتاً لبيت مال المسلمين.

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣٣.

وهو أول من وضع الدواوين وفرض العطاء.[1]

كما كان يحسن اختيار العمال والأمراء، الذين شاركوه في إدارة الدولة الإسلامية،[2] التي امتدت من أذربيجان في الشمال الشرقي إلى شمال أفريقيا في حدود ليبيا.

ومن بلاد فارس وخراسان إلى اليمن، حيث دخلت شعوب وأمم كثيرة تحت راية لا إله إلا الله، وانضوت تحت قيادة المدينة، مهاجَر رسول الله ﷺ، وتحققت معجزات الرسول ﷺ في الأخبار عن امتداد الإسلام، وفي الأخبار عن عمر وما لديه من حكمة وعلم، ودخلت في زمانه تحت لواء الإسلام عواصم مشهورة منها المدائن ودمشق، وبيت المقدس، ومصر بما فيها الإسكندرية، وأذربيجان، وكامل فلسطين والشام، وبلاد فارس، وجاءت الغنائم للمدينة من كل مكان.[3]

وقد حكم عمر المسلمين مدة اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وعدة أيام.[4]

كانت وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاجأة. ولعل من أصدق ما ورد فيها وما صاحبها من أحداث رواية عمرو بن ميمون في

---

(١) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣١٣.

(٢) انظر تفاصيل ذلك عند عبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الراشدين، ص ١٨٧ ـ ١٩٨.

(٣) انظر تفاصيل ذلك عند: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص١٢٢ ـ ١٤٠.

(٤) انظر: عبدالسلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٣٥ و٤٩.

البخاري، وهو شاهد عيان، حضر إصابة عمر، وما تلا ذلك من أحداث يقول: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل، قال: انظرا إن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعَنّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب، حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟. فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَعُ؟

قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي بيد رجل يدعي الإسلام. قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت، أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلّوا قبلتكم وحجّوا حجكم فاحتُمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وُليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما عليّ من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدّه من أموالهم وإلا فَسَلْ في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي،

فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأُوثِرَنّه به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين؛ أَذِنَتْ، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فأحملوني، ثم سلِّمْ فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أَوْصِ يا أمير المؤمنين استخلفْ قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية، له فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم، ما أُمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً ﴿الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رديءالإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً

فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مَن وراءَهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قُبِض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب قالت، أدخلوه، فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط.[1]

عثمان بن عفان ((ذو النورين))[2]

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، قرشي أموي،

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، ج ٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦؛ وانظر: الرواية نفسها عند ابن أبي شيبة في المغازي، ص٤٣٤.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المناقب لأصحاب النبي ﷺ، مناقب عثمان بن عفان، ج٤/ ٢٠٣.
أُلِّف العديد من الكتب عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، منها:

- علي محمد الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، شخصيته وعصره.
- خالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، في تاريخ الطبري، دراسة نقدية.
- محمد بن يحي المالقي، التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان.
- محمد صامل السلمي، خلافة عثمان بن عفان.
- محمد رشيد رضا، ذو النورين عثمان بن عفان.
- محمد مال الله، ذو النورين عثمان بن عفان.
- أحمد الخاروف، شهيد الدار عثمان بن عفان.
- محمد حسين هيكل، عثمان بن عفان.
- محمد عبد الله غبان، فتنة مقتل عثمان.

أمه أروى بنت كريز، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، [١] ولد بعد النبي ﷺ بقرابة ست سنين. [٢]

عاش في بداية حياته في مكة ميسور الحال تاجراً منذ شبابه، منعماً موسعاً على نفسه.

تزوج من رقية بنت رسول الله ﷺ، أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

كان شديد الالتصاق ببيت النبوة، كثير الاحتكاك برسول الله ﷺ وبأم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها).

كان مع زوجته رقية (رضي الله عنها) من أوائل المهاجرين إلى الحبشة في الهجرتين، وكانت لهما قيمة خاصة عند المهاجرين وعند النجاشي ملك الحبشة في زمانه. [٣]

حينما عادا من الحبشة إلى مكة كانت أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) قد توفيت، فحزنت عليها رقية حزناً عظيماً.

هاجر عثمان رضي الله عنه ورقية بنت رسول الله ﷺ الى المدينة مبكرين.

وقد خط له رسول الله ﷺ دار عثمان المجاورة لحجرات

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٥٣.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٧٧.

(٣) انظر: الهجرة إلى الحبشة.

النبي ﷺ، فكانت له خوخه وجاه باب النبي ﷺ فيدخل ﷺ بيت عثمان منها.[1]

استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض أسفاره.[2]

مرضت ثم توفيت زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ أثناء غزوة بدر، وقد تخلف لتمريضها بأمر رسول الله ﷺ.

فلما عاد رسول الله ﷺ زار قبرها،[3] وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهم وأجره في غزوة بدر.[4]

وزوج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان بعد رقية بأم كلثوم رضي الله عنها فماتت عنده سنة ٨هـ، فقال ﷺ: لو كان عندي ثالثة زوجتها عثمان.[5]

اشتهر عثمان بحيائه، حتى قال عنه رسول الله ﷺ: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)).[6]

بعثه النبي ﷺ يوم الحديبية مندوباً عنه لمفاوضة زعماء

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣/ ٥٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٥٦ ـ ٥٧.
(٣) انظر ترجمة رقية بنت الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.
وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، ج٤/ ٢٠٣.
(٤) انظر: رواية البخاري عند ابن عمر، في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان ابن عفان، ج٤/ ٢٠٢.
(٥) انظر: ترجمة أم كلثوم (رضي الله عنها) من هذا الكتاب.
(٦) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٤٠١.

قريش، فاحتبس عثمان وشاع الخبر أنه قد قُتل، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وبايعوا النبي فيما عرف ببيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

فقال ﷺ: ((إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله))، فضرب بإحدى يديه على الأخرى عن عثمان فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم عن أنفسهم.[1]

شارك بماله في حاجة الإسلام، ولبى نداء رسول الله ﷺ في أكثر من موضع، فمن ذلك تجهيزه لجيش العُسرة المتوجه إلى تبوك، حيث قام بتجهيز ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، حتى قال عنه الرسول ﷺ ((ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه)).[2]

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في أكثر من موضع.[3]

وقد ساهم في توفير الماء للمسلمين في المدينة بشرائه بئر

---

(١) انظر: رواية البخاري في حديثه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/ ٢٠٤.
انظر: غزوة الحديبية، من هذا الكتاب.
(٢) انظر غزوة تبوك من هذا الكتاب.
(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/ ٢٠٢.

رومة، بناءاً على طلب رسول الله ﷺ، حين قال: ((من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة))، [١] فلما بلغ عثمان ذلك اشتراها وجعلها للمسلمين. [٢]

لقد علم رسول الله ﷺ بما أطلعه الله عليه من الغيب بما سيصيب عثمان من بلوى وقتل، [٣] فأوصاه قائلاً ((يا عثمان إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثاً)). [٤]

حزن كغيره من الصحابة لموت رسول الله ﷺ. [٥]

بعد مبايعة أبي بكر بالخلافة كان من مستشاريه الملازمين له في المدينة، يساعده في اختيار ذوي الكفاءة من الولاة والعمال، [٦] كان له رأي في اختيار عمر للخلافة من بعد أبي بكر، [٧] وكان صاحب تجارة في زمن أبي بكر، يجلب الطعام إلى المدينة، ويكثر من الصدقة. ويلخّص عثمان رضي الله عنه أدواره منذ

---

(١) صححه الألباني في السلسلة ج٢/٧٦٦، وانظر تخريجه عند: الصلابي، عثمان بن عفان، ص٤٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ج٥/٤٠١، الحكمة في الدعوة إلى الله.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥١.

(٤) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، ج١/٦٣١؛ وانظر: الطبقات الكبرى، ج٣/٦٦.

(٥) انظر: وفاة رسول الله ﷺ من هذا الكتاب.

(٦) الطبري، تاريخه، ج٤/١٢٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/٧٩.

زمن النبي ﷺ حتى آخر خلافة عثمان كما في رواية البخاري عن عثمان، قال: (أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين، كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلِفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟). [(١)]

وفي خلافة عمر كان نعم المستشار والمعين على مختلف أموره، فكان الناس إذا أرادوا من عمر شيئاً رموه بعثمان بن عفان، وكان يسمى الرديف.

فكان بمثابة الوزير لعمر. [(٢)]

وكان لعثمان رأي في اتخاذ عمر للديوان. [(٣)]

كما أن له دور في تدبير حج أمهات المؤمنين زمن عمر بن الخطاب. [(٤)]

وفي خلافة عمر لم يكونوا يشكّون في أن الخلافة من بعده لعثمان. [(٥)]

وقد بويع عثمان خليفة للمسلمين عند استشهاد عمر بن

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/ ٢٠٣.

(٢) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٦٠، ٦١.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/ ٢٠٣؛ الصلابي، مصدر سابق، ص ٦١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ١٣٤.

(٥) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥٠.

الخطاب ﷺ في قصة الشورى المشهورة في البخاري،[1] حيث أن عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وأخبره الطبيب أنه ميت طلب منه الناس أن يستخلف قائلين: (أوصِ يا أمير المؤمنين استخلفْ قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فسمى عليَّاً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال: عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري إلى عليّ فقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن أيكما تبرّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أتجعلونه إليّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقِدم في الإسلام ما قد علمت فلله عليك لئن أَمَّرْتُكَ لتعدلن ولئن أَمَّرْتُ عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلمّا أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، وبايع له عليّ وولج أهل الدار فبايعوه).[2]

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/ ٢٠٤.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/ ٢٠٦، ٢٠٧.

إن بيعة عثمان رضي الله عنه لا تعني نقصاً أو قدحاً في علي رضي الله عنه، فكلهم خيار أبرار مشهود لهم بالجنة والعمل الصالح، لكن نتيجة الترجيح كانت لواحد، وهذا أمر طبيعي، ولا قداسة لشخص بعينه، فكلهم من فضلاء الصحابة، ولعل فارق السن وكون عثمان أسنّ من على هو من أسباب تقديمه بالخلافة، ومن المعروف مبايعة علي لعثمان في اللحظة نفسها.[1] وكان علي رضي الله عنه طيلة أيام عثمان مستشاراً ووزيراً ومعيناً له في سائر أعماله رضي الله عنه.[2]

وحينما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة في آخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ، كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها وانتصارها وامتدادها وتنظيمها وإدارتها، فاستمرت على ذلك، وعمل عثمان رضي الله عنه على استمرار الجهاد والفتوح في أيامه،[3] حيث واصل فتوح شمال أفريقيا وأعاد فتح الإسكندرية. كما فتح بلاد النوبة وأرمينية.[4]

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، المبحث الثالث (علي رضي الله عنه في عهد عثمان)، ص١٩٣.

(٣) انظر تفصيلات ذلك عند: عبد العزيز العُمري، الفتوح الإسلامية، ص١٤٨؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٩٣ ـ ٢٠٣.

(٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص ٢٩٩.
عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص١٤٨.

وهو أول من مد الفتوح الإسلامية عبر البحر، حيث أعد أسطولاً إسلامياً ضخماً،[1] قام بعده فتوح منها فتح قبرص سنة ٢٧هـ.[2]

كما خاض معركة ذات الصواري،[3] وهي من أشهر المعارك البحرية في التاريخ، فرض المسلمون بعدها سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط.

كما أتم في أيامه فتح أذربيجان وأرمينية والديلم، حتى وصل إلى بحر قزوين.[4] وامتدت الفتوحات إلى كابُل وما جاورها. وفي أيامه تم التخلص نهائياً من مملكة الفرس بقتل آخر ملوكها يزدجرد.[5]

وقد امتد الإسلام في زمانه في سائر المناطق المفتوحة، وحاول المسلمون الامتداد إلى ايطاليا والأندلس من خلال البحر الأبيض المتوسط بواسطة الأساطيل البحرية.[6] كما هدد القسطنطينية وممراتها المائية.

---

(١) انظر: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الجزء الأول وفيه تفاصيل متعددة، وعبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص١٥٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧، ١٥٩.

(٣) الطبري تاريخه، ج٤/ ٢٦١.

(٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٨، ١٦٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٨.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/ ٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ١٥٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٣/ ٩٣ بعنوان (ذكر غزو الأندلس).

وشهدت الدولة الإسلامية أثناء خلافته تطوّراً إدارياً وتنظيمياً، ففي أيامه قام بتوسعة المسجد النبوي سنة ٢٩هـ.[١]

كما سار على سياسة مالية شبيهة بسياسة عمر بن الخطاب ﵁ في العطاء والخراج والدواوين على اختلافها، وإعطاء الحقوق لأهلها وحفظ المال العام.[٢]

ولعل أهم عمل وأرجاه لعثمان جَمْعُهُ الناس على مصحف واحد، وحديث أنس بن مالك ﵁ عند البخاري في صحيحه لعلّه يوضح صورة ذلك بالتفصيل، فقد حدّث (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/ ٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ١٥٤.
السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢/ ٥٠٥؛ وانظر: تفصيلات ذلك عند، صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري ص ٦٤.
وعبد العزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١/ ١٢٤.

(٢) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٢٩.

ابن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق، قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت، قال: فقدتُ آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف). [١]

لقد كان واضحاً أن النسخ كان بشورى من الصحابة وبدقة متناهية، واعتمد فيها على المصحف الأصلي الذي جمع في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. [٢]

وقد قام رضي الله عنه بإرسال نسخ الى الأمصار الإسلامية وأمر بتوحيد مصاحف الناس ومراجعتها عليها. وعُد كل نسخة في مصر من الأمصار أصلاً للمراجعة والتطبيق. وهذه الأصول كما هو معروف رويت عن شيوخ القراء من الصحابة، وخبراء لغة

(١) البخاري، صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦/ ٩٩.
(٢) انظر: الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١.

قريش ومن تابع نزول القرآن وترتيبه وحفظه على رسول الله ﷺ، متصلة السند إلى رسول الله عن جبريل عن الرب تبارك وتعالى.

ولا تزال بعض هذه النسخ محفوظة إلى اليوم، منها نسخة في طاشكند في أوزبكستان، ونسخة في اليمن وقد شاهدتها بنفسي في جامع صنعاء سنة ١٣٩٧هـ، ونسخة في اسطنبول في متحف توب قابي، ووقفت عليها سنة ١٤٠٧هـ.[١]

ولعل بقاء هذه النسخ الأصلية الى الآن، مما يؤيد مصداقية روايات المسلمين حول إرسال النسخ الى الأمصار زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

وفي آخر خلافة عثمان رضي الله عنه تآمرت مجموعة من السبئيين وخططوا لقتله وإحداث الفتنة والانقسام في الأمة،[٢] وتعاون معهم في ذلك بعض من ارتد سابقاً أيام أبي بكر، وكان لعبد الله ابن سبأ الذي كان يهودياً فأظهر إسلامه دور في بث الدعاية ضد عثمان، وخصوصاً في مصر والعراق. وقد أدى ذلك الى مجيء المئات من الناقمين، الذين قدموا الى المدينة، وتظاهروا بالأمر بالمعروف، وناقشوا عثمان في بعض الأمور، وتظاهروا بالاقتناع

---

(١) انظر المبحث الذي كتبه: صبحي الصالح، في مباحث في علوم القرآن، في موضوع: (أين أصبحت المصاحف العثمانية الآن)، ص ٨٧.

(٢) راجع تفصيلات ذلك عند، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ١٧٦ ـ ١٩٢ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٧٨ ـ ٣٩٢. الصلابي، عثمان ابن عفان، م٤٠٣ ـ ٤٩٧.

برأيه، وأخذوا طريقهم الى العراق ومصر. وبعد أن خرج أهل المدينة الى الحج سنة ٣٥هـ عادوا إلى المدينة وحاصروا عثمان في داره، زاعمين أنه كتب إلى ولاته بقتلهم، فأنكر عثمان ذلك، واشتد الحصار عليه، ودافع عنه علي بن أبي طالب ﵁ وبنوه،[١] والزبير بن العوام وابنه عبد الله، وأبو هريرة وعبد الله ابن عمر، وجماعة من الأنصار وغيرهم، ممن وُجدوا في المدينة أثناء الحصار، وطلبوا من عثمان أن يأذن لهم بالقتال دفاعاً عنه، لكن عثمان أمرهم بالكف، وقال: (أعزم على كل من لي طاعة عليه أن لا يقاتل)،[٢] وطلب المحاصرون من عثمان أن يعزل نفسه عن الخلافة، لكنه أصر على الثبات لا حرصاً على المنصب، لكنه تأوَّل ما أمره به رسول الله ﷺ من التمسك بالقميص أو السربال الذي أمره الرسول ﷺ بالإمساك به إن أراده المنافقون على خلعه،[٣] حيث أمره بالصبر حتى يلقى رسول الله ﷺ، ولذلك آثر أن يكون المصاب هو وحده، وأقسم على المدافعين عنه بالانصراف،[٤] ولم يستجب لطلب أهل

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج١٥/ ٢٢٤؛ سليمان بن حمد العودة، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص ١٥٥.

(٢) ابن عساكر، نقلاً عن د. أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٨٧، وأبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤١.

(٣) سبق تخريج الرواية.

(٤) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٣٨ ـ ١٤١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٧١.

الفتنة بخلع نفسه،[(١)] انتظاراً للقاء رسول الله ﷺ والثبات على وصيته، وهو المبشر بالجنة ﷺ. وقد منع أهل الفتنة الماء عن دار عثمان ﷺ، فناله العطش، وحاولت بعض أمهات المؤمنين إيصال الماء إليه فنالهن أذى أهل الفتنة،[(٢)] وبقى من دون مدافعين، حيث انصرفوا بعد أن اقسم عليهم عثمان بذلك.[(٣)] وكانوا مستعدين للدفاع عنه، واقتحم أهل الفتنة الدار وقتلوا عثمان ﷺ شهيداً صابراً محتسباً، وهو المبشر بالجنة، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ وعمره ٨٢ سنة، حيث كان معظم أهل المدينة في موسم الحج في مكة، وكان قد رأى النبي ﷺ في المنام يدعوه للإفطار عنده وهو صائم.[(٤)]

وقد حزن الصحابة لاستشهاد عثمان، كان على رأسهم عليٍّ ﷺ الذي كان كارهاً لمقتل عثمان حزيناً عليه وهو صهره وقريبه.[(٥)] ومع ذلك حاول أهل الفتنة أن يشيعوا في الناس رضا

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٧٢.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/ ٤٠١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٧.

(٣) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤٥.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٧٦، ٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ١٩٢.

لمزيد من التفصيل حول روايات استشهاده. انظر: الغيث. خالد بن محمد، استشهاد عثمان ﷺ ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية ـ، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٨هـ.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرك، ج٣/ ٩٥؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص٤٨٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٦٩.

عليّ بقتل عثمان إمعاناً في المكر بالأمة، وسعياً وراء الانقسام والفساد،[١] وبعد قتله نهب أهل الفتنة بيت مال المسلمين المجاور لدار عثمان.[٢]

حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء)[٣]

عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبله بأكثر من سنتين، نَشَأا وترعرعا وشبَّا سوياً وأحب كل منهما الآخر.[٤]

كان فارساً قوياً مغواراً ذا غيرة وحمية، مولعاً بالصيد يجيد الرمي. وفي قصة إسلامه أن أبا جهل آذى رسول الله ﷺ في يوم من الأيام، وأشتدّ في ذلك، وشتم الرسول ﷺ ونال منه، ثم أنصرف إلى نادٍ من أندية قريش. وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان ترى ذلك، فلما أقبل حمزة رضي الله عنه راجعاً من رحلة صيد، قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم، وقصت عليه ما جرى من أذى للنبي ﷺ، فتوجه مغضباً، ودخل المسجد وتوجه إلى أبي جهل وكان جالساً في القوم، فقام على رأسه وضربه بالقوس ضربة شديدة، شجّت

(١) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨٥.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/ ٤٠٧ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٦٨.

(٣) الحاكم، المستدرك، ج٣/ ١٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/ ٤٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٧٣.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ١٧١، وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/ ٧١، ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٣٠٤.

رأسه شَجَّةً منكرة، وقال له: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فَرُدَّ عليّ ذلك إن استطعت؟ فقام بعض الرجال لينصروا أبا جهل فقال: دعوا أبا عمارة فوالله إني قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.[1]

كان إسلام حمزة رضي الله عنه عن اقتناع تامٍّ، قد يكون اقتناعه بالإسلام سابقاً لهذا الموقف، إلا أن الموقف ساهم في إظهاره. وكان إسلامه في السنة السادسة للبعثة. كان حمزة حسن الإيمان، حريصاً على تعلم القرآن عاملاً به، مدافعاً عن النبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها واعتُبِر إسلامه نصراً وقوة للمسلمين.

كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، المقاتلين الأشداء مع رسول الله ﷺ، بدأ بنفسه معركة بدر بمبارزة عتبة بن ربيعة فقتله، ثم شارك في قتل ابنه الوليد بن عتبة، ولذلك أصبح هدفاً محدداً لمشركي مكة في المعارك اللاحقة، لما يرون من مكانته وقوته في صفوف المسلمين، فاستأجرت هند بنت عتبة رامياً ماهراً هو (وحشي) الحبشي ليتفرغ لمهمة اغتيال حمزة رضي الله عنه من على بُعد مقابل حُرِّيته وعَتْقِهِ.

وترصد وحشي لحمزة وهو يصول ويجول في أُحد، حتى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ٢٩١.
انظر: إسلام حمزة، من هذا الكتاب.

إذا شاهد حمزة ترصّد له، ثم هزّ حربته، وبعد أن وثق بها رماها على حمزة من على بُعد، فوقعت في ثنته ـ ما بين أسفل البطن والعانة ـ حتى خرجت من رجليه، فوقع شهيداً رضي الله عنه، وقد مثلت نساء قريش بجسد حمزة رضي الله عنه، وبُقر بطنه وجُدع أنفه وأذناه،(١) ولما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الحال حزن حزناً شديداً وتوعد بالانتقام له فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المُثلة، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جيء بالقتلى بجواره يصلى عليهم حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة صلوات متكررة، ودفن مع شهداء أُحد في المكان المعروف بجوار جبل أحد بمقابر الشهداء، وكان استشهاده يوم السبت النصف من شوال السنة الثالثة للهجرة ـ.(٢) وحينما شاهد النبي بكاء نساء الأنصار على شهدائهن قال: ((لكن حمزة

---

(١) انظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ١٧٩؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٩٦؛ خليفة بن خياط، ص٦٨؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص٢٤١.

لا بواكي له))، فبكته نساء الأنصار حتى قال لهن النبي ﷺ: ((ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن)).[1]

وكان له ﷺ بنت أراد بعض أهل البيت أن يتزوجها النبي ﷺ فقال ﷺ: ((علمت، أنها ابنة أخي من الرضاعة)).[2]

وقد قال عنه ﷺ: ((سيد الشهداء حمزة)).[3]

وبعد استشهاده رثاه عدد من شعراء الرسول ﷺ منهم عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهم.[4]

جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين الطيار)[5]

ابن عم الرسول ﷺ، أخ لعلي بن أبي طالب، عُرف بذي الجناحين، ولد قبل البعثة بتسع عشرة سنة تقريباً، وهو أسن من أخيه علي ﷺ بعشر سنوات، من أشبه الناس برسول الله ﷺ وقد

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٧٠، ٩٢، ٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ١٨٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، ج٦/ ١٢٥.

(٣) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/ ١٧٣.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ١٥٨، ١٦٢.

(٥) وضع البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة (باب مناقب جعفر بن أبي طالب ﷺ وقال له النبي ﷺ أشبهت خَلقي وخُلقي)، ج٤/ ٢٠٩.

قال عنه ﷺ: ((أشبهت خَلقي وخُلقي)).[1] أسلم جعفر وزوجته أسماء بنت عميس على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرحلة مبكرة، فكان من أوائل من آمن برسول الله ﷺ، فناله الأذى من المشركين في مكة. خرج مهاجراً إلى الحبشة مع زوجته أسماء بنت عميس، فبقي فيها ما يقارب ثلاثة عشر عاماً، رُزق خلالها بأولادهما الثلاثة، كان خلالها يتابع أحوال المهاجرين إلى الحبشة ويتفقدهم ويعلمهم ويحفظ ويتابع ما نزل من القرآن مما يصله مع المهاجرين الجدد.

وقد حاولت قريش استعادة جعفر ومن معه من المهاجرين، وبعثت لذلك وفداً استعدى النجاشي الملك العادل في الحبشة، فقام جعفر رضي الله عنه أمام النجاشي، وكان خطيباً حكيماً، فقال: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا،

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه (باب مناقب جعفر بن أبي طالب وجعل العبارة في عنوان الباب)، ج٤/ ٢٠٩.

وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

فقال عمرو بن العاص ـ قبل إسلامه ـ وهو أحد موفدي قريش للنجاشي: «أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً»، فأجاب جعفر رضي الله عنه نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: فهو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: هل معك مما جاء به الله من شيء، فقال جعفر: نعم، فقرأ عليه صدر سورة مريم، فبكى النجاشي وبكت أساقفته، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون، ومنح المسلمين الأمان الكامل في بلده ورد على كفار قريش هداياهم، التي أرادوا منها رشوته والتأثير على قراره.

وقد ثبت إسلام النجاشي، ويذكر البعض أنه أسلم على يد جعفر بن أبي طالب وكان يعلمه أمور الدين.[١]

وعندما أراد جعفر العودة من الحبشة بعد الهجرة حمله النجاشي ومن معه من المسلمين على سفينتين فقدم جعفر بن

---

(١) انظر: تفصيلات القصة ومصادرها في موضوع الهجرة الى الحبشة، من هذا الكتاب.

أبي طالب وأصحابه على رسول الله فقبّل الرسول ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: «ما أدري بأيهما أنا أُسرّ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر!». [1] وكان رضي الله عنه متحمساً للدفاع عن الإسلام بعدما سمع بطولات الصحابة في بدر وأُحد وما بعدها.

وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين. ورد عن أبي هريرة: (إن كنتُ لألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقري الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيُطعمني، وكان أخيرُ الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيُطعمنا ما كان في بيته حتى إنه كان ليُخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعَقُ ما فيها). [2]

كان رضي الله عنه أحد قواد مؤتة، وبها استشهد، حين بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: ((عليكم زيد فإن أصيب فجعفر فإن أصيب فابن رواحة)).

فوثب جعفر وقال: بأبي أنت وأمي، ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليَّ، قال: ((أمضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير))، فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن يُنادى: الصلاة جامعة، قال ﷺ: ((ألا أخبركم عن جيشكم، إنهم لقوا العدو فأصيب زيد شهيداً

---

(١) انظر: فتح خيبر، من هذا الكتاب.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، ج٤/ ٢٠٩.

فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على الناس حتى قتل، ثم أخذه ابن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً، ثم أخذ اللواء خالد))، ولم يكن من الأمراء هو أمّر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه وقال: ((اللهم هو سيف من سيوفك فانصره)) فيومئذ سمِّي سيف الله. وفي قصة استشهاده ورد أنه اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل حتى قتل. وهو أول من عقر في الإسلام. وكان يردد أبياتاً نقلتها الأمة عنه إلى هذا الزمان منها:

يا حبّذا الجنةُ واقترابُها   طيبةٌ وباردٌ شرابُها

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها   كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذ لاقَيْتُها ضِرابُها

ولما لقي المشركين أصابوه واللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم باليسرى فقطعت، وقد ضربه رومي فقطعه نصفين فوجد في نصفه بضعة وثلاثون جرحاً.

عن عبد الله بن عمر قال: (فقدنا جعفراً يوم مؤتة فوجدنا بين طعنة ورِمية بضعاً وتسعين، وجدنا ذلك فيما أقبل من جسده). وقد ورد عن أسماء بنت عميس زوجة جعفر قالت: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ فدعا ببني جعفر) فرأيته شمّهم وذرفت عيناه فقلت: (يا رسول الله ﷺ أبلغك عن جعفر شيء؟) قال: ((نعم قتل اليوم))، فقمنا نبكي ورجع فقال: ((اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم)). وعن عائشة (رضي الله

عنها)، قالت: (لمّا جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزن)،[1] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ((رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة مضرجة قوادمه بالدماء يطير في الجنة)).[2]

كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.[3] وقد تزوجت أم أولاده أسماء بنت عميس من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأنجبت منه محمد بن أبي بكر. وبعد أن توفي أبو بكر رضي الله عنه تزوجت علياً رضي الله عنه، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر فقال كل منهما: أبي خير من أبيك فقال علي: يا أسماء أقضي بينهما، فقالت: ما رأيت شاباً كان خيراً من جعفر ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال علي: ما تركت لنا شيئاً ولو قلت غير هذا لمقتُّك.[4]

صفية بنت عبد المطلب (رضي الله عنها)

عمة رسول الله ﷺ، شقيقة حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، وزوجة العوام بن خويلد أخو أم المؤمنين خديجة

---

(١) انظر مزيداً من التفصيلات معركة مؤتة، من هذا الكتاب.

(٢) انظر مزيداً من التفصيلات معركة مؤتة، من هذا الكتاب.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، ج٤/ ٢٠٩.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٨٢، ٢٨٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٢٨٧.

(رضي الله عنها)، وأم الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ واحد العشرة المبشرين بالجنة وزوج السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق.[١]

أسلمت في مكة وهاجرت مع ولدها الزبير بن العوام رضي الله عنه، كانت من عشيرة الرسول ﷺ وأهله الذين أنذرهم حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، فناداها باسمها: ((يا فاطمة بنت محمد يا صفية. . . . .)).[٢]

كانت تساعد جرحى المسلمين في غزوة أحد، وحين استشهد حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وشقيقها ومثلت به قريش أقبلت صفية لتنظر إلى أخيها الشهيد، فأدركها ابنها الزبير وخشي عليها إن نظرت إليه وقد مُثل به فقالت: إليكَ عني، وكانت امرأة جلدة شجاعة صابرة، وقالت: بلغني أنه مُثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن واحتسبن إن شاء الله، فجاء الزبير فأخبره فقال: خل سبيلها فأتت إليه واستغفرت له.[٣]

ثم قالت بعد ذلك أبياتاً ترثيه وكانت شاعرة. وكان مما قالت:

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨؛ ابن حبيب، المحبر، ص١٧٢، ٤٠٦.

(٢) انظر: الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣؛ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ٩٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ١٨٠.

دعاه إله الحق ذو العرش دعــوةً

إلـى جـنـة يـحـيـا بـهـا وسـرورِ

فـذلـك مـا كـنـا نـرجّي ونـرتـجي

لـحمزة يوم الحشر خير مصيرِ

فـوالله مـا أنـساك مـا هبّت الصبا

بُكاءً وحزناً محضري ومسيري

عـلـى أسـد الله الـذي كـان مَـدْرَهـا

يـذود عـن الإسـلام كـل كَـفــورِ

أقول وقد أعلى النَّعيُّ عشيرتي

جزى الله خـيراً من أخٍ ونصيرِ(١)

وفي غزوة الأحزاب جعل رسول الله ﷺ النساء والصبيان في حصن فارع لحمايتهم من اليهود والمنافقين، فمر رجل من يهود بالحصن فجعل يطيف بالحصن فنزلت إليه صفية فضربته بعمود فقتلته.(٢)

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة خيبر، وشهدت مبارزة ابنها الزبير لفارس اليهود ياسر أخو مرحب وخافت عليه وقالت:

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/ ١٦٧.

(٢) انظر: غزوة الأحزاب من هذا الكتاب.

يا رسول الله: أيقتل ابني؟ قال بل ابنك يقتله إن شاء الله، فتبارزا فقتله الزبير.[1]

وحينما توفي رسول الله ﷺ رثته صفية رضوان الله عليها بأبيات من الشعر، وكان مما قالت:

أَلا يا رسول الله كُنت رجاءنا
وكُنت بنا بَرّاً ولم تكُ جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلّماً
لِيبْكِ عليك اليوم من كان باكيا
فِدى لرسول الله أُمّي وخالتي
وعمّي وخالي ثمّ نفسي وماليا
فلو أنّ ربّ الناس أبقى نبيّنا
سُعِدنا ولكن أمرهُ كان ماضيا
عليك من الله السلام تحيّةً
وأُدخلت جنّات من العدن راضيا[2]

كما رثته بأبيات أخرى قالت فيها:[3]

عينُ جُودِي بِدَمْعَة وسُهُودِ
واندُبي خَيْرَ هَالِكٍ مَفقُودِ

---

(١) انظر: غزوة خيبر، من هذا الكتاب.
(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٩٨ ـ ٦٩٩، نقلاً عن القرطبي في تفسيره.
(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٧١.

وانْدُبي المُصطفى بحُزْنٍ شَدِيد
خَالَطَ القَلْبَ فَهْوَ كالمَعمودِ

كِدْتُ اقضِي الحَياةَ لمَّا أتاهُ
قَدَرٌ خُطَّ في كِتَابٍ مَجيدِ

فَلَقَدْ كَانَ بالعِبَادِ رَؤوفاً
ولَهم رحْمَةً، وخَيْرَ رَشِيدِ

رِضِيَ الله عَنْه حيَّاً، ومَيْتاً
وجزاهُ الجِنَانَ يومَ الخُلُودِ

وقد عاشت مُكرمة معززة فترة خلافة أبي بكر، وجزءاً من خلافة عمر، وكان من أبنائها وأبناء أبنائها عدد من المجاهدين الفاتحين لمصر والشام وغيرها، وعلى رأسهم الزبير بن العوام وحفيدها عبد الله بن الزبير وغيرهم.[1]

وقد توفيت سنة عشرين للهجرة بالمدينة المنورة، ودفنت في البقيع، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة رضي الله عنها وأرضاها.[2]

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/ ٢٢٧؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٧١؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٣٤٨.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ١٠٥.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

عم النبي ﷺ، أَسَنُّ من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث،[1] جمعت بينهما القرابة والصداقة في الصغر والشباب، كانت فيه صفات حميدة زادت من حميته للنبي ﷺ، منها صلة الرحم والكرم والخُلق الحسن، يكنى بأبي الفضل، لم يُعرف إسلامه إلا يوم فتح مكة.[2]

رأى الكثير من العلماء أنه قديم الإسلام، إلا أنه لم يُظهر ذلك، وكان يكتمه في وقت كان يخدم فيه النبي ﷺ، وكانت مواقفه شاهداً على ذلك ومنها أنه استوثق للنبي ﷺ من الأنصار في بيعة العقبة الثانية، حيث قال: (يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل ما رأينا فيه، فهو في عز في قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده).[3]

وقد بقي في مكة بعد الهجرة، وخرج في غزوة بدر مع

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٥.

(٢) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٧٨.

(٣) انظر: بيعة العقبة الثانية، من هذا الكتاب.

قريش وهو مستكره. وقد قال الرسول ﷺ حينها: ((إني أعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكرهاً)). [1] وهذا نص واضح في كرهه لقتال المسلمين، بل من الواضح دفاعه عن الرسول ﷺ ودفاع الرسول عنه.

وقد أُسر العباس في بدر ودَفع الفدية للمسلمين ليُفك من الأسر، ومع ذلك لم يظهر منه عداءٌ وعدم محبة، وقيل إنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال].

ويرى الكثيرون أن العباس رضي الله عنه كان عيناً للنبي ﷺ في مكة حتى فتحها. [2] وبعد فتح مكة ظهر إسلام العباس رضي الله عنه، وكان سبباً في إجارة أبي سفيان حتى إذا عُرض عليه الإسلام أسلم، مما يدل على معرفة المسلمين له وأنه محسوب عليهم فلم يتعرض لأي أذى.

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ٦٢٩.
وانظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/ ٨٥٥.

وقد خرج مع الرسول ﷺ إلى حنين، وكان من القلائل الذين ثبتوا حول النبي ﷺ ومعه ابنه الفضل بن العباس،[١] وكان يصيح بأعلى صوته يا معشر الأنصار، يا أصحاب رسول البيعة، مُذكراً إياهم ببيعة العقبة التي شهدها بنفسه. ورد أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنما العباس صنو أبي فمن آذى العباس فقد آذاني)).[٢] كان يخدم الحجاج بالسقاية والرفادة، وقد سقى النبي ﷺ في حجة الوداع.[٣]

شارك في تجهيز النبي ﷺ وتغسيله بعد وفاته.[٤]

عاش في المدينة بعد فتح مكة، وعاصر أبا بكر وعمر وعثمان وكانت له مكانة خاصة في قلوب الأمة.[٥]

وقد خرج عمر بن الخطاب في عام الرمادة يستغيث بالمسلمين، وخرج بالعباس عم النبي ﷺ، وقد أمسك بيد العباس وهو يدعو: (اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك وهو بيننا، اللهم وإنا اليوم نستسقي بعم نبيك فاسقنا)، فنزل الغيث بأمر الله.[٦]

---

(١) انظر: غزوة حنين، من هذا الكتاب؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ١٩.

(٢) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٩٠.

(٣) انظر: حجة الوداع من هذا الكتاب.
وابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٢٥؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص٣٢٩.

(٤) انظر: وفاة النبي ﷺ من هذا الكتاب.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٥.

(٦) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/ ٧٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٩٧.

توفيرضي الله عنه في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب سنة ٣٢ للهجرة.(١)

كان له عدد من الأولاد، فيهم متقدمون عاصروا النبي ﷺ وفيهم متأخرون ويمكن معرفة من عاصر النبي منهم وهم:

الفضل بن عباس (الردف)(٢)

ابن عم النبي ﷺ و به كان يُكني فهو أكبر أولاد العباس،(٣) أمه لبابة بنت الحارث التميمية وبه يكنى، وخالته ميمونة بنت الحارث.(٤)

شهد فتح مكة وصحب الرسول ﷺ في غزوة حنين، وثبت مع والده العباس مع النبي ﷺ في حنين حين فرّ الناس،(٥) كان رجلاً وسيماً أبيضَ حسن الشعر.

كان رديف النبي ﷺ في حجة الوداع، شاباً جميلاً بدأ ينظر

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٩٧.

(٢) انظر: وصف العلماء له بالردف حيث ثبت أنه رديف رسول الله ﷺ في حجة الوداع (انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٥٥). والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٥٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٥٤.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/ ٥٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٤.

إلى إمرأة وتنظر إليه فصرف النبي ﷺ وجهه والناس ينظرون إليه.[1] هو الذي غسل إبراهيم ابن النبي ﷺ عند موته،[2] شارك في تجهيز النبي ﷺ مع والده العباس، وكان يصب الماء على عليٍّ رضي الله عنه،[3] كانت له بنت وحيدة هي أم كلثوم بنت الفضل، تزوجها الحسن بن علي رضي الله عنه ثم فارقها فتزوجها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.[4]

كان من المجاهدين في الفتوح في خلافة أبي بكر وعمر، وقد شارك في فتوح الشام واستشهد في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.[5]

عبد الله بن عباس (الحَبْرُ)[6]

حبر الأمة واعلمها بالتفسير، صحابي جليل، ابن عم النبي ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات،[7] هاجر إلى المدينة

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/ ٥٥؛ ابن حبيب، المحبر، ص١٠٧.

(٢) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/ ٣٩٥.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/ ٥٥؛ وانظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٤) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٣٩.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/ ٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٤.

(٦) هكذا وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٣١.

(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ١٣٢.

مع أبويه بعد فتح مكة. كان محباً للعلم منذ صغره مقبلاً على حفظ القرآن وتعلمه، دعا له النبي ﷺ: ((اللهم فقهه في الدين)) وفي رواية ((وعلمه التأويل)).[١] لازم النبي ﷺ بعد انتقاله مع والده العباس إلى المدينة، كان يدخل كثيراً على خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وقد صلى مع الرسول ﷺ قيام الليل في منزلها.[٢] اشتهر في الأمة بعلم التفسير ومعرفة أسباب النزول حتى أصبح رأيه مقدماً على غيره في التأويل وأسباب النزول.[٣] استمر في التعلم من شيوخ الصحابة وملازمتهم بعد وفاة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهم.[٤]

كان له مجلس يُعلم الناس فيه في المدينة، ثم في الطائف يقصده الناس لذلك من مختلف الأمصار،[٥] أشتهر بقضاء حوائج الناس والشفاعة لهم بالخير، كثير الطاعات والخشوع.

أثنى على علمه كثير من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، ج٧/ ٧٨؛ رواه أحمد في المسند، ج١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٣٦٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/ ٣٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢/ ٣٦٥.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/ ٣٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٤٣.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٥٤.

وسعد بن أبي وقاص،[1] وكان عمر بن الخطاب ﷺ يحرص على مشاورته،[2] ويدنيه من مجلسه ويستأنس برأيه وعلمه. روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: ما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر] حتى ختم السورة فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري و لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي يا ابن عباس أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله ـ والفتح فتح مكة ـ فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم).[3]

كان من المقربين من عثمان ﷺ يفتي الناس في عهده.[4] وكان علي ﷺ يدنيه منه ويعمل برأيه.[5] وقد ولاه على البصرة

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٦٩.
(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٦٩.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ج٥/ ٩٣.
(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٦٦.
(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٥٣.

ثم اعتذر عنها بعد فترة من الوقت،[1] وكان من أهم أمراء علي رضي الله عنه، شارك معه في معركة صفين، وكان من المناصرين له باستمرار.[2] بعثه علي رضي الله عنه على الحج بالناس نيابة عنه سنة ٣٨هـ.[3]

اشتهر بمناظرته للخوارج الحرورية في النهروان، وبقوة حجته ومستنده.[4]

على الرغم من أنه شهد مع علي رضي الله عنه (الجمل) و(صفين) فقد كان حريصاً على حقن داء المسلمين، وعندما همّ الحسين رضي الله عنه بالخروج إلى العراق بعد بيعة يزيد بن معاوية، تعلق به ابن عباس وجهد في منعه من التوجه للعراق لخشيته عليه من خُذلان أهل العراق له، فلما بلغه نبأ استشهاده رضي الله عنه حزن عليه ولزم داره.[5]

كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي، بلغ مسنده ١٦٦٠ حديثاً، كما كان من أكثر الصحابة فقهاً، وله اجتهادات تميزه عن غيره من الصحابة.[6]

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص٢٠١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/ ٢٣٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/ ٧٩.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٥٣؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٩٤.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٢.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج٦/ ٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٢٧٩.

(٥) انظر: الطبري، تاريخه، ج٦/ ٨١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/ ٣٩٨.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ٣٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٥٠.

وكانت وفاته سنة ٦٨ هـ بالطائف بعد أن كف بصره وعُمره إحدى وسبعون سنةً.[١]

ولا يزال مسجده مشهوراً وسط الطائف باسمه (مسجد ابن عباس) رضي الله عنه.

عبيد الله بن عباس (الجواد)[٢]

ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أصغر من أخيه عبد الله،[٣] وشقيقه، رأى النبي صلى الله عليه وسلم، كان من تجار المدينة في عصر الراشدين، واشتهر بكرمه وجوده، ولذلك قال الناس: إن عبد الله ابن عباس يوسع الناس علماً وعبيد الله بن عباس طعاماً ومالاً. وكان من أجود الناس في زمانه يسد الحاجة ويقضي الدين.[٤]

أمَّره علي بن أبي طالب رضي الله عنه على اليمن، وكان أميراً للحج سنة ٣٦ و٣٧ هـ.[٥]

أمه أم الفضل (لبابة) بنت الحارث بن حزن الهلالية، وخالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية.[٦]

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٥٩.
(٢) هكذا سماه ابن حبيب في المحبر، ص ١٤٧.
(٣) انظر: الزبيري، نسب قريش، ص٤٧.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ١٤٧؛ الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧.
(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٠٠؛ الطبري، تاريخه، ج٥/ ١٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/ ٢١.
(٦) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٠٧.

كان له احتكاك كبير بها كأخيه عبد الله بن عباس، مات عبيد الله في المدينة سنة ٥٨ هـ.[١]

قُثَم بن العباس رضي الله عنه

هو ابن عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، شقيق لعبدالله بن عباس، ولد في أواخر حياة النبي ﷺ، أمه لبابة بنت الحارث التميمية،[٢] أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، أخٌ للحسين بن علي رضي الله عنه من الرضاعة، ولذلك فإن سنهما متقاربة،[٣] حيث أرضعت أمه الحسين بن علي لبنه.

كان يشبه النبي ﷺ في خَلقه وصورته.[٤] ورد أن النبي ﷺ حمله بين يديه وهو صغير.[٥] كان صغير السن حين وفاة النبي ﷺ، ولذلك ورد أنه أصغر من شهد النبي ﷺ.[٦]

عاش زمن الراشدين وكانوا يقدرونه لقرابته من رسول الله ﷺ.

ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل قثما أميراً على مكة.[٧] وقد شهد معه الجمل وصفين.[٨]

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٥١٤.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٥٤٠.
(٣) انظر: الإمام أحمد، المسند، ج٦/ ٣٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٠.
(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/ ٣٦٧.
(٥) الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧.
(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤١.
(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٣٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤٠.
(٨) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٢٦٠ ـ ٢٧٣.

وفي عصر معاوية خرج مجاهداً في المشرق، واستشهد ﵁ في نواحي سمرقند سنة ٥٧ للهجرة، ولم يكن له عقب من بعده.[١]

وهكذا نرى أن أبناء العباس كانوا من العلماء والأمراء المجاهدين، استشهد بعضهم في أقصى المشرق وآخرون في أقصى المغرب، وغيرهم في اليمن، وهكذا كانت مساهمتهم عظيمة في أحداث الأمة بعد وفاة النبي ﷺ.

أم أيمن (حاضنة الرسول ﷺ)

هي بركة بنت ثعلبة بن عمر الحبشية، كانت مولاة لعبد الله والد النبي ﷺ، وقد ورثها بعد وفاة والده، عرفت النبي ﷺ منذ ولادته، ورقت له وعطفت عليه، وكانت مع أمه آمنة حينما سافرت بالنبي ﷺ إلى المدينة، وهو طفل صغير. وحينما توفيت آمنة أم النبي ﷺ بالأبواء في طريق العودة من المدينة، حملته أم أيمن واهتمت به وقدمت به إلى مكة،[٢] وفرغت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها وحنانها، في وقت غمره جده عبد المطلب بالحب والرعاية، وكان عبد المطلب يتابع أم أيمن ويوصيها بالنبي ﷺ خيراً ويوجهها دائماً: يا بركة لا تغفلي

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٤١؛ ابن حبيب، المحبر، ص١٠٧.

(٢) انظر: موضوع يتيماً آواه من هذا الكتاب.

عن ابني هذا. كان ﷺ يقول عنها: ((هي أُمي بعد أُمي)).[(١)]

شب الرسول ﷺ بعد وفاة جده عند عمه عبد المطلب، واستمرت أم أيمن ترعاه وتعطف عليه وتقوم على شؤونه حتى بلغ النبي ﷺ سن الرجال، وتزوج من خديجة (رضي الله عنها)، فاعتق أم أيمن وزوجها من عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت ابنها الأول أيمن الذي استشهد في غزوة حنين.

وحينما توفي زوجها، تزوجها زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فولدت له أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ.[(٢)]

كانت من أوائل المؤمنين برسول الله ﷺ، وقد هاجرت مبكرة إلى المدينة مع زوجها زيد بن حارثة وابنها الصغير أسامة ابن زيد، فكان بيتهم من أقرب البيوت منزلة لرسول الله ﷺ، وكان يزورهم ويتعهدهم ويدعو لهم، وقد عرفوا الرسول ﷺ قبل البعثة وخبروا صدقه وبره.[(٣)]

كانت حريصة مع زوجها زيد بن حارثة على المشاركة مع رسول الله ﷺ في جهاده، فشاركت مع نساء المسلمين في أُحُد تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وقد أصيبت يوم أُحُد بجرح من سهم رماها به أحد المشركين فوقعت، فسخر منها ذلك

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤٣٢.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٩٩.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٤.

المشرك فضربه سعد بن أبي وقاص فوقع فسخر منه المسلمون.[1]

أصبحت قلقة يوم أُحُد بما أشاعه المشركون من إصابة رسول الله ﷺ وأخذت تستطلع الأخبار بنفسها حتى اطمأنت عليه وعلى سلامته.

كانت ضمن النساء اللائي صحبن الرسول الله ﷺ في غزوة خيبر، وقد استُشهد زوجها زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، فصبرت واحتسبت، ثم استشهد ابنها أيمن في غزوة حنين، فصبرت. وكان رسول الله ﷺ يواسيها ويزورها بنفسه في بيتها ويدعوها بأمِّ ويقول هذه بقية أهل بيتي.[2]

كان يأنس بها وتنبسط معه بطريقة تثير استغراب الآخرين، فقد طلبت أن يسقيها في أحد المرات ففعل ﷺ بكل أدب وتواضع، واستغربت أمهات المؤمنين ذلك. وكثيراً ما تمازح الرسول ﷺ، وكانت (رضي الله عنها) قوية الصلة ببنات النبي ﷺ وبنسائه في حياته وبعد مماته ﷺ، وهي ممن جهز فاطمة بنت النبي ﷺ عند زواجها بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[3]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤٣٣.
(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤٣٢.
(٣) انظر: زواج فاطمة (رضي الله عنها) من هذا الكتاب.

كانت قوية الصلة بأمهات المؤمنين، حيث تعتبر بمثابة الأم الحاضنة للنبي ﷺ.

وقد شهدت اختيار رسول الله ﷺ لابنها أسامة بن زيد لقيادة آخر جيش أعده الرسول ﷺ. ولا شك أنها فرحت بذلك ووجهته ونصحته وهي أم شهيد، وزوجة شهيد.

حينما توفي الرسول ﷺ حرص أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم على زيارتها، تقليداً لرسول ﷺ،حيث كان يزورها، ومواساة لها، فلما رأتهما بكت رسول الله ﷺ، فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: (ما أبكي أني لأعلم أن الرسول ﷺ إلى خير مما كان فيه، ولكن أبكى أن وحي السماء انقطع عنا، فجعلا يبكيان معها). [(١)]

توفيت (رضي الله عنها) في المدينة المنورة سنة ٢٤ للهجرة في خلافة عثمان، بعد وفاة عمر بعشرين يوماً. [(٢)]

زيد بن حارثة («الحِبّ» مولى رسول الله ﷺ)[(٣)] [(٤)]

هو الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم من دون سائر الصحابة.

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٣.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/ ٤٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٢٧.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة (باب مناقب زيد مولى النبي ﷺ)، ج٦/ ٢١٣.

(٤) سماه ابن سعد في الطبقات بـ(الحب)، ج٣/ ٤٠.

وهو زيد بن حارثة بن شراحيل، سُبيَ من أهله صغيراً واستُرِقَّ، اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد فوهبته للنبي ﷺ،[1] فأحسن إليه ورفق به وعامله أسمى وأرقى معاملة، فجاء أهله إلى مكة واتصلوا بالنبي ﷺ وطلبوا أن يفدوه بالمال من الرق فأجابهم ﷺ: ((ادعوا زيداً وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني))، فجاء زيد فخيره النبي ﷺ أمام أهله وقومه، فقال زيد رضي الله عنه: (ما أنا بالذي أختار عليك أحداً).[2]

وهكذا اختار زيد رسول الله ﷺ على أهله، لما أراد الله به خيراً، وكان قد خَبِر النبي ﷺ وعايشه، عَرف منه رحمة وحسن معاملة لا يجدها الإنسان عند أهله، ولا عند أحد آخر من الناس، ولذلـك فإن الرسول ﷺ أعتقه ونادى في قريش والناس يسمعون: ((اشهدوا أن زيداً ابني يرثـني وأرثه))، فسُرَّ أهله بذلـك، وأدركوا أن اختياره للرسول ﷺ كان عن دراية وإرادة منه، وأنـه عند من هو أفضل لـه من والديه، وقالوا للرسول ﷺ خيراً وأثنوا عليه، وفرحوا بحرية ابنهم وتبني الرسول ﷺ له.[3]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤١.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤٢.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤٢.

وقد عاش زيد في كنف الرسول ﷺ وأم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها)، وقد زوجه الرسول ﷺ من حاضنته ومولاته أم أيمن، فكانا زوجين متصلين مقربين من بيت النبوة.[1] وحينما بُعث النبي كان زيد من أول المصدقين برسول الله ﷺ، حتى قيل إنه ثاني المسلمين وأن إسلامه جاء بعد إسلام خديجة (رضي الله عنها).[2] وقد صبر على إسلامه في مكة رغم ما لقي من أذى قريش كغيره من المسلمين. ولما أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة. وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أُسيد بن الحضير الأنصاري (رضي الله عنهما).[3] شهد غزوة بدر مع رسول الله ﷺ وبعثه ﷺ ببشرى الانتصار إلى المدينة.[4] وقد زوجه الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، وهي قرشية شريفة بنت عمة رسول الله ﷺ، ولم يستمر الزواج طويلاً، حيث رأى زيد من زينب حدةً لم يصبر عليها، فأراد طلاقها، فحاول الرسول ﷺ من زيد أن يمسكها وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا

---

(١) انظر: ترجمة أم أيمن (رضي الله عنها) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٢٢٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤٤.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢.

زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب]، ثم بعد طلاقها تزوجها الرسول ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى في الآية التي ورد فيها ذكر زيد رضي الله عنه، وقد نزلت فيه خاصة وفي سائر الناس ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب][1] وقد أصبحت مطلقة زيد (رضي الله عنهما) زوجة الرسول ﷺ وأماً للمؤمنين، ونالت هذا الشرف العظيم.[2]

كانت محبة رسول الله ﷺ لزيد عظيمة، وتزداد يوماً بعد يوم، وكان من أعلم الصحابة وأحبهم إلى رسول الله ﷺ وكان يعتمد عليه كثيراً، حتى أن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ج٦/ ٢٢.

(٢) انظر: ترجمتها، من هذا الكتاب.

قالت: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم، ولو بقي حياً بعد الرسول ﷺ لاستخلفه).[1] وحين انتقد الناس الرسول ﷺ في توليته لأسامة بن زيد أشار ﷺ لفضل زيد في قوله: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعد أبيه)).[2] وشارك مع الرسول ﷺ في بدر وأُحُد والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وقاد سبعاً من سرايا رسول الله ﷺ. وقد بعثه الرسول ﷺ في جمادى الأول من السنة الثامنة للهجرة على رأس جيش مؤتة المتوجه إلى البلقاء في نواحي الأردن. واستشهد هناك فحزن عليه رسول الله ﷺ وعلى بقية شهداء مؤتة، وقد بشر ﷺ بدخول زيد وبقية القواد الشهداء الجنة.[3]

أسامة بن زيد بن حارثة (الحِب) رضي الله عنه[4]

والده زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبه، وأمه أم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٢٢٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٢٢٨.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب زيد بن حارثة، ج٤/ ٢١٣.

(٣) انظر: غزوة مؤتة في هذا الكتاب، وابن سعد، الطبقات، ج٣/ ٤٦.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/ ٢١٣.

أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول ﷺ ومولاته، ولد رضي الله عنه قبل الهجرة بقرابة سبع سنوات.[1]

وقد رباه الرسول ﷺ، حيث كان والده زيد أقرب الناس لرسول الله ﷺ. كان أسامة شديد السواد شبهاً بأمه.[2] وكان ﷺ يحبه حباً شديداً ويعلن ذلك للناس ويقدمه في كثير من الأمور رغم صغر سنه، وكان يسمى (الحِبّ بن الحِبّ)،[3] وكثيراً ما كان يردفه النبي ﷺ، دخل ﷺ الكعبة عام الفتح بعد تطهيرها من الصور والأصنام ومعه أسامه بن زيد وبلال بن رباح،[4] ولشدة حب الرسول ﷺ لأسامة ظنت قريش بعد الفتح أن الرسول ﷺ يشفعه في كل شيء، حتى إنه لما سرقت المرأة المخزومية وأراد الرسول ﷺ أن يقطع يدها التمست قريش من يشفع لها عند رسول الله ﷺ فتوجهوا إلى أسامة بن زيد فشفع لها فقال له ﷺ في الحديث المشهور: ((يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)).[5]

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٦١ ـ ٧٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٣١.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٧٩١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٧٣٢؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٩٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب مقام النبي ﷺ بمكة بعد الفتح، حديث رقم: ٤٣٠٤.

(٥) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب؛ وقد رواه البخاري في صحيحه، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/ ٢١٣؛ ومسلم في الحدود، حديث رقم: ١٦٨٨.

أدبه الرسول ﷺ في مواقف مختلفة ومن ذلك ما ورد عن أسامة قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: ((أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟)) قلت كان متعوذاً، فما زال يكررها الرسول ﷺ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، ثم قال أسامة للرسول ﷺ: إني أعطي الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً فقال النبي ﷺ: ((بعدي يا أسامة)) قال: بعدك). [١]

وحينما جهز الرسول ﷺ جيشاً قبيل وفاته لغزو أطراف الشام وتأديب القبائل التي أعانت الروم في مؤتة وغيرها، وهو آخر جيش جهّزه النبي ﷺ، جعل قيادة ذلك الجيش لأسامة بن زيد رضي الله عنه، فطعن بعض الناس في إمارته وتكلموا في ذلك. ولما علم النبي ﷺ صعد المنبر وحمد الله ثم أثنى عليه وقال: ((إن تطعنوا في إمارته ـ أي إمارة أسامة ـ، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ـ يقصد زيد بن حارثة ـ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)). [٢]

---

(١) انظر: تخريجه عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٩٩.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفى فيه. رواه البخاري، ج٥/ ١٤٥.

ويموت النبي ﷺ قبل أن يتحرك جيش أسامة إلى غايته التي حددها الرسول ـ وهي قتال الروم ـ، وقبل أن يموت النبي ﷺ أوصى أصحابه ان يسارعوا بتحريك جيش أسامة فقال لهم: ((أنفذوا بعث أسامة ـ أنفذوا بعث أسامة)). (١)

ولما استقرت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه أصر على تسيير ذلك الجيش، رغم أن بعض الصحابة طلبوا إبقاء الجيش في المدينة لمواجهة المرتدين الذين كانوا يهددونها، فقال أبو بكر رضي الله عنه والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني أو لو ظننت أن السباع تأخذ بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة، كيف أحل عقد لواء عقده رسول الله ﷺ قبل أن يكمل مهمته؟(٢) واقترح بعض الصحابة تغيير أسامة عن القيادة لصغر سنه، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرد عليه الصديق: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه. (٣)

وحين خرج أسامة بالجيش خرج الصديق على قدميه يودعه مع الجيش، فيصر أسامة على الصديق أن يركب أو أن ينزل

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفى فيه، ج٥/ ١٤٥.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج٣/ ٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٢٠.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٣/ ٢١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص٢٠.

أسامة عن فرسه، فيصر الصديقﷺ: (والله لا نزلتَ ووالله لا ركبتُ، وما عليَّ أن أُغبِّر قدمي ساعة في سبيل الله). ثم يستأذن الصديق من أسامة في إبقاء عمرﷺ في المدينة ليعينه على شؤون الدولة، وكان عمر أحد جنود أسامة في ذلك الجيش.[١] وقد قام أسامة وجيشه بتنفيذ المهمة خير قيام، وأرعب أعداء الإسلام والمرتدين وعاد ظافراً غانماً بعد أن أوجد هيبة في قلوب الأعداء للإسلام ودولته وقوته.[٢] وقد كانت له إسهامات في الفتوح الإسلامية طيلة عصر الراشدين، كما كان محل احترام الخلفاء وتقديرهم، يقدمونه على غيره، حتى أن عمر بن الخطاب يقدمه ويفضله على ابنه عبد الله بن عمر ويقول: كان أحب إلى رسول الله ﷺ من ابن عمر. وحين نظر ابن عمر إلى محمد بن أسامة، قال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه،[٣] متذكراً حب رسول الله ﷺ لأسامة.

وحينما نشب القتال بين علي ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) كان قلب أسامة مع عليﷺ، لكنه تذكر حواره مع الرسول ﷺ والرجل الذي قتله بعد أن قال: لا إله إلا الله، فاعتزل ولم يقاتل التزاماً بعهده مع النبي ﷺ، وقال: لا أقاتل

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٩٧.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج٣/ ٢١٣.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/ ٢١٤.

أحداً يقول لا إله إلا الله، مع أنه بينَّ موقفه الداعم لعلي في رسالة بعثها إليه قال فيها: (إنك لو كنت في شدق السد لأحببت أن أدخله معك ولكن هذا أمر لم أره)، وحينما نوقش رضي الله عنه قال: (لا أقاتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً)، فرد عليه أحدهم: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال]، فأجاب رضي الله عنه أولئك المشركون، ولقد قاتلناهم حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله.[1]

وأسامة رضي الله عنه كثير العبادة والصيام، متأسياً برسول الله لزم داره بعد استشهاد علي رضي الله عنه حتى توفي في المدينة سنة ٥٤هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان عمره خمساً وسبعين سنة رضي الله عنه وأرضاه.[2]

أنس بن مالك (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3]

هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري من بني النجار، اشتهر بلقب خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمه أم سُليم الأنصارية، وخالته أم حرام الأنصارية.[4]

---

(١) ابن كثير: تفسيره، ج١/ ٨٤٠.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٤٩٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٦١.

(٣) وضع مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، ج٧/ ١٥٩.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٥.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين، فأخذت أمي بيدي فانطلقت بي إليه فقالت: يا رسول الله! لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا أتحفك بتحفة وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا فخذه فليخدمك ما بدا لك، قال: فخدمته عشر سنين، فما ضربني ولا سبني).[1]

وكان يخدم الرسول ﷺ ويخصه بالتعليم والتربية والرعاية، وكان يداعبه فيقول: ((يا ذا الأذنين)).[2]

وقد ورد عن أنس قال: (جاءت بي أم سليم إلى رسول الله ﷺ قد أزرتني بنصف خمارها وردتني ببعضه فقالت: يا رسول الله هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك فأدع الله له فدعا له ﷺ، اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته).[3]

وفي وراية فما ترك خير دنيا ولا آخرة إلا دعا لي به، ثم قال: ((اللهم أرزقه مالاً وولداً وبارك له فيه)).[4]

كان يصحب رسول الله ﷺ في مسجده، فيتعلم منه العبادة والأخلاق والعلم، ويخدمه في بيته، ويطلع على علم لا يعرفه

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٣/ ١١٠؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه باب من فضائل أنس بن مالك، ج٧/ ١٥٩.

(٣) رواه البخاري، باب من زار قوماً ولم يفطر عندهم، ج٤/ ١٩٨؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٩؛ وابن سعد، الطبقات، ج٧/ ١٩.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٩.

إلا هو، فيرى عبادته وقيامه للصلاة ودعاءه، وأمر بيته وأهله، كما صحبه في معظم غزواته، ومنها غزوتا بدر والحديبية، وبايع تحت الشجرة، وقيل إنه غزا ثماني غزوات مع رسول الله ﷺ يخدمه فيها.[1]

صار رضي الله عنه قدوة للناس في صلاته وإتقانه لما رأى من رسول الله ﷺ، ولما تعلمه في صلاته. روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُليم، يعني أنساً. وقال محمد بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر، وروى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال كان أنس يصلي حتى تقطر قدماه دماً مما يطيل القيام رضي الله عنه).[2]

وفي خلافة أبي بكر وعمر كان أنس قد بلغ مبلغ الرجال، فصار مرجعاً في الحديث عن رسول الله ﷺ، ثقة عند الجميع ومكان تقديرهم لخدمته رسول الله ﷺ.

وقد ورد أن: (أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين ساعياً، فدخل عليه عمر فقال: إني أردت أن أبعث هذا على البحرين وهو فتى شاب، قال: أبعثه فإنه لبيب كاتب،

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٧.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢١؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٠.

فبعثه، فلما قُبض أبو بكر، قدم أنس على عمر فقال: هات ما جئت به، قال: يا أمير المؤمنين البيعة أولاً، فبسط يده).[١]

وقد ورد أنه قدم من البحرين بعد بيعة عمر ومعه مال الصدقة والأموال، فوهبه عمر رضي الله عنه كثيراً منه.[٢]

وقد شارك رضي الله عنه في فتوح فارس، وشهد فتح تستر، فقُدم لصاحبها الهرمزان فأسلم وحسن إسلامه.[٣]

انتقل إلى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه معلماً للقرآن والسنة، وكان يَكره الإكثار على الناس.[٤]

نجد معظم مروياته في الحديث عن طريق رواة البصرة. وقد ورد أن له ألفين ومئتين وستة وثمانين حديثاً اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً منها، وانفرد البخاري في صحيحه بثمانين حديثاً ومسلم بتسعين حديثاً.[٥] وبذلك كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ.[٦]

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠١.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠١.
(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٢.
(٤) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١١٨.
(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٦.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٦.
وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٧١.

وهذا لا شك ببركة دعاء الرسول ﷺ له وخدمته لرسول الله ﷺ.

عُدَّ في البصرة من أكثر الناس مالاً وولداً ببركة دعاء النبي ﷺ له حتى ضرب به المثل وبقي في خلافة عثمان وعلي (رضي الله عنهما). وقد ورد عنه قوله: (إن الله قد جمع حب علي وعثمان في قلوبنا)،[(١)] ولعل هذا القول كان بعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه.

ولكثرة ولده رضي الله عنه فقد مات منهم ما يقارب السبعين في حياته بأمراض مختلفة منها طاعون الجارف.[(٢)]

كان كثير الصلاة والصيام، ولما كبر سنه وعجز عن الصيام كان يحرص على إطعام المساكين محل صومه.[(٣)]

وقد عُرف في البصرة مدة بقائه فيها بأنه الصحابي الإمام المقرئ المحدث راوية الإسلام.[(٤)]

وقد عاصر فتناً مختلفة، وكان محل رضا الناس، ولم يسهم

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٥.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٥. (وهو وباء أصاب العراق في أيام بني أمية).

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٥؛ وقد روى البخاري شيئاً من ذلك في صحيحه، ج٨/ ١٣٥؛ الطبقات، ج٧/ ٢٥.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٣٩٦.

في شيء منها، وحين قيام الفتنة بعد استشهاد الحسين ﵁ ووفاة يزيد بن معاوية وحركة ابن الزبير كتب إليه ابن الزبير، فصلى بالناس في البصرة أربعين يوماً.[1]

وكان له موقف حازم وصريح من الحَجَّاج بن يوسف، مما جعل الحَجَّاج يتعرض له ويؤذيه ببعض أعوانه في البصرة، فكتب أنس إلى عبد الملك: (قد خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين، وإن الحَجَّاج يعرض بي حوكة البصرة، فقال: يا غلام اكتب إلى الحَجَّاج ويلك، قد خشيت أن لا يصلح على يدي أحد، فإذا جاءك كتابي فقم إلى أنس حتى تعتذر إليه، فلما أتاه الكتاب قال للرسول: أمير المؤمنين كتب بما هنا. قال: إي والله، وما كان في وجهه أشد من هذا، قال: سمعاً وطاعة، وأراد أن ينهض إليه فقلت إن شئت أعلمته، فأتيت أنس بن مالك فقلت: ألا ترى قد خافك وأراد أن يجيء إليك فقُم إليه، فأقبل أنس يمشي حتى دنا منه فقال: يا أبا حمزة غضبت؟ قال: نعم تعرضني بحوكة البصرة، قال: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك أعني واسمعي يا جارة، أردت أن لا يكون لأحد علي منطق).[2]

وقد تكررت رؤياه للنبي ﷺ في آخر حياته،[3] وقد طال

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٩.
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٤؛ والحاكم، المستدرك، ج٣/ ٥٧٤.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢٠.

عمره حتى قال: (ما بقي أحد صلى القبلتين غيري)،[1] وكان آخر الصحابة وفاة، وقد ورد أنه توفي سنة ثلاث وتسعين للهجرة وله من العمر مائة وثلاث سنوات.[2]

سلمان الفارسي رضي الله عنه[3]

أصله من (جي) من أهل أصفهان في بلاد فارس، وفي نظري أن من يكتب عن أهل البيت لا بد أن يدرج سلمان، وإن كان فارسياً، لقول النبي ﷺ عنه: ((سلمان منّا أهل البيت))، فألفاظ النبي ﷺ واضحة في نسبته لأهل البيت في الإيمان والصدق والمحبة والطهر رضي الله عنه، وقد قالها ﷺ حينما تنازع الأنصار، فقالوا: سلمان منا، لأنه كان مقيماً في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها، فعده الأنصار منهم. وقال المهاجرون إنه منا لأنه هاجر إلى المدينة وقصدها قبل هجرة بقية الصحابة وقبل الهجرة النبوية، وفي كلتا المجموعتين خير وكل منهما أرادت أن تفتخر بسلمان رضي الله عنه، فأعطاه الرسول ﷺ مفخرة لم تعط لأحد

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢٠؛ ابن إسحاق، السيرة، ص ٦٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٧/ ٢٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٤٠٦.

(٣) وضع كثير من العلماء السابقين أبواباً خاصة في كتبهم لقصة سلمان وإسلامه، من هؤلاء ابن أبي شيبة في المغازي (إسلام سلمان رضي الله عنه)، ص١٣٩؛ وكذلك البخاري في صحيحه (باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ج٤/ ٢٧٠)؛ وانظر: شرح ابن حجر في فتح الباري، ج١٥/ ١٣٨.

آخر فقال: ((سلمان منا أهل البيت)).[1] وبذلك انتهى الخلاف بين المهاجرين والأنصار ونال سلمان ﷺ شرفاً أعظم بالانتساب لبيت النبوة، وهذا ما دفعني لإدراجه ضمن مؤمني أهل البيت ﷺ.

وفي إسلامه قصة مشهورة تواردها أهل الحديث والسير عن سلمان ﷺ.

أورد ابن شيبة في كتاب المغازي قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ، من حديثه قال: (كنت في كُتَّاب ومعي غلامان، وكانا إذا رجعا من معلمهما أتيا قساً فدخلا ودخلت معهما، فقال: ألم أنهكما أن تأتياني بأحد، قال: فجعلت اختلف إليه حتى إذا كنت أحب إليه منهما، قال: فقال لي: إذا سألك أهلك من حبسك؟ فقل: معلمي، وإذا سألك معلمك: من حبسك؟ فقل: أهلي، ثم إنه أراد أن يتحول، فقلت له: أنا أتحول معك، فتحولت معه فنزلنا قرية، فكانت امرأة تأتيه، فلما حضر قال لي: يا سلمان: احفر عند رأسي، فحفرت عند رأسه، فاستخرجت صرة من دراهم، فقال لي: صبها على صدري، فصببتها على صدره، فكان يقول: ويل لاقتنائي، ثم إنه مات، فهممت بالدراهم أن آخذها، ثم إني ذكرت فتركتها، ثم إني

(١) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٣/ ٥٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٣.

آذنت القسيسين والرهبان فحضروه، فقلت لهم: إنه قد ترك مالاً، قال، فقام شباب في القرية، فقالوا : هذا مال أبينا فأخذوه، قال: فقلت للرهبان: أخبروني برجل عالم اتبعه، قالوا: ما نعلم في الأرض رجلاً أعلم من رجل بحمص، فانطلقت إليه، فلقيته فقصصت عليه القصة، قال: فقال: أوما جاء بك إلا طلب العلم؟ قلت: ما جاء بي إلا طلب العلم، قال: فإني لا أعلم اليوم في الأرض أعلم من رجل يأتي بيت المقدس كل سنة، إن انطلقت الآن وجدت حماره، قال: وانطلقت فإذا بحماره على باب بيت المقدس، فجلست عنده وانطلق، فلم أره حتى الحول، فجاء فقلت له: يا عبد الله!ما صنعت بي؟ قال: وإنك لها هنا؟ قلت: نعم، قال: فإني والله ما أعلم اليوم رجلاً أعلم من رجل خرج بأرض تيماء، وإن تنطلق الآن توافقه، وفيه ثلاث آيات: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وعند غضروف كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، لونها لون جلده، قال: فانطلقت ترفعني أرض وتخفضني أخرى حتى مررت بقوم من الأعراب فاستعبدوني فباعوني، حتى اشترتني امرأة بالمدينة، فسمعتهم يذكرون النبي ﷺ وكان عزيزاً، فقلت لها: هبي لي يوماً، قالت: نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته، وصنعت طعاماً، فأتيت به النبي ﷺ وكان يسيراً فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا؟ قلت: صدقة، قال: فقال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل، قال: قلت هذا من علامته،

ثم مكثت ما شاء الله أن أمكث ثم قلت لمولاتي: هبي لي يوماً، قالت نعم، فانطلقت فاحتطبت حطباً، فبعت بأكثر من ذلك، وصنعت به طعاماً فأتيت به النبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه فوضعته بين يديه، قال: ما هذا؟ قلت هدية فوضع يده وقال لأصحابه: خذوا باسم الله، وقمت خلفه، فوضع رداءه، فإذا خاتم النبوة، فقلت: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ فحدثته عن الرجل، ثم قلت أيدخل الجنة يا رسول الله، فإنه حدثني أنك نبي؟ قال: لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.[١]

وقد بقي سلمان رقيقاً ما يزيد على ثلاث سنوات بعد الهجرة النبوية، وكان يلتقي بالنبي ﷺ ويتعلم منه، ثم قال له رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، أي أشتر نفسك من مالكك، وكان في نيته ﷺ إعانته على عتق نفسه يقول سلمان رضي الله عنه: (فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين وديَة، والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشرة والرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها ـ أي احفر لها ـ، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي، قال ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته،

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٣٩ ـ ١٤١، واللفظ له.
وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٥٠٦ ـ ٥١٠.

فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل فبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدُعِيْتُ له، قال: فخذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك، قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد).[١]

وكان وجود سلمان بين صفوف المسلمين قبل غزوة الأحزاب إضافة خبرة جديدة للمسلمين، فقد كان حاضراً أثناء التخطيط لمقاومة الأحزاب قبل هجومهم على المدينة، فاقترح على رسول الله ﷺ عمل الخندق حول المدينة، وشارك في الحفر مع المسلمين بعد أن خطه الرسول ﷺ.

فلما رأت الأحزاب الخندق، قالوا: هذا عمل ما كانت العرب تعمله،[٢] وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/ ٤٤١؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٤٦.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي، ج٢/ ٤٤٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤/ ١٢٠٦؛ والصالحي الشامي، سبل الرشاد، ج٤/ ٥١٤.

الدرداء،[1] وكان سلمان ينصحه كثيراً ويفقهه في أمور مختلفة، فقد ورد أن سلمان زار أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة (في هيئة رثة) فقال لها: ما شانك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعامًا، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم فنام، فلما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقًّا ولربك عليك حقًّا وإن لضيفك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فصدق سلمان.[2]

وكانت حِكم سلمان وفقهه كثيرة تناقلها التابعون رحمهم الله تعالى جميعاً، وقد عاش بقية حياة الرسول ﷺ في المدينة وصحبه في كثير من غزواته ﷺ وكان كبير السن.

بعد وفاة الرسول ﷺ كان عوناً لأبي بكر وعمر على الحق فقد ورد أنه: (بعث إلى عمر بحلل فقسمها فأصاب كل رجل ثوباً ثم صعد المنبر وعليه حُلة، والحُلة ثوبان، فقال أيها الناس

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٤٦؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/ ٥١٤.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٨٩٧، أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم: ٢٥٤٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٢٤٢.

ألا تسمعون؟! فقال: سلمان لا نسمع، فقال عمر: لِمَ يا أبا عبدالله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة، فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: نشدتك الله الثوب الذي إئتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم، قال سلمان: فقل الآن نسمع).[١]

كما شارك جيوش الفتوح في المشرق واشتهرت مشاركته في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، حيث كان داعية الجيش في القادسية، وكان أحد المفاوضين للفرس أثناء حصار عاصمتهم المدائن، ومن المترجمين بين الفرس والمسلمين.

وبعد إتمام فتح المدائن، عينه عمر بن الخطاب ﷺ أميراً عليها، حيث كان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال.[٢] وقد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن،[٣] فسار في أهلها سيرة حسنة. وكان مثال المسلم الصالح في سماحته وتواضعه وزهده.

وقد ورد العديد من الروايات التي تدل على تواضعه وزهده

---

(١) انظر: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ١٤٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج٤/ ١٧٣؛ ابن سلام، الأموال، ص ٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ٦٥.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٤٦.

أثناء ولايته على المدائن، من ذلك أن رجلاً غريباً جاء إلى السوق فاشترى شيئاً، ورأى سلمان وهو لا يعرفه فسخره الرجل ليحمل له، فحمل سلمان للرجل فمر بقوم، فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله؟ فقال الرجل: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله ﷺ. فقال الرجل: لم أعرفك، وطلب من سلمان أن يضع العلف؟ فأبى سلمان حتى أوصل علف الرجل إلى منزله. (١)

وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه أنه كان يأكل من عمل يده، فقد كان يشتري الخوص ثم يقوم بنسجه، وبيعه، ويأكل من ثمنه، ويتصدق بما كان يأتيه من بيت المال. (٢)

ولعل تولية سلمان رضي الله عنه على المدائن كانت رمزاً لمعانٍ عديدة، أدركها عمر رضي الله عنه قبل أن يوليه، فكان سلمان خير قدوة لقومه أهل فارس دفعهم إلى الإسلام والرضا بهذا الدين. وقد ذكر أنه رضي الله عنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك. (٣) وقد

---

(١) انظر: عبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص١٧٦.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٨٨؛ ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ص١٣٨؛ أسد الغابة، ج٢/ ٣٢١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٢٦، ٥٤٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٦٣.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٤٧.

اشتهر عن سلمان ﷺ زهده (فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف، ويأكل خبز الشعير وكان ناسكاً زاهداً). [1]

وقبيل وفاة سلمان ﷺ دخل عليه سعد بن أبي وقّاص يعوده، فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك يا سلمان؟ توفي رسول الله وهو عنك راض وتَرِدُ عليه الحوض قال: فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال لتكن بُلْغَةُ أحدكم مثل زاد الراكب وحولي هذه الأساود، وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة، قال فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك، فقال: يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بذلك إذا قسمت. [2]

وقد توفي سلمان ﷺ بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. [3]

---

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢/ ٣٠٦. (البُرْذعة: ما يوضع على الحمار أسفل الرجل، والإِكاف: المركب والأقتاب التي توضع على الحمار للركوب) (ابن منظور: لسان، ج٨/ ٨، ج٩/ ٨).

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٥٢؛ انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٩١.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٥٥٥؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٦٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/ ٩٣.

الخاتمة

محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين

منَّ الله على المؤمنين ببعثته، وجعله رحمة للعالمين، تعبد الله الناسُ باتباعه، عاش ﷺ أحداث عصره بمشاركة من المؤمنين من أهل البيت والأصحاب الذين شاركوه الأحداث وتأثروا به وأثروا في الأمة، عاش ﷺ حياته، ورفع الله ذكره كما لم يذكر أي أحد من البشر إلى يوم القيامة. يمر الملوك وينسون عبر السنين، وتقوم الدول وتنتهي، وتمر الدهور والعصور ويُنسى من مر بها،لكنه ﷺ باقِ في القلوب، قدوة في السلوك، عُرف من حياته ودقائقها بكل وضوح وأمانة ما لم يعرف عن غيره، قدمه المسلمون ﷺ على أنفسهم، محبته واجبة على كل مسلم، سيرته واضحة ومدونة، فيها الصدق والشمول، احترمه معادوه من غير المسلمين، ورأى الجميع أنه ﷺ النموذج البشري الأرحم والأمثل، والأتقى و الأعدل والأحكم،

فاستمروا في الكتابة عنه وعن حياته وسيرته ﷺ وسيستمرون إلى يوم القيامة، ولن يجدوا له مثيلاً من البشر.

ومن ثَمّ، فلدراسة سيرته أهداف واضحة؛ فهو خير إنسان، سيد ولد آدم، جمع في سلوكه بين الدنيا والآخرة، في تطبيق عملي لشريعة الله الرحيم بخلقه، امتداداً لمن سبقه من أنبياء الله، قدوة للساسة وللأزواج والآباء وللمصلحين والعامة، الفقراء منهم والأغنياء.

عرفت صفاته الأمم السابقة قبل زمانه.

من خلال سيرته نعرف زمانه ومن عاصره من الأمم، ومن صحبه من الرجال، ومن تزوج من النساء، ومن حارب من الأعداء، نعرف تعامله وخصائصه وشمائله ﷺ.

اصطفاه ربه وأدبه وصلى عليه وآتاه القرآن ومثلَه معه، وختم به الأنبياء.

هو الأول في مصاف العظماء عبر التاريخ، لم يخرج عن بشريته وعبوديته لله عبداً لله شاكراً، جعل مَحْياه ومَمَاته لله رب العالمين.

عاش في زمن صعب في منطقة قاسية، وبين أناس أميين وثنيين جهال، فتنزل عليه النور والعلم والتوحيد، وانطلق به إلى أصقاع الأرض.

سيرته أصحّ السير، لا لَبْس فيها ولا كذب ولا غرر، هي

علم قائم بذاته، عرف بعلم السيرة والمغازي، رواياتها واضحة معروفة المصادر.

نالت جهداً عظيماً من علماء الإسلام وغيرهم، في الرصد والتأليف منذ القرن الأول الهجري حتى يومنا الحاضر، اشتهر بها علماء ومختصون، ورد الكثير منها في القرآن الكريم، وشرحتها كتب التفسير وأسباب النزول، وأبانتها كتب الأحاديث والسنن والتاريخ والمصادر الأخرى، ناهيك عن الكتب المتخصصة فيها.

ارتبطت بمعالم جغرافية تؤيدها، وحوادث عالمية تدعمها، ومصادر لغوية وأدبية أَثْرَتها.

من حياته ﷺ يتعرف الإنسان على عصره وما صاحب زمانه من أمم وحضارات وأحداث وعادات.

عُرف نسبه وقبيلته وقومه، آباؤه وأمهاته وأعمامه وعماته، وما يتصل بهم من أخبار، فكان من أشرفهم وأوسطهم.

ساءت أحوال الإنسانية قبل مبعثه، طغى الظلم وعمّ الفساد، وانتشرت الوثنية، وحُرفت اليهودية والنصرانية، ودخلهما سوء الأدب مع الله والشرك والعبث، وقتل المصلحين، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، وحُرفت التوراة و الإنجيل، واستغنوا بما كتبوه بأيديهم عن ما أوحى الله به إلى أنبيائهم.

وفي الجانب السياسي طغى الظلم، وسيطرت دولتا فارس

والروم على مناطق الحضارات المجاورة في فارس والشام ومصر وغيرها، ووصل تأثيرهما للعرب الذين كانوا ضعفاء وأحوالهم سيئة في الأصل، سواء في مراكزهم الحضرية كمكة والمدينة واليمن والبحرين وغيرها أم في البادية والأعراب، إضافة إلى الممالك العميلة للفرس من مناذرة الحيرة والعميلة للروم غساسنة الشام.

كان العالم ينتظر هادياً يقوده لخالقه، ويرفع ظلم العباد بعضهم عن بعض، اليهود في بلاد الحجاز وخصوصاً في المدينة وما حولها ينتظرون نبي آخر الزمان وخاتمهم، نصوص ذلك واضحة في كتبهم، وخصوصاً التوراة والإنجيل وشروحهما، ولا يزال فيها بقية إلى هذا الزمان مدعومة بآراء باحثين معاصرين من مستشرقي الغرب من اليهود والنصارى، الذين تبارى بعضهم في الكتابة حول هذا الموضوع.

فجاء مولد المصطفى ﷺ في مكة. وسُمي محمداً، أفضل الأسماء وأزكاها. بدأ حياته يتيما فآواه الله وحماه وأدبه، عاش جزءاً من صغره وصباه بين أُمه وجده في مكة، وبين بني سعد عند حليمة مرضعته، حيث استقى اللغة الصحيحة بفصاحة العرب وبلاغة الأعراب مع لبن الرضاعة، طهره الله بشق صدره في بني سعد حيث صباه وشبابه، ترعرع في مكة، عُرف مجتمعها بكثير من الخطايا كشرب الخمر وشيء من الظلم للآخرين، والظلم الأكبر وهو الشِّرْك، مع اتباع الشهوات كالغناء والزنا وأكل الربا.

رغم فساد البيئة، فقد رعاه الله وحفظه قبل البعثة وزكاه وأدبه، كان في أول الأمر تحت رعاية جده عبد المطلب، وبعده رعاه عمه أبو طالب، كانا يدنيانه ويقربانه ويلاحظان فيه من الأخلاق والأدب والجد والعمل ما لم يرياه في غيره من الصغار، بعد وفاة أمه رعته حاضنته أم أيمن بركة الحبشية مولاة والده عبدالله، فكان وفيّاً معها بقية حياته.

اشتغل في صباه برعي الغنم يساعد عمه أبا طالب شعوراً منه بالمسؤولية، فأعطاه الرعي حُسن الرفق والرحمة بالرعية مثل الأنبياء السابقين. كان كارهاً للأصنام مبغضاً لها، ورغم كثرتها في مكة لم يمس بيده صنماً قط لا قبل مبعثه ولا بعده، ولم يشهد سمراً فيه غناء أو خمر أو معصية، حيث عصمه الله من ذلك قبل البعثة وبعدها ﷺ.

كان محل ثقة الرجال واحترامهم حين بلغ مبلغهم، كان رحيماً عطوفاً واصلاً للرحم مكرماً للضيف معيناً للناس، محباً للبر ومساعدة الآخرين.

كانت مهنة التجارة تغلب على أهل مكة، والكل يبحث عن الأمين ليعمل له في تجارته، فعُرف بين أهل مكة بالصادق الأمين.

طلبت منه خديجة بنت خويلد أن يعمل في تجارتها، فأدركت فيه ﷺ من الصفات والصدق والأمانة والشهامة

والرجولة ما دفعها للحرص على الزواج منه ﷺ، فعرف ذلك عن طريق صويحبة لها، وكانت امرأة عاقلة حكيمة عفيفة فهيأها الله زوجة للمصطفى ﷺ رغم فارق السن بينهما، حيث كانت تكبره بخمس عشرة سنة، فكان الزواج المبارك والذرية المباركة أبناء وبنات المصطفى ﷺ عدا ابنه إبراهيم.

شهد ﷺ في رجولته حلف الفضول الذي تبناه بعض زعماء قريش لدفع الظلم عن المظلومين في مكة.

عَرف في رجولته أصدقاء أوفياء جُبلوا على الصدق والأمانة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

عَرف العمل في تجارة قريش فزار عدداً من أسواق العرب، سمع الخطباء والشعراء في سوق عكاظ وغيرها، فكان يذكر القيم والأخلاق من الشعراء و الخطباء العرب ويدرك ما يقولون، شهد تجديد قريش لبناء الكعبة قبل مبعثه بخمس سنوات، وما حصل من إشكال بينهم حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، حتى كاد يقع بينهم قتال، فاختاره القوم للتحكيم بينهم واصِفينَهُ بالأمين، وبحكمة وعقل حل المشكلة القائمة من خلال حمل الحجر الأسود من جميع الأطراف بردائه ﷺ ثم وضعه بيده الشريفة في المكان المخصص له، مما دفع الجميع للرضا، ونزع بذلك فتيل الخلاف.

وقبل مبعثه ﷺ لم يكن أحد من البشر يعلم أنه سيكون نبياً،

ولم يَدَّعِ لا هو ولا غيره من أهل مكة هذا الأمر على الإطلاق.

مرت به بعض الإرهاصات الخاصة قبل بعثته ﷺ، تحدث عنها ﷺ بعد مبعثه، مثل تسليم الحجر والشجر عليه والرؤيا الصادقة، ثم حُبِّبت إليه الخلوة، فكان يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد موحدا لله ذاكراً له ومناجياً، يعود لبيته بعد أيام ليتزود ويرجع إلى غار حراء في جبل النور في أطراف مكة. كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يطلع على أي من الكتب الدينية السابقة، واستمر في عمل الخير للناس.

بعد بلوغه ﷺ الأربعين من العمر، كان في غار حراء في جبل النُّور في يوم من أيام شهر رمضان المبارك، فأتاه جبريل عليه السلام، ونزل عليه الوحي لأول مرة، وكانت أول آية تنزلت تطلب منه القراءة وهو الرجل الأمي، ﷺ في بلاغة وإعجاز، ورجع بعد ذلك خائفاً إلى زوجته العاقلة الحكيمة الحنون، فتذكره برحمة الله وبما في الله من الرحمة وما فيه ﷺ من الصفات الحميدة التي يحبها الله في عباده وتطمئنه ﷺ.

وبنزول الوحي على المصطفى ﷺ تبدأ مرحلة جديدة في حياة البشرية كافة وليس في حياته ﷺ خاصة، حيث يستمر تنزل الوحي على رسوله المصطفى ﷺ، وتؤمن به أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) قبل الرجال، وبناته ومولاه زيد بن حارثة وصاحبه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويبدأ انتشار الدعوة سراً في مكة، حيث كان ﷺ يربي أصحابه على

التوحيد والاستجابة الكاملة لله وابتغاء الدار الآخرة، مع الأخذ بأسباب الدنيا. وكان ﷺ يلتقي بالمسلمين سراً يربيهم لنشر النور في البشرية.

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية أُمر ﷺ بالصَّدْع بالدعوة فخاطب قريشاً من على الصفا بمكة قرب الحرم، وأنذرهم، بادئاً بعشيرته المقربين.

ردَّ عليه عمه أبو لهب بأسوأ رد، وتوالت أفعال قريش السيئة ضد الرسول ﷺ ودعوته.

ورغم محاولات الرسول المتكررة مع أعمامه ومع زعماء قريش فقد قوبل بالصدود والجحود من زعمائهم.

وكان عمه أبو طالب حسن الرد عليه، إلا أنه لم يُسْلِم، وشارك في حماية الرسول ﷺ، حيث لقي ﷺ أذىً كثيراً من المشركين في مكة.

حاورهم وحاوروه، وكان القرآن يتنزل عليه يناقشهم ويحُجهم ويرد عليهم ويسجل بعض مواقفهم وأقوالهم في معرض ذلك الرد والنقاش فيما نزل بالسور المكية في القرآن، التي ركزت على التوحيد لله ومعرفة حقه وقدره وقضايا الإيمان الأصلية ودحض الشرك.

قُتِل بعض أصحاب الرسول ﷺ وعُذبوا؛ منهم عمار وسُمية وابن مسعود وبلال بن رباح وخباب بن الأرت وغيرهم. كان عم

الرسول أبو طالب يدافع عنه في مواجهة قريش التي حاولت إقناعه بالتخلي عنه، فكان عمه صابراً معه، حاولوا إغراء الرسول ﷺ بالمال والمنصب والنساء، فأصرّ على التمسك بدعوته والسير فيها، كان رأس المعاندين أبا جهل، وعمّ الرسول أبا لهب.

أخذ المعاندون يشتدون في أذى الرسول ﷺ يكيلون له التهم بالكذب وبالسحر والجنون، فكان القرآن يرد عنه ويدافع، في آيات مفصلة.

حاولوا تفريق المؤمنين عنه فصبر معهم، وصبروا معه.

بدأ ﷺ يبحث لأصحابه عن ملجأ يؤويهم من أذى قومهم، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، فكانت هجرتهم الأولى ثم الثانية على دفعتين إلى الحبشة.

حيث آواهم ودافع عنهم النجاشي ملك الحبشة و صمد أمام طلبات قريش بإعادتهم ليؤذوهم ويعذبوهم.

سمع النجاشي من أصحاب النبي، وأسلم على أيديهم ولم يلق النبي ﷺ.

جاء إسلام حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وأحد شجعان قريش مع إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) في وقت متقارب، ليعطي دفعة قوية للمسلمين، تزيد من قوتهم وحمايتهم أمام اعتداء كفار قريش. حدثت خلال هذه الفترة

معجزات مختلفة، ونزلت آيات عظيمة تؤيد رسول الله ﷺ. كان مشركو مكة في قرارة أنفسهم يعلمون صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به، ومع ذلك أصروا على العناد والكفر، تكبراً وجحوداً لا جهلاً، فعلموا الحق وخالفوه.

أقدم مجرمو مكة على مقاطعة النبي ﷺ ومن آمن معه ومن دافع عنه من قومه. فانعزل بنو هاشم والمسلمون في شعب بني هاشم وقاطعتهم قريش عن البيع والشراء والزواج والعلاقة حتى أصابتهم مجاعة شديدة وأذى كبير.

ودام الحصار قرابة السنتين، حيث انتهى بعد ذلك بتمزيق الصحيفة التي كتبت كعهد على المقاطعة وعلقت في جوف الكعبة. وفي السنة العاشرة من البعثة جاءت وفاة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وفي وقت مقارب لوفاة أبي طالب عم النبي ﷺ، وهما أهم المدافعين عن الرسول ﷺ ليزيد أذى مشركي مكة لرسول الله ﷺ ويزيدوا الضغط عليه.

بدأ الرسول ﷺ يبحث عن مكان يؤويه من أذى مشركي قومه، وكانت الطائف أقرب المدن إلى مكة فطمع في أن يؤويه أهلها ويسمعوا دعوته فتوجه إليها مع مولاه زيد بن حارثة، فلقي منهم كل أذى، فرجع إلى مكة، ونزلت عليه آيات تُعزّيه، ولم يدعُ على قومه رغم تكرار أذاهم له.

وأُسري بالنبي ﷺ وعُرج به إلى السماء فكان هذا الحدث تكريماً له ﷺ مع التأكيد على عبوديته لله.

وسميت إحدى سور القرآن بالإسراء، حيث ذكرت فيها تلك الحادثة المهمة في حياة النبي ﷺ، وفرضت عليه الصلاة أحد أهم أركان الإسلام.

وقد حدَّث قريشاً عن تلك الرحلة، وكانت فتنة زادت المؤمنين إيماناً والكافرين كفراً وسُخرية، مع أنه ذكر لهم من العلامات ما يؤيد حديثه.

أدرك الرسول ﷺ عناد القوم وصدهم عن سبيل الله.

فأخذ يدور على القبائل في موسم الحج يعرض نفسه عليهم عله يجد عندهم ملجأ ﷺ، وكان عمه أبو لهب يدور من خلفه يصرف الناس عن السماع له ويتهمه أمامهم بالجنون ليتجنّبوا السماع منه.

قابل ﷺ عدداً كبيراً من القبائل العربية في مواسم الحج والأسواق، عارضاً نفسه عليهم، ولم يستجيبوا له، واشترط بعضهم عليه شروطاً جعلته لا يرغب في الهجرة إليهم.

في السنة الحادية عشرة للبعثة النبوية سمع منه بعض أهل المدينة من الأوس و الخزرج، فعرفوا أنه النبي الذي كانت يهود تتحدث عنه، فصدقوه وحملوا دعوته إلى المدينة حيث دخل الإسلام دُوْرَ الأنصار.

جاء جماعة منهم في موسم الحج التالي إلى مكة وقابلوا الرسول ﷺ وسمعوا منه وبايعوه بيعة العقبة الأولى، كانوا اثني

عشر رجلاً، وبعث معهم مصعب بن عمير معلماً ومرشداً وواعدهم من العام القادم. نجح مصعب في نشر الدعوة بين أهل المدينة، فجاءوا في الموعد ومعهم عدد كبير، وبايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية، واتفقوا معه على إيوائه ونصرته عند هجرته إليهم.

كان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وكانت تمهيداً لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة. علمت قريش بعد ذلك بالبيعة مع أنها كانت سرية، وخشيت منها ومن انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة، فعملت على منعه ﷺ من الهجرة.

بدأ أصحاب النبي ﷺ الهجرة من مكة إلى المدينة تاركين المال والوطن في سبيل الله تعالى، مستعدين للتضحية في سبيل الدين، منتظرين مقدم رسول الله ﷺ.

وقابلهم الأنصار بالترحاب والمواساة في المال والنفس، وأخذوا مع بعضهم بتكوين نواة الأمة الكبرى، فسادت المحبة والإخاء والمواساة في المجتمع المسلم، انتظاراً لهجرة قائده، فكانت الفئتان العظيمتان (المهاجرون والأنصار) اللتان تردد ذكرهما في القرآن الكريم: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة].

ليكونوا بعد ذلك قدوة للأمة المسلمة إلى يوم القيامة، وبدأت أعدادهم تزيد تدرُّجاً. وقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى مناقب الأنصار وفضلهم وحسن استقبالهم وعطائهم لإخوانهم من المهاجرين.

جاءت هجرة الرسول ﷺ، وكان الصديق رفيقه بنفسه، ولأهل بيته الدور الأكبر في الترتيب لهجرة النبي في هذه الصحبة التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه غطاء الحماية للرسول ﷺ، حيث نام في فراش النبي ﷺ معرضاً حياته للخطر.

وسَلِم الرسول ﷺ من مكر قريش لقتله أو حبسه، رغم تخطيطهم الدقيق لذلك، لكنه خرج من بين أيديهم، في معجزة بيِّنة، وبقي الرسول ﷺ ثلاثة أيام في غار في جبل النور، وقريش جادة في البحث عنه، لكن الله نجاه، ومع توكله على الله فقد أخذ بكافة الأسباب الدنيوية للنجاة، ثم أخذ الطريق إلى المدينة.

وفي طريق الهجرة حدثت معجزات متعددة، من ذلك قصة

سراقة بن مالك الذي ساخت قدما فرسه، وطلب من الرسول ﷺ أن يكتب له كتاباً فيه أمان.

فكُتب له بأمر الرسول ﷺ الذي أخبره بما سيفتح الله على المسلمين، وأنه سيلبس سواري كسرى، فكانت ساعة بشرى في زمن خوف، وتحققت المعجزة بعد ذلك.

وتحل الأنوار في المدينة مع المختار ﷺ، ويصل الركب النبوي إلى قِباء، حيث يقابله أهلها بالترحاب والفرح والسرور، بعد انتظار وشوق للرسول ﷺ. كان يوماً مميزاً وكانت الهجرة رمزاً للتأريخ الإسلامي عبر العصور، وفي قباء أُسس أول مسجد في الإسلام، مكاناً لعبادة الله وتوحيده لرجال يحبون طهارة الأبدان وطهارة القلوب.

شارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء ذلك المسجد ومعه أصحابه رضوان الله عليهم، والمساجد لله وحده لا يُدعى معه أحد، وبعد أيام عدة توجه من قباء إلى المدينة التي كانت تسمى حينذاك يَثْرِب. وفي الطريق صلى النبي ﷺ أول جمعة في الإسلام، حيث صار يوم الجمعة أهم أيام الأسبوع، محلاً للعديد من الأحداث عبر الزمان، له مكانة خاصة عند الأمة.

كانت المدينة متنوعة السكان بين عرب من الأوس والخزرج ويهود من قبائل شتى محدودة الإمكانات والطاقات، معدومة النظام والسلطات، دخل أهلها في حروب بينهم قبيل

الهجرة، فكانت بينهم عداوات وإحن، كان نزوله ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري مفخرة وشرفاً له عبر العصور.

حين وصل الرسول ﷺ المدينة عمل على تنميتها وتنظيمها، وأن يعم السلام بين أهلها.

بنى ﷺ مسجده النبوي بعد أن اشترى أرضه شراءً شرعياً من أهلها، وأوقفه على الأمة إلى يوم القيامة، كما بنى لزوجاته حجرات بسيطة حول المسجد حسب الحاجة، وسعى لإقامة مجتمع مدني يسوده الشرع والعدل والنظام، مراعياً الفئات السكانية كافةً من مسلمين وعرب ويهود، فعقد ما عُرف بمعاهدة المدينة، وهي تشبه الاتفاق على المشاركة في الموطن والمدينة وحفظ حقوق الجميع فيها، والتعاون لدفع الأعداء والمعتدين عنها، والخضوع المشترك لنظام يضمن العدل للجميع يسيّره رسول الله ﷺ بشرع الله.

إن هذه الأسس هي المعروفة في النظم المدنية التي تحفظ الحقوق بالاتفاق على تشريع، ووجود الجهة المسؤولة والتعاون في الدفاع المشترك وتأمين الجميع، وكانت المؤاخاة خصوصاً بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، كما سعى الرسول ﷺ لتنمية المدينة في شتى المجالات.

غير ﷺ اسمها من يثرب إلى المدينة، بما في الاسم من معنى المدنية والحضارة والنظام، وغرس محبتها في قلوب

المسلمين ودعا لها ﷺ، وجعل لها حدوداً وحرمها وحماها.

وسعى لفرض الأمن فيها، الأمن على الأرواح والممتلكات والأعراض، حيث عُرفت الحدود والعقوبات وكان ﷺ مرجعاً في ذلك.

سعى ﷺ لتنمية الوعي ونشر العلم بين الناس، وأساسه القرآن والسنة، كما عمل على مواجهة الأمية ونشر الكتابة. حرص ﷺ على إشاعة النظافة في الأبدان وطيب الرائحة وحسن المنظر والسلوك الصحي السليم، وعمل على تنمية السكان وتنظيمهم وتشجيع الزواج والتناسل بينهم، ورفع روحهم المعنوية وإشعارهم بالعزة وتحسين أسمائهم، كما شجع الإنتاج والاقتصاد الزراعي والصناعي والحيواني واستغلال الموارد لصالح الإنسان في التعدين وغيره، وسعى لأن يكون لكل فرد دور إيجابي في المجتمع.

كما نمى قيم التراحم والتلاحم ببر الوالدين وصلة الأرحام والآداب العامة وحُسن المنطق، وحُسن الخلق مع الجميع، مما ساعد في إيجاد مجتمع إنساني رحيم يعرف كل من أعضائه حق الله وحق العباد، وبذلك ساعد في البناء والإصلاح الاجتماعي، وبدأت الشريعة تتكامل، حيث توالت الأحكام في العبادات والمعاملات، وكانت الصلاة من أهم العبادات، وجاء تشريع الأذان ليكون نداء للصلاة وشعاراً للمسلمين ورمزاً وهوية وموضع تنافس بينهم.

تلا ذلك تشريع صيام رمضان الركن الرابع من أركان الإسلام، ثم تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة بأمر الله، وحاول اليهود استفزاز مشاعر المسلمين أثناء ذلك فرد عليهم القرآن بآيات محكمات تتلى إلى يوم القيامة. وبنى رسول الله ﷺ بعائشة (رضي الله عنها) وهي المرأة البكر الوحيدة في حياة رسول الله ﷺ؛ شابة صغيرة حفظت منه العلم للأمة ونقلته للأجيال حافظةً ذاكرةً، كما أمر الله سبحانه وتعالى.

وتأتي في السنة الثانية مرحلة جديدة بعد أن أُذن لرسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين بالقتال، مع أن في بيعته للأنصار في العقبة الثانية كانت استعداداً منهم للقتال، إلا أن الإذن الإلهي بقتال الظالمين للمسلمين جاء في هذا الوقت، وقد أريقت دماء المسلمين وأُخذت أموالهم واعتدي عليهم من قبل طغاة قريش مما دفعهم للهجرة، فقد كان الأذى دافعاً لتمكين المؤمنين في الأرض لإقامة الصلاة والصدقة والعدل الرحمة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

كانت قريش تواصل اعتداءها على المهاجرين حتى بعد وصولهم إلى المدينة، فقد اختطفت بعضهم، ومنعت بعضهم من الهجرة وصادرت أموال وأولاد بعضهم، وكان الرسول ﷺ يدرب أصحابه على الحركة والجهاد والاستعداد له من خلال سرايا ركز فيها أول الأمر على المهاجرين، حيث أشغلهم

وأعدهم ودربهم في وقت واحد، وهم شباب تركوا أوطانهم.

وكانت بعض هذه التحركات للسرايا الأولى تهديداً لتجارة قريش ولم يقع فيها قتال، كما كانت اختيارية للجنود وفرصة تدريبية لهم، وقد جاءت المشاركة النبوية في تلك الجيوش فبما عُرف بالغزوات، فكانت غزوة الأبواء في صفر السنة الثالثة للهجرة أولى تلك الغزوات، حيث كان الرسول ﷺ يقطع على قريش طريق تجارتها، وفي الوقت نفسه يحالف بعض القبائل حول المدينة. وتكررت غزوات الرسول ﷺ فيها اعتراض لتجارة قريش، وتأديب للقبائل المعتدية على المدينة، كغزوة سفوان، أو المتعاونة مع قريش في عدائها للرسول ﷺ مثل غزوة بدر الأولى وغيرها.

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة جاءت أهم غزوات الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى (يوم الفرقان) بل إنها أهم غزوة ومعركة في تاريخ الإسلام، وربما في تاريخ البشرية، جاء فيها نصر الله لجنده ونبيه على قريش الظالمة المعتدية، انتهت المعركة بانتصار جيش الحق مع محمد ﷺ وهزيمة جيش الباطل ومقتل رأس الكفر أبي جهل الحكم بن هشام، أكثر الناس أذىً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه. كما غنم المسلمون الأموال وأخذوا الأسرى، وثبت نصر الله لهم وصدق وعده، وظهرت قوتهم فسمع بها العرب من أقصاها إلى أدناها، وهي أول انتصار للمسلمين على قريش، حيث ثبت للعالم قاطبة قوة جند الله،

الذين أحسنوا إلى أسراهم في المعاملة، مما دفع معظمهم للإسلام متأثرين بالمعاملة والرحمة والصدق الذي شاهدوه عند المسلمين.

وتنزلت آيات في سورة الأنفال عن الغزوة تضمنت أحكاماً رئيسةً في الجهاد والغنائم.

وقد أثار هذا الانتصار حقد اليهود وخوفهم وجعلهم يهددون المسلمين ويتوعدون، مما تطلب موقفاً حازماً من رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وجاءت أولى غزوات الرسول ضد أعداء الداخل من يهود المدينة، فكانت غزوة بني قينقاع بعد غزوة بدر، بعد أن ناصبوا العداء لرسول الله ﷺ، ولمن أسلم منهم من أمثال عبد الله بن سلام.

وقد حذرهم ﷺ من مغبة العناد والعداء، فردوا عليه بالتهديد وشن الحرب، فنزل على رسول الله ﷺ من الآيات ما يرد على بني قينقاع ويهددهم بأنهم سيُغلبون، ثم اعتدوا على امرأة مسلمة في سوقهم، فغضب لها مسلم، فقتل المعتدي على المرأة، فقام اليهود بقتله، وقامت الحرب بعد ذلك، فحاصر ﷺ يهود بني قينقاع وتغلب عليهم وأجلاهم عن المدينة، بعد أن أسرهم وعفى عنهم، فكانت درساً لبقية يهود المدينة ومن حولها.

وتوالت بعد ذلك الغزوات العسكرية الموجهة لقريش

وللقبائل المعتدية المعاندة، وتخلل ذلك بعض السرايا التي أثبتت حزم الرسول ﷺ وقوة المسلمين، وأصبحت تجارة مكة إلى الشام مهددة باستمرار، إلى أن جاءت بعد ذلك غزوة أحد وهي معركة فاصلة في حياة النبي ﷺ.

وقبيل الغزوة جاء زواج فاطمة الزهراء بنت المصطفى من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي صغرى بنات النبي ﷺ، ولم تتزوج قبل ذلك وهي الباقية في بيته ﷺ.

وكان عليٌّ رضي الله عنه شاباً لم يتزوج بعد، هاجر مع رسول الله ﷺ وهو ابن عمه ومن أقرب الناس إليه، فداه بنفسه يوم الهجرة، تربى في بيت رسول الله ﷺ.

كان زواجاً بسيطاً مباركاً ثمرته الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، سكن علي وفاطمة (رضي الله عنهما) جوار رسول الله ﷺ، فكان يأنس بهما وبابنيهما في حياته، عاشا شظف العيش وقسوته مع رسول الله ﷺ وغمرتهم محبته وبركته.

وفي شوال من السنة الثالثة للهجرة حاولت قريش الانتقام لهزيمتها في بدر، فغزت المدينة بجيش جرار بتحريض من يهود، فخرج ﷺ بالمسلمين للقائهم في منطقة جبل أُحُد، حيث رتب الرسول ﷺ أرض المعركة وموقع الرماة وملجأ المسلمين جوار الشِّعب. وقد خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ونزلوا عن موقعهم، مما أتاح لفرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد الالتفاف

على المسلمين، حيث أوقعوا الهزيمة بالمسلمين، واستشهد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ قاربوا السبعين، فيهم عمه حمزة بن عبد المطلب وحامل رايته مصعب بن عمير وغيرهم، وأصيب الرسول ﷺ؛ شُج رأسه وكُسرت رباعيته، ومع ذلك صمد ﷺ مع أبطال من أصحابه حتى ردوا قريشاً التي أصرت على قتل الرسول ﷺ، ولم تتمكن من ذلك وفي نهاية المعركة كان المشركون يرفعون شعار أصنامهم: أُعلُ هُبَلُ، بينما المسلمون يردون: الله أعلى وأجل.

وبعد انسحاب قريش تبعهم الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، مما اضطرهم إلى عدم التفكير في العودة إلى المدينة، وتنزلت آيات قرآنية في ما أصاب المسلمين في أُحد.

وتستعمل قريش غدر القبائل لتأسر عدداً من أصحاب النبي ﷺ الذين عرفوا بأصحاب الرجيع، فقتلتهم بغدر وصلبت بعضهم في مكة نكاية برسول الله ﷺ والمناصرين له، ويفعل الشيء نفسه عامر بن الطفيل في سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين ذهبوا إلى نجد ومعهم رسالة لعامر من رسول الله ﷺ، لكنه بادر بقتلهم ولم ينج منهم إلا رجل واحد.

إن قتل هذه الأعداد من الصحابة الدعاة زاد الرسول ﷺ حرصاً على نشر دعوته ورحمته رغم المصائب.

ثم تأتي في السنة الرابعة للهجرة غزوة يهود بني النضير،

الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فأعلن الحرب عليهم وحاصرهم، وخذلهم المنافقون الذين وعدوهم بالنصر، واستولى الرسول ﷺ على مناطقهم في المدينة، وعفا عن قتلهم وأجلاهم، ونزلت فيهم آيات من سورة الحشر، تلا ذلك عدد من الغزوات الصغيرة إلى أن جاءت غزوة الأحزاب، حيث تحركت قريش ومعها قبائل عدة بتحريض من يهود للقضاء على رسول الله ﷺ ومن معه في المدينة.

فقام الرسول ﷺ بعمل خندق لحماية المدينة من هؤلاء المعتدين.

كان وصول الأحزاب عصيباً. بانَ المنافقون وتقاعسوا عن العمل مع رسول الله ﷺ، وثبَتَ المؤمنون معه عملاً وجهاداً.

وتعاون يهود بني قريظة من الداخل مع الأحزاب، واشتدت الأمور على المسلمين، حتى جاءهم نصر الله، فعمل الرسول على عزل يهود بني قريظة، وإفساد ما بينهم وبين بقية الأحزاب، وضرب الله الأحزاب بالريح وبجند الله، فانفضوا وتفرقوا عن المدينة، مهزومين لم يحققوا أهدافهم، وكانت تلك الغزوة مرحلة تغيير، حيث غزا المسلمون بعدها مكة، ولم يتجرأ كفار قريش بعدها أن يغزوا المدينة، وصدق ما قال رسول الله ﷺ ونزلت سورة من القرآن عُرفت باسم سورة الأحزاب.

لم تنته الجولة برحليهم، حيث خرج الرسول ﷺ لبني

قريظة الذين ظاهروا الأحزاب وخانوا الرسول ﷺ ومن معه من أهل المدينة، متناسين معاهدة الدفاع المشترك وثيقة المدينة، مهددين الرسول ﷺ ومن معه بالموت.

وبعد حصار طويل استسلم بنو قريظة، وشكلت لهم محكمة عسكرية فحكم القاضي عليهم بقتل الخونة حَمَلة السلاح، وكان تأديباً فعّالاً سلم منه كل من حفظ عهده، ووقع فيه كل من خان.

وتأتي بعد ذلك غزوات أخرى، منها غزوة بني المصطلق، التي حاول المنافقون خلالها إيقاع الفرقة بين المهاجرين والأنصار، كما وقعت منهم حادثة الإفك، التي حاولوا النيل فيها من عرض أم المؤمنين عائشة زوج الرسول ﷺ أطهر زوج وامرأة، واستهدفوا بذلك إشاعة الفاحشة وتهوينها في نظر الناس فبرّأها الله مما قالوا، ونزلت بعد ذلك سورة المنافقين لتفضحهم وما قالوا في رسوله ﷺ، وتبين خطرهم واستغلالهم للمواقف.

وبُعيد الغزوة تزوج ﷺ من جويرية بنت الحارث ابنة زعيم بني المصطلق فعمّ السلام والبركة القبيلة، وصارت حليفة لرسول الله ﷺ ودولته.

وفي غزوة الحديبية بدأت الانطلاقة الجديدة؛ هجوم معاكس نحو مكة، لكنه هجوم رحمة، حيث توجه الرسول ﷺ نحو مكة معتمراً ومعه ما يزيد على الألف وأربعمائة من المسلمين، معهم الهَدْيُ مستهدفين العمرة بسلام.

لكنّ قريش أصرّت على منعه من دخول مكة، وفاوضته على معاهدة وهدنة، اتفق فيها ﷺ مع قريش على شروط متعددة، منها وضع الحرب بين الطرفين عشر سنوات، وشروط أخرى كان في ظاهر بعضها إجحاف بالمسلمين، لكنها في النهاية كانت في صالح الإسلام والمسلمين، وفتحت الطرق أمام الدعاة، وفتحت الباب للقبائل المختلفة للتحالف مع الرسول ﷺ، فكانت فتحاً مبيناً، كما وصف الله في سورة نزلت سُميت سورة الفتح، أشارت إلى بعض الأحداث المهمة في تلك الغزوة منها بيعة الرضوان.

منذ البعثة النبوية والرسالة عالمية، وهي من الخالق للخلق مهمة رسول الله ﷺ إيصالها لعامة الناس من عرب وعجم حكاماً ومحكومين، وكان ﷺ يعرف العالم وأحواله وملوكه وأنظمته والقائمين عليها.

وبعد صلح الحديبية أطلق ﷺ عدداً من الرسائل إلى ملوك العالم المجاورين لبلاد العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ومن هؤلاء هرقل ملك الروم الذين سيمت باسمهم سورة من القرآن الكريم، كانوا يسيطرون على أهم المناطق المجاورة لبلاد العرب، في الشام ومصر والأناضول وغيرها، وكانوا على النصرانية، وهرقل نفسه من علمائها وملوكهم المحبوبين انتصر بهم على الفرس في معاركه الأخيرة، فكتب له ﷺ كتاباً مشهوراً ذكره بما ورد في الآيات من عبادة الله وتوحيده، وخوفه من

الإثم بالحيلولة بين المستضعفين وبين ربهم، وبعث الرسالة مع أحد رجال القبائل المجاورة للروم في أطراف الشام الخبراء بالمنطقة وأهلها.

وبعد قراءة هرقل للرسالة، استدعى تجار قريش، وكان في فلسطين، وناقشهم عن أحوال النبي ﷺ وتيقّن من صدق رسالته لكنه لم يُسْلِم، وقد تحدث عن انتصارات المسلمين القادمة على الروم وسيطرتهم على بلاد الشام، مما أثار دهشة أبي سفيان زعيم قريش.

وقد ذُكرت بعض المراسلات الأخرى مع هرقل أثناء غزوة تبوك أثبتت لهرقل صدق الرسول ﷺ، ومع هذا لم يتغير موقفه من الرسول ﷺ ومن الإسلام.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى كسرى فارس، وهو من أعظم ملوك زمانه، يصل نفوذه إلى البحرين واليمن داخل بلاد العرب، إضافة إلى امتداده إلى فارس وخراسان حتى أطراف بلاد الصين، وكان ملكاً مجوسياً وثنياً.

وقد دعاه الرسول إلى الإسلام في كتابه، فمزقه وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فدعا عليه، وبشر المسلمين بغلبتهم عليه وعلى بلاده وسقوط عاصمته المدائن مستقبلاً في يد المسلمين، وقد حاول كسرى تسليط نوابه في اليمن على الرسول ﷺ في المدينة لأسره وبعثه لكسرى، لكن القائمين بالمهمة وصلوا

المدينة ونقلوا من أخباره إلى نواب الفرس في اليمن ما دفعهم إلى الإسلام والإيمان به ﷺ، والانضمام لدعوته. وقد صدق الرسول ﷺ في ما أخبر، فبعد ثماني سنوات تقريباً من هذه الحادثة كانت المدائن عاصمة كسرى تسقط في يد أصحاب رسول الله ﷺ، بقيادة سعد بن أبي وقاص، وهو ممن سمع بشارة النبي ﷺ بفتح المدائن.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر وزعيمها، وعرف، بطريقة هرقل ذاتها، صدق الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء لكنه لم يسلم، ومع ذلك فقد أرسل بهدايا لرسول الله ﷺ كان معها مارية القبطية التي تزوجها ﷺ، وأنجب منه ابنه إبراهيم، وكان ﷺ يخبر بغلبة المسلمين على مصر مستقبلاً ويوصي بهم خيراً.

وقد بقي المقوقس حتى شهد فتح المسلمين لمصر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وكتب ﷺ رسائل أخرى، منها رسائل إلى ملوك الحبشة في أفريقيا وراء البحر، أثارت تساؤلات، وأدت إلى إسلام البعض، ورسائل إلى ملوك نجد والبحرين وعمان، وغيرها من مناطق العرب أدت إلى معرفتهم بدعوة الرسول، وتفاوتت ردودهم بين معاندين ومسلمين انضووا تحت لواء الرسول ﷺ ودولته في آخر حياته.

ووصلت بعض هذه الرسائل إلى أمراء الشام من الغساسنة

وزعماء أيلة في فلسطين وغيرهم، كان واضحاً من خلالها مسالمة الرسول ﷺ لمن أراد السلام منهم وعرضه الإسلام بكل أريحية وصدق على الجميع.

وفي السنة السابعة من الهجرة جاء تحرك جديد لرسول الله ﷺ، ليمد دولة الإسلام شمال الحجاز، فيفتح معاقل خيبر وما جاورها، ويسيطر على منطقة جديدة واسعة وثرية، ويسالم يهود فيها، ويبقيهم عمالاً في المزارع على جزء من نتاج النخل، وقد حاولت امرأة من يهود سَمَّ رسول الله ﷺ فنجا من السمّ ولم يأكل منه.

وفي السنة السابعة توجه ﷺ إلى مكة ومعه جند المسلمين فيما عرف بعمرة القضاء، حسب اتفاقه مع قريش في صلح الحديبية، وأظهر المسلمون أمام قريش قوتهم وجلدهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ وحمايتهم له، وكانت نهاية العمرة دعوته ﷺ قريش لحضور زواجه من ميمونة بنت الحارث خارج مكة مما أغاظهم، وأشعرهم بقوة الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين.

جاءت غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، تأديباً لأحد أمراء غسان الذي اعتدى على موفد رسول الله ﷺ الذي حمل إحدى رسائله، حيث جهز ﷺ جيشاً جعل قيادته لمولاه زيد بن حارثة، ومن بعده ابن عمه ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن بعده الأنصاري عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

وقد تصادم الجيش مع قوات رومية، واستشهد القواد

الثلاثة، فتولى الانسحاب بكل احتراف خالد بن الوليد ﵁، وقد لقبه الرسول ﷺ بسيف الله المسلول، ووصلت فلول الجيش المنسحبة إلى المدينة، فأخبر ﷺ أن لهم رجعة أخرى، وكان كما قال، حيث كان خالد ومن معه عماد وقواد جيش اليرموك الذي هزم الروم في ما بعد، وثبت الإسلام في بلاد الشام.

في رمضان من السنة الثامنة للهجرة خانت قريش عهدها في الحديبية، واعتدت على حلفاء الرسول ﷺ من خزاعة، فانتصر ﷺ لخزاعة، وتوجه إلى مكة، رغم محاولات الاعتذار من قريش وجهودها في تصليح خطأها وتجديد عهدها، إلا أنه ﷺ اعتبرهم ناقضين لعهدهم.

وحين أقبل على مكة كان ﷺ حريصاً على أن يكون دخوله سلمياً، وأن تحقن الدماء، فأتاح فرص الأمان وأماكن آمنة لكل من رغب.

ودخل ﷺ مكة بسلام، وتوجه إلى الكعبة وأزال الأصنام من حولها، وطهرها من الداخل من الصور، وخطب في قريش مذكراً بالله وتوحيده، مؤمِّناً لهم في قولته المشهورة ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، معلناً المساواة بين الناس. وقد رتب أمورها وأقام العدل فيها، وانتهت بذلك حروبه مع قريش بسيطرته ﷺ على مكة، ولم يجبر أحداً منهم على الإسلام، بل أمهل من أراد التفكير في الأمر منهم.

وبعد أن أقام أياماً عدة فيها توجه ناحية الطائف، حيث

كانت هوازن وثقيف له بالمرصاد. وفي الطريق وقعت بينهم وبين رسول الله معركة شرسة في منطقة حُنين، أشار إليها القرآن الكريم، وكان جند المسلمين كبيراً، فيه حديثو عهد بإسلام، فوقع الاضطراب بينهم، وتفرق الكثير منهم وصمد الرسول ﷺ، منادياً ((أنا النبي لا كَذِبْ أنا ابن عبد المطلب))، وانتصر المسلمون في النهاية، وأخذوا الغنائم من ثقيف وهوازن، حيث جُمعت في منطقة الجعرانة، وواصل الرسول ﷺ مسيره إلى الطائف، وحاصرها أياماً عدة ولم يتمكن من فتحها، فعاد إلى مكة، وعند الجعرانة حيث الأسرى والغنائم، جاءه أهل الطائف معتذرين، ففك ﷺ أسراهم وأحسن معاملتهم.

وقد خشي الأنصار بقاء الرسول ﷺ في مكة بعد فتحها وهي موطنه الأصلي، فخطب فيهم وأعلن لهم عودته معهم، ووفاءه بعهدهم ((ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحاكم)).

في رجب من السنة التاسعة للهجرة، في موسم صيف ذلك العام، قرر رسول الله ﷺ التوجه في غزوته المشهورة إلى تبوك، بالقرب من الروم، حيث استشهد أصحابه في مؤتة، وحيث القبائل التي شاركت في قتال أصحابه بحاجة إلى من يثبت لهم قوة المسلمين وقدرتهم على تأديب معانديهم، كما كانت الغزوة موجهة بوضوح إلى الروم في أطراف الشام الجنوبية وبداية فتوح الإسلام في مملكة الروم.

كانت الغزوة ابتلاءً للمؤمنين، حيث نجحوا ونجوا، وللمنافقين حيث سقطوا وتخلفوا، بذل فيها الصحابة من أموالهم في الإعداد و النفقة ومن أنفُسهم بالسفر والصحبة.

كانت بحق امتحاناً للجميع، صحب الرسول ﷺ فيها قرابة الثلاثين ألفاً، منهم عشرة آلاف فارس.

وصل الرسول ﷺ وجُنده إلى تبوك، وأقام بها بضعة عشر يوماً، عاهد فيها زعماء عدد من المدن المجاورة لتبوك، وبعث السرايا إلى مختلف القبائل المجاورة فأمّن المسالمين، وأدّب المخالفين، وعقد المعاهدات، وأظهر قوة الإسلام وأهله أمام الروم، أكبر قوة في زمانه، حيث آثروا عدم الاحتكاك، ومهد للقادم من فتوح المسلمين ومد الإسلام في الشام وبلاد الروم، وعاد الرسول ﷺ بعد ذلك إلى المدينة، وفي الطريق حدثت محاولة من المنافقين لقتل الرسول ﷺ لكن الله نجاه.

وفرح أهل المدينة بعودته ﷺ، وجاءت معظم آيات سورة التوبة للحديث عن غزوة تبوك وما دار حولها، وجاء حج أبي بكر بالناس في السنة التاسعة للهجرة، تمهيداً للتطهير النهائي لمكة وموسم الحج من الشرك وأهله وشعائره، حيث كان أمير الحج أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والمبلغ بالبراءة من الشرك وأهله ومنعهم من المسجد الحرام والحج هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أكثر أهل البيت أخذاً عن النبي ﷺ وتبليغاً عنه.

وتعاون أبو بكر وعلي وبقية الصحابة (رضوان الله عليهم) في هذه المهمة، وبلَّغوا صدر سورة التوبة للناس كافة في موسم الحج، وكانت هذه الحجة وما صحبها تمهيداً لحج رسول الله ﷺ في العام التالي فيما عرف بحجة الوداع.

حرص الرسول ﷺ منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل وتبليغها دعوة الإسلام، وكان الإسلام يزداد قوة تدرّجاً وتصل أخباره إلى تلك القبائل.

ومن المعروف أنه بعد صلح الحديبية كان على القبائل اختيار أحد الأطراف، قريش أو المسلمين، والرسول في المدينة للتحالف والمعاهدة، فدخلت قبائل عدة في أحلاف مع النبي ﷺ وزارت المدينة.

وجاءت وفود القبائل من شتى بلاد العرب بعد فتح مكة وسقوط كفارها، فيما عرف بعام الوفود، وهو العام التاسع للهجرة النبوية.

وكان الرسول ﷺ يحاورهم، وخطباؤهم وشعراؤهم يطرحون ما لديهم بين يديه وكان خطباء الرسول ﷺ وشعراؤه يجيبونهم، وكان ﷺ يكرمهم ويعلمهم الإسلام ويجيزهم، ويقدر ويحترم من يستحق منهم، ويجيب على أسئلتهم، ويسأل عن مناطقهم، ويرتب أحوال المسلمين منهم في بلادهم.

وكان بعض الوفود يمثل قبائل عربية مشهورة تعمّ فيها الوثنية.

وبعضها يمثل قبائل تعم فيها النصرانية، وبعضها الآخر يمثل قبائل متحضرة في المدن، وأخرى في البادية. وقد زاد عدد تلك الوفود على الستين وفداً.

لكل منهم حادثة وحديث، هدف الرسول ﷺ إقناعهم بالدعوة والإسلام ووعدهم بخيرَيْ الدنيا والآخرة إن هم قبلوا ذلك.

والناظر في الخريطة الجغرافية والبشرية لتلك القبائل يجدها تمتد من اليمن في الجنوب إلى أطرف الشام الجنوبية، ومن عُمان إلى أطراف العراق، شاملة جميع الجزيرة العربية، من دون استثناء.

وأنها أتت بأمانٍ وخير وتنظيم لمن شارك فيها، وأجاب النبي ﷺ، وبمقتٍ وسوء عاقبة لمن عاند وخالف.

كان بعضهم من أهل الكتاب من النصارى، فعجبوا لمعرفة الرسول ﷺ لما هم عليه من دين، وبمعرفته لأحوال الأنبياء السابقين، وحديثه عن عيسى عليه السلام بكل احترام دونما تأليه ولا تقديس، سواء أكانوا أفراداً كعدي بن حاتم، أم جماعات كتغلب و الداريين وغيرهم.

وقد حرص النبي ﷺ على هدم الأصنام في كل مكان تطاله يده، فبعث السرايا شمالاً وجنوباً في كل اتجاه لهدم الأصنام، دونما تردد، ومنع الناس من الإشراك بالله، فهدمت العزّى وسُواعَ ومَناةَ والفُلس وذو الكفين وغيرها.

ولم يبق صنم تطاله قوات الرسول ﷺ إلا وقد حُطِّم وأُزيل، حتى صفت بلاد العرب قبل وفاة الرسول ﷺ من الأصنام التي تُعبد من دون الله.

في آخر حياة ﷺ جاء نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فأعد الله عباده ليسمعوا الوداع وخَتْمَ الرسالة من رسوله، لتحملها البشرية من بعده.

فخرج ﷺ إلى الحج في السنة العاشرة للهجرة قبيل وفاته بأشهر قليلة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام. كانت الحجة تطبيقاً عملياً لأركانه، استقى منه المسلمون المناسك.

خرج الكثير من المسلمين من أنحاء بلاد العرب كافة للحج، ووصل عددهم ما يقارب المائة ألف، إضافة لمن كان مع الرسول ﷺ من الصحابة ومن نسائه وآل بيته.

أدى ﷺ المناسك، وأمر الناس بالأخذ عنه، خطب الناس في أكثر من مرة، وأشهرها خطبة الوداع في يوم عرفة، وأمر الناس بالتبليغ عنه، وطلب شهادتهم أمام الله على أدائه للأمانة، ودعا لأمته في أكثر من موقع، وحث الناس على حق الله في عبادته وحده لا شريك له، كما حث الناس على حقن دمائهم وأداء حقوق الآخرين والرحمة بالمستضعفين من النساء، وقطع صِلاتهم بالجاهلية وأمورها، كالربا والزنا والظلم، وحثَّ على المساواة بين الناس، وبيّن تمام الدين وكماله من الله، وأنه ليس

بحاجة أن يضيف الناس له من عند أنفسهم، وأوصى بأهل بيته خيراً، ثم عاد ﷺ إلى المدينة، وكان الصحابة تلقائياً يتحدثون عن حجة الوداع في وقتها وكأنه وقَرَ في قلوبهم قُرب رحيل الرسول ﷺ.

وجه الرسول ﷺ عدداً من أصحابه أمراءَ إلى مختلف المناطق في بلاد العرب، مثل معاذ بن جبل إلى اليمن، وعمرو ابن العاص إلى عمان، وسعد بن أبي وقاص إلى نجد، والعلاء ابن الحضرمي إلى البحرين. وكانت مهمتهم إقامة العدل بين الناس وتحكيم الشريعة وضبط الأمور وتوزيع الزكاة على مستحقيها من الفقراء والمحتاجين، وتنظيم مختلف الأقاليم في دولة الإسلام وربطها بالعاصمة المدينة المنورة، في تنظيم فريد لدولة إسلامية إنسانية شهدتها البشرية لأول مرة رأسها وقائدها محمد ﷺ حتى اكتمل بناء الدولة، بتنظيم إداري فريد ومميز يهدف لقيام حق الله وحق العباد ووجود مسؤولية للقيام بهذا الأمر في تنظيم مدني فريد، إنه الاستخلاف في الأرض الذي وعده الله لعباده الصالحين.

وبدايةً لنظام سياسي عالمي يفرض نفسه على الأنظمة الدولية السائدة في أصقاع الأرض كافة إلى اليوم، ليستمر قدوة للأنظمة الأخرى قروناً طويلة، حتى يصل تأثيره إلى العالم المعاصر، بما فيه من اتجاهات إسلامية سياسية تستمد تراثها ونظرتها من دولة المصطفى ﷺ.

كانت الدولة منظمة بولاياتها وموظفيها وعمالها، بعفوية ذلك الزمان وإمكاناته المتواضعة، حيث عرف عن الرسول ﷺ النظام والترتيب وحسن الإدارة والإحسان في كل أمر. ولعل أهم أساس قيادة الرسول ﷺ في إدارة الدولة مبدأ الشورى الذي قامت عليه، حيث سميت سورة من سور القرآن بالشورى، كدليل على أهمية هذا الأمر في الأمة، وضرورتها لرضى الناس وكسب احترامهم للنظام والمسؤول، إضافة إلى الوصول إلى القرار السليم واختيار الرجال الأكفاء، ومحاسبتهم على الخطأ فكان ﷺ يطبق الشورى بنفسه، وهو المسدد المعصوم ويأمر الناس بها.

كان هدف الدولة النظامَ والعدلَ وحقوق الإنسان، وهذا ما نطقت به الآيات القرآنية التي تحدثت عن الحكم بين الناس بالعدل محذرة من ظلمهم.

كان القضاء جزءاً هاماً من هذا النظام التكاملي الإنساني، وأخلاقيات الإسلام العالية في الحكم، كما كان همه حفظ الأمن وإشاعة السلام، وطمأنة الناس على حقوقهم، والمساواة في ذلك، حيث كان ﷺ يبشر الإنسانية بذلك.

وقد بنى الرسول ﷺ القوة العسكرية للأمة بتدريب أصحابه، وحثهم على ذلك، وبتشجيعهم وضرب المثل لهم في الشجاعة والصبر والثبات، ونزلت مختلف التشريعات في الجهاد، وسميت إحدى سور القرآن بالأنفال، وارتبط بها كثير من الأحكام.

وأكدت الآيات على إعداد القوة ورباط الخيل، كما وعد الله في القرآن بالجنة للشهداء وفي الوقت الذي أمر بالقوة نهى عن الاعتداء، وأمر بالنفير العام عند الحاجة، وعدم التباطؤ.

وكان ﷺ هو القائد الأعلى للجيش، يشارك بنفسه في ساحات المعارك كبدرٍ وأُحُدٍ وغيرهما، ويعين أفضل القادة وأقدرهم على ذلك في السرايا التي لم يشهدها ﷺ.

كان عمادَ جنده ﷺ المتطوعون من أصحابه، كما أن غنائم الجيش توزع بدقة، ينال المقاتلون منها نصيباً أكبر حسب جهدهم وإعدادهم في نظام دقيق.

عمل ﷺ على جمع السلاح وتصنيعه بأفضل ما يمكن في زمانه، كان يعد لقوة تحمي دين الرحمة والإنسانية، وتنشر تلك الرحمة إلى الأماكن المجاورة لبلاد العرب، وكان أكبر جيش عُرف زمن الرسول ﷺ جيشه في غزوة تبوك، الذي قارب الثلاثين ألفاً، وصل أطراف الجزيرة العربية في تبوك قرب الشام، حيث كانت الانطلاقة الكبرى للجيوش التي أعدها الرسول ﷺ في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وجاء البناء الأخلاقي للأمة من خلال السيرة النبوية وما ارتبط بها من تشريعات، أشاعت الإنسانية والقيم في المجتمع، وزادت روابطه وتلاحمه الذي امتد إلى الحيوان، بل إلى النبات والبيئة بعدم الإفساد في الأرض، وقبل ذلك الأدب مع الله ومع رسوله ومع سائر الخلق.

كان ﷺ مثالاً للرحمة قبل مبعثه وبعده، حتى آخر لحظة من حياته، مثالاً للكرم والتواضع، يطبقه ويأمر به، يساعد أهله في البيت وأصحابه في العمل حَضَراً وسفراً، يشيع الحب والابتسامة ويأمر بذلك، وفيّاً بالعهد أميناً، رفع مكانة النساء في المجتمع، كما عُني بترتيب الوقت والجد في العمل.

كان تذكير الناس بالموت وما بعده جزءاً من عمل الرسول ﷺ، حيث جاء القرآن ليعلم الناس الاستعداد لليوم الآخر.

وجاء الحديث عن موت الرسول ﷺ نفسه في أربعة مواضع ومناسبات متفرقة من القرآن الكريم، وكان ﷺ طيلة حياته يستعد للقاء ربه و إلهه وخليله، ويكثر من الاستغفار والتسبيح، وزاد من ذلك في آخر حياته، حينما نزلت عليه سورة النصر، وهي مؤشر لقرب وفاة الرسول ﷺ.

وقد حرص ﷺ على زيارة قبور أصحابه في آخر أيامه، ودعا لهم، وكان يقول: أنتم السابقون ونحن اللاحقون.

ابتدأت شكوى رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشر للهجرة، وحينما اشتد عليه المرض استأذن نساءه في أن يمرض في بيت عائشة (رضي الله عنها)، وفي هذا خير للأمة كلها، حيث كانت أوعى الناس وأقدرهم على حفظ ما يصدر عن رسول الله ﷺ من سُنّة قولاً أو فعلاً، في تفصيلات

دقيقة وعتها الأمة ونقلتها عنه، إضافة إلى راحته النفسية عندها.

وبالفعل نجحت عائشة (رضي الله عنها) في الأمرين، كما كانت فرصة لأبي بكرﷺ بالبقاء أطول فترة مع رسول الله ﷺ في مرضه وقبل وفاته ﷺ، في حجرة ابنته عائشة (رضي الله عنهما).

فكان ينقل له حال الأمة، فنقل له ألم الأنصار وبكاءهم لمرض رسول الله ﷺ،كما كان يدخل عليه رجال آخرون من آل البيت وغيرهم، حيث دخل عليه علي بن أبي طالب وعمه العباس (رضي الله عنهما)، كما كانت تدخل عليه باستمرار ابنته الوحيدة الباقية فاطمة (رضي الله عنها)، وكان يُسِرُّ إليها وتُسِرُّ إليه، ويأنس بها وتأنس به، يُحسّ بها وتُحسّ به.

كان ﷺ يوصي المسلمين بالصلاة وبما ملكت أيمانهم، ويوصي بأمور أخرى تتعلق بالدولة الإسلامية ومستقبلها، من ذلك أمره بإنفاذ جيش أسامة بن زيد الذي أعده قبل مرضه إلى وجهته ناحية الأطراف الجنوبية للشام.

ووصيته بأن لا يبقى في بلاد العرب دينان، وكل هذه أمور استراتيجية هامة.

وحينما عجز ﷺ عن الخروج للصلاة في المسلمين أواخر أيامه أمر الصديقﷺ أن يصلي بالناس، فكان يؤمهمﷺ ويبكي لفقد إمامه ﷺ، ويتأثر الناس ببكاء أبي بكرﷺ فيبكون معه.

واستمر الصديق في الصلاة بالناس رغم محاولة بعض

أمهات المؤمنين أن يُصلي غير الصديق، لرقّته وبكائه، إلا أن الرسول ﷺ كان حازماً في الأمر ((يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس)).

جاء اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ، فأطل ﷺ على المسلمين وهم يؤدون صلاة فجر ذلك اليوم ففاجأ المسلمين، واضطربت صفوفهم فرحاً بإطلالة رسول الله ﷺ،وكادوا أن يُفتنوا عن صلاتهم.

وحينما فرغ الصديق من الصلاة بالناس إماماً استأذن من رسول الله ﷺ في زيارة بيته الثاني في أطراف المدينة فأذن له.

وفي ضحى ذلك اليوم حضرت الوفاة رسول الله ﷺ فاسْتَاكَ، وكان يأخذ من الماء ويمسح وجهه ويردد: في الرفيق الأعلى، حتى فاضت روحه الشريفة ﷺ ورأسه بين سَحْرِ [رئة] عائشة ونحرها مسنداً رأسه على صدرها.

فوضعته ﷺ وغطته ودعت مَنْ في المسجد وكان فيه عمر رضي الله عنه الذي أخذ يهدد ويتوعد من يقول بموت رسول الله ﷺ.

وأرسلوا إلى الصديق يدعونه، فدخل على النبي ﷺ وقبّل رأسه وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميّتاً يا رسول الله ﷺ.

ثم خرج على الناس وخطبهم وذكرهم بالآيات التي كانوا يتلونها، وفيها الحديث عن وفاة رسول الله ﷺ.

كان وقع الخبر جسيماً على المسلمين في المدينة رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً، اشتد الألم على ابنته فاطمة، وعلى نسائه أمهات المؤمنين وعلى سائر الناس، فأخذ بعضهم يعزي بعضاً بوفاة رسول الله ﷺ.

وقد أمر أبو بكر رضي الله عنه بني عبد المطلب من آل البيت أن يتولوا غسل رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم العباس وبنيه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحد الأنصار وأحد مواليه ﷺ، فغسلوه من دون أن يجردوه ﷺ من ملابسه.

فغُسل بالماء و السَدْر [شجر النبق]، وأدرجوه في ثوبين أبيضين، ووضع على سريره، وأَفتى الصديق رضي الله عنه أنه يدفن في الموضع الذي مات فيه.

وبعد تجهيزه وضع على سريره، فكان الناس يدخلون عليه أرسالاً [جماعات] يصلون عليه وهو أمامهم مع أنه ميت، وانتهى الناس من الصلاة عليه رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً ليلة الأربعاء، فدفنوه ﷺ فكانت فاطمة تتساءل أطابت أنفسكم أن تُحثوا التراب على رسول الله ﷺ؟

وفي صبيحة اليوم التالي أذَّن بلال بالصلاة، فلما جاء إلى «أشهد أنّ محمداً رسول الله» بكى وأبكى الناس، واعتزل الأذان بعد ذلك.

كان دَفْنُ رسول الله ﷺ شرفاً للمكان بوجود جسده الطاهر ﷺ فيه، ونال شرف صحبته وجاوره بعد موته أبو بكر وعمر، حيث دفنا بجواره ﷺ، واختارهم الله لذلك رضي الله عنهم أجمعين.

وجاءت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ بشورى بين الصحابة، جعلت الجميع يوافقون على بيعتهم من دون تردد، فهو إمامهم بالصلاة وارتضاه الرسول ﷺ لدينهم، فرضوه لدنياهم ضمن مؤشرات أخرى مختلفة.

وتمت بيعته رضي الله عنه في السقيفة، أولاً وفي المسجد ثانياً بيعتين عامة وخاصة، وقبلته الأمة قائداً للدولة وخليفة للرسول ﷺ، ليكمل المسيرة ويقضي على الردة ويمد دولة الإسلام في كل مكان. وكان واضحاً في الأذهان وجوب الاستمرار في حمل الرسالة بعد الرسول في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

ولا ينفي هذا وجود تبادل للآراء في ذلك الاجتماع، انتهت بالاتفاق على الصديق رضي الله عنه ثاني اثنين.

كان المعايشون للرسول ﷺ مجموعات من الصحابة وآل البيت، وهم أكثر الناس التصاقاً بالرسول ﷺ وأخذاً عنه وتصديقاً به ومحبة له، وليسوا بمنزلة واحدة في الصحبة

والقرب، واختلفت فترات معايشتهم للرسول ﷺ، منهم من شهد ذلك من أول حياته إلى آخرها، ومنهم شهد ذلك فترة من الوقت وغادر الدنيا في زمن مبكر، ومنهم من لحق الركب النبوي في وقت متأخر من حياته،كما تفاوتوا في طول الحياة من بعده ﷺ، ولذلك تفاوتوا في الأخذ والعطاء عنه، وفي مشاركتهم حوادث أيامه، وسيرة حياته، وفي معرفة حياة هؤلاء معرفة لجزء كبير من السيرة النبوية.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن من هؤلاء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، حيث سار الرسول ﷺ على سنة الأنبياء في الزواج، فكانت له زوجات متعددات في مراحل مختلفة منهن من ماتت مبكراً، ومنهن من عاشت بعد رسول الله ﷺ سنوات عديدة.

اختارهن الله لنبيه ﷺ، عشن معه في داره وصَحِبْنه في أسفاره، أخذن أخبار الرجال وأحكام النساء، نزلت الملائكة في بيوتهن وبحضرتهن، حفظن القرآن وذكرن السنة، أردن الله والدار الآخرة.

نِلْنَ شرف نقل الشريعة، ورأين منه الصدق والخير والبركة، أُولاهنّ وأبركهن خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أم جميع أولاده عدا إبراهيم، عاش معها قبل مبعثه خمسة عشر عاماً وبعد مبعثه قرابة عشر سنوات، فعرفته حق المعرفة.

كانت أول من آمن به وصدق برسالته، لم يتزوج عليها في حياتها، وقد وصل صويحباتها بعد وفاتها وفاءً لذكراها.

ثم تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة (رضي الله عنها)، وهي امرأة زاهدة عابدة، صاحبة صَدَقة وعطاء.

وتزوج بعد ذلك من عائشة (رضي الله عنها) وهي المرأة البكر الوحيدة من نسائه، فكانت سبباً في مزيد من الصلة بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر الصديق، حيث كان يدخل على رسول الله ﷺ في دارها، وروت كثيراً من أحداث السيرة في حوادث شهدتها عائشة (رضي الله عنها) وروتها بدقة، تعرضت لحوادث في السيرة خصّتها دون غيرها، من ذلك حادثة الإفك وغيرها.

ولعل روايتها في قصة الهجرة تعد أفضل ما روي عن هذا الحدث، ورواياتها المختلفة في أحداث السيرة هي أوعى ما نقل لنا، إضافة لرواياتها الكثيرة في السنة.

وقد تزوج ﷺ من حفصة بنت عمر، وكان ذلك شرفاً لها ولأبيها.

وكانت تجاور عائشة في حجرتها وتشاركها بعض الأحداث. ومن أمهات المؤمنين اللائي عايشن رسول الله ﷺ وشاركن في الأحداث أم سلمة (رضي الله عنها)، ولها روايات متعددة في السيرة ومشاركة في أحداث غزوة الحديبية وغيرها،

وكذلك كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش، ابنة عمة النبيﷺ، مطلقة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، التي تزوجها من بعد زيد، ووردت قصة زواجها في القرآن الكريم،وهي امرأة خَيِّرة ذات صَدَقة، كانت أول من توفي بعدهﷺ من أمهات المؤمنين.

ثم كان زواجه من جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق، التي كانت من قبيلة محاربة للرسول ﷺ تؤذِي وتُؤذَى، فعمَّ السلام والأمن تلك القبيلة بهذا الزواج وتوقف شرها عن المسلمين.

وجاء زواجه ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي امرأة مؤمنة، كان والدها في حينه من أكبر أعداء الرسول ﷺ، هاجرت إلى الحبشة، فإرتد زوجها عن الإسلام ومات هناك، وأصبحت وحيدة مغتربة في الحبشة ثابتة على إيمانها، فخطبها رسول الله ﷺ وهي هناك، ثم قدمت المدينة فكانت إحدى أمهات المؤمنين (رضي الله عنها)، لها مكانتها رغم عداء والدها حينه للنبي ﷺ فكانت مع الحق عليه.

ثم تزوج ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، خالة أبناء عمه العباس، عُقيب عُمْرة القضية، وكان في ذلك إشعار لأعدائه من قريش بقوته وقدرته، فنالت بذلك شرفاً عظيماً، ونهلت من عِلم النبي ﷺ، ورأت مع أبناء أختها من العباس من عمل الرسولﷺ، ونقلوا ما لم ينقله غيرهم.

وجاء زواج الرسول ﷺ من صفية بنت حُيَيْ، ابنة أحد زعماء يهود، قتل عنها زوجها من اليهود وأُسرت ثم أسلمت، فتزوجها رسول الله ﷺ وأكرمها وعاملها أحسن معاملة، وحدثها عن فضلها لانتسابها لأنبياء بني إسرائيل السابقين، وكانت تصل بعض أقاربها من يهود ممن لم يعادِ الرسول ﷺ، فلم ينهها عن ذلك، ونُفذت وصيتها لبعضهم مِنْ تَرِكَتِها عند وفاتها، فكانت باباً للأحكام الشرعية في هذا الجانب، وهو اختلاف الدين بين الورثة وغير ذلك من الأحكام.

وجاء الزواج الأخير للرسول ﷺ من مارية القبطية في السنة السابعة للهجرة، وقد أُهديت للرسول ﷺ من المقوقس عظيم القبط في مصر، فأكرمها وأحسن إليها وتزوجها، فولدت له ابنه إبراهيم، الذي توفي وهو صغير، كانت حسنة الدين والإسلام، لها مكانة خاصة عند المسلمين.

وقد عاشت أمهات المؤمنين في المدينة بعد رسول الله ﷺ، فكُنّ معلماتٍ للخير ناقلات للسنة مؤثراتٍ في مجتمع المدينة أمهاتٍ للجميع فيه، مصلحاتٍ بين الناس، نقلن السنة عن رسول الله ﷺ فنقلن المئات والآلاف من أحاديث رسول الله ﷺ ومن أعماله العباديه وسلوكياته الزوجية وأحواله في بيته، مما لا يطلع على مثلها إلا الأزواج. فكانت لكل منهن حالٌ حسب الطُّهر وغيره في الحَضَر والسفر، في الأكل والشرب واللباس، في النوم والراحة، في الاغتسال والوضوء، في المحادثة

والمعاشرة، وفي سائر الأحوال. وكان لتعدد زوجاته حكمة واضحة في إثراء الحوادث وتغير الأحوال وكثرة الأحوال المتطلبة لتشريعات محددة، مما لا يتوافر مع الزوجة الواحدة.

وقد تناقصن تَدَرُّجاً بالوفاة في عصر الراشدين وما بعده، حتى اختفين عن الحياة فافتقدهن أهل المدينة.

وقد عاشر رسول الله ﷺ أفضل بناتٍ في أفضل البيوت وأطهرها، ومن أفضل الآباء على الإطلاق، في معرفتهن ومعرفة حياتهن معرفته للرحمة في تعامل الآباء، ومعرفة للتصديق والإيمان والعون لرسول الله ﷺ على أمر دينه ودنياه، وفي معرفة حياتهن معرفة لتعامل الرسول ﷺ مع أصهاره وذوي رحمه.

شاركن رسول الله ﷺ همَّ الدعوة ودافعن عنه، مررن بظروف مختلفة في الزواج، كان الرسول ﷺ طرفاً في أحداثها، فارقن الحياة كلهن في أيام رسول الله ﷺ عدا فاطمة. معرفتهن وحياتهن تساعد في معرفة محيطه ﷺ، أمهن خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وهن: زينب بنت رسول الله ﷺ الكبرى، نشأت في كنف الرسول ﷺ ربتها أمها خديجة (رضي الله عنها)، تزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة، كان تاجراً صادقاً، أسلمت أول البعثة، وتأخر إسلام زوجها، وكان له مواقف انتهت بإسلامه وهجرته، لها بنت صغيرة هي أُمامة يلاعبها ويحملها رسول الله ﷺ، توفيت زينب في السنة الثامنة للهجرة.

رقية، ثاني بنات رسول الله ﷺ، تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو من أوائل المسلمين، دافعت عن رسول الله ﷺ، نالها الأذى معه، هاجرت مع عثمان إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد ذلك، حيث توفيت في سن مبكرة في السنة الثانية للهجرة أثناء غزوة بدر، فكانت أول بناته وفاة بعد أمها.

أم كلثوم، ثالث بنات النبي ﷺ، هاجرت مبكرة بعد النبي ﷺ، تزوجت من عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية، عاشت معه ست سنوات، شاركت في أحداث السيرة في مكة والمدينة، وجلس ﷺ عند قبرها ودعا لها عند وفاتها. وأحداث وفاتهن (رضي الله عنهن) ذات تأثير في حياة الرسول ﷺ.

فاطمة، بنت النبي ﷺ الصغرى، أكثر بناته ذِكراً في الأمة، لأنها الوحيدة التي عاشت أشهراً بعد وفاة النبي ﷺ، عرفت بالزهراء وبنت أبيها، كانت تدافع عن رسول الله في مكة، وبحكم صغر سنها كانت تتابع النبي ﷺ أحياناً في انتقاله من مكان إلى آخر، واشتهرت بإزالة سِلى الجزور من فوق رأسه، حين وضعه بعض مجرمي قريش على رأسه وهو يصلي. قامت على خدمة الرسول ﷺ بعد وفاة خديجة وزواج أخواتها.

هاجرت مع بيت النبوة، وحين بلغت السن المناسب زوجها (رضي الله عنها) من ابن عمه وأقرب وأحب آل بيته إليه، علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فسكنا جوار حجرات رسول الله ﷺ ورزقا بالحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، عاشوا جميعا متأثرين

بحياة رسول الله ﷺ وسيرته في مواقف خاصة، كان يوجههما باستمرار إلى الزهد في الدنيا، لهما مواقف في غزوات كثيرة، منها أُحُد وغيرها، ولهما سيرة خاصة في حجة الوداع وغيرها، شهدا مرض النبي ﷺ ووفاته، كانا أكثر الناس حزناً لفقد رسول الله ﷺ.

بعد وفاة الرسول ﷺ صارا محل غلو لبعض المغرضين الذين قدسوهما وأخرجوهما وابنيهما أحياناً عن بشريتهما في خروج عن التوحيد وهو أصل الإسلام الذي دعا له النبي ﷺ.

أقرب الناس المحبين لرسول الله ﷺ من ذرية جده عبد المطلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بشره بالجنة، شبَّ في منزل رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الصبيان، شارك في أحداث السيرة قبل الهجرة وبعدها، نام في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة، وبعد الهجرة شارك في كل الغزوات بشجاعة وخصوصاً في بدر وخيبر وغيرهما، زوجه ﷺ من فاطمة وأسكنه قرب الرسول ﷺ، كان مشاركاً في أحداث السيرة بشكل شبه يومي. اشتهر بشجاعته الفذة في كل الغزوات، خلف النبي ﷺ في أهله أثناء غزوة تبوك، وحمّله رسالة البراءة في حج أبي بكر بالناس سنة ٩هـ، من أكثر الناس تأثيراً في أحداث الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، كان مساعداً لأبي بكر وعمر وعثمان في خلافتهم، وما شهدته من أحداث كبار، وامتداد للإسلام في كل مكان. وحين آلت الخلافة إليه، بعد الفتنة واستشهاد عثمان ابتلي

وأُوذي من قبل أهل الفتنة، فبقي صامدا زاهداً حتى استشهد ﵁.

ومع أنه دفن في مكان مجهول قرب الكوفة فقد فتن فيه كثير من الناس وغلوا حتى أوصله البعض إلى التأليه وجعلوا قبراً مزعوماً له وثناً يُعبد من دون الله.

وكان الحسن والحسين ابنا علي ﵄ أشهر الصغار في حياة الرسول ﷺ وسيرته، وهما سيدا شباب أهل الجنة، أفرحا الرسول ﷺ وسرَّاه في حياته، شاركا الأمة في الأحداث بعد وفاته، لهما مكانة خاصة في خلافة عمر، وكانا مع والدهما من أقرب الناس إليه.

واستمر الأمر كذلك في خلافة عثمان، حيث دافعا عنه عند حصاره، وشاركا والدهما المسؤولية بعد مبايعته، واعتزلا بعد استشهاده، وعاشا في المدينة يرعيان أمهات المؤمنين.

وكان الحسين أحد شهداء الإسلام العظام، استشهد دفاعاً عن ما يعتقده من حق الأمة في اختيار الخليفة، وفُتن فيه أناس وجعلوا جلد الذات وكره الناس عنواناً لطقوسهم باسم الحسين.

أبو بكر الصديق ﵁ أشهر أصحاب وأصهار المصطفى ﷺ. صحب رسول الله ﷺ في سن متقدمة حيث قاربه في السن، وعاشا شبابهما رفيقين في مكة، وكان بينهما ودٌّ، وخصال مشتركة، ومحبة متبادلة، صاحب تجارة وعلمٍ بالأنساب، أسلم

في الأيام الأولى من البعثة من دون تردد، عاش الدعوة مع رسول الله ﷺ من بداياتها الأولى، فلم يفارق رسول الله ﷺ طيلة حياته، وخلف رسول الله على دولة الإسلام عند وفاته.

كان الداعية الأول في الإسلام، أسلم على يديه معظم الصحابة الأوائل، نفع الله بماله رسول الله ﷺ وبقية المسلمين، نزلت فيه آيات مختلفة.

كان يصاحب الرسول ﷺ في عرض نفسه على القبائل، دافع عنه عند تعرضه للأذى.

صحبه في الهجرة وأعدّ لها، شاركه في مختلف غزواته، وكان أقرب الناس إليه في غزوة بدر وغيرها، كان المستشار الأول لرسول الله ﷺ، زاد التصاقه بالرسول في بيته بعد أن تزوج ﷺ من ابنته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها).

لم يتغيب عن حدث من أحداث السيرة.

خاطب الأمة عند وفاة الرسول، واحتوى الدهشة، وعقل في الأمر، اختاره المسلمون خليفة بعد رسول الله ﷺ، ولم يعارضه أحد.

حمل همّ الأمة واجتاز بها الأزمة، وقضى على الأعداء من المرتدين، وانطلق بالإسلام في العالمين، وصل بالإسلام العراق والشام، وفي فترة وجيزة لم يشهد لها العالم مثيلاً. توفي بعد سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام من خلافته، أدرك عالمية

الإسلام، وأن الرسول أدى الرسالة، وعلى المسلمين حملها حتى النهاية لكل أصقاع الأرض.

حيث عمل أكبر إنجاز عرفه التاريخ في الفتح والتمهيد لامتداده، كان تربية رسول الله ﷺ أعده لهذه الأيام، عاش حياة الرسول ﷺ وشارك في أحداثها، لا بُدَّ لكل قارئ للسيرة من معرفة هذه الشخصية المتأثرة والمؤثرة في كل مراحل حياة الرسول ﷺ.

ومن المعايشين للرسول ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صهر الرسول ﷺ وصاحبه، تأخر إسلامه قليلاً، إلا أن ذلك الإسلام عُد عزاً للإسلام وقوة، واستجابة لدعوة رسول الله ﷺ.

عُرف رضي الله عنه بشدته وشرّه على الإسلام وأهله قبل أن يدخل فيه، وُعرف بقوة نصره وثباته عليه بعد إسلامه، هاجر مبكراً إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ وشهد المشاهد معه، رباه رسول الله ﷺ وعلمه، شارك الرسول ﷺ في غزواته، مَثَّل جانب الشدة على الأعداء والمنافقين، أخبر الرسولُ بهيبة الشيطان له.

نزل القرآن موافقاً لرأيه في مواضع عدة، له مشاركات في معظم أحداث السيرة، شهد له الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من مرة، زادت صلته ببيت النبوة بعد زواج الرسول ﷺ من ابنته حفصة.

لشدة محبته لرسول الله ﷺ لم يصدق أنه مات، وهدّد كل

من قال ذلك، فلما تأكد له الأمر وقع على الأرض ولم تحمله قدماه.

كان له دور في بيعة أبي بكر الصديق وإيضاح المبررات الشرعية لهذه البيعة.

كان المستشار والعضد الأول لأبي بكر الصديق في خلافته، عينه الصديق للخلافة بعده، بعد أن شاور الناس في الأمر.

مارس صلاحياته، على ما رباه و أعده رسول الله ﷺ الذي أعد أصحابه رحمة للعالمين، فاستمر في ما رسمه رسول الله ﷺ لنشر الإسلام في العالم، فواصل الفتوح في العراق وفارس وأذربيجان ومصر وشمال أفريقيا، حيث إن معظم أقاليم العالم الإسلامي المعاصرة وصلها الإسلام في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان رجلاً إدارياً منظماً تبلورت بعض نظم الإسلام السياسية والإدارية في أيامه، كالخراج والدواوين ونظام الولايات والقضاء وغيرها، مما استقاه عمر من أصول الإسلام ونظمه الشرعية، والأنظمة العالمية المعاصرة له، وترك ثروة عظيمة في مجال السياسة والإدارة كتبت فيها مؤلفات كثيرة، إضافة إلى مواقفه الحكيمة وحرصه الشخصي على متابعة أحوال الرعية مع تواضعه، وقوة شخصيته وشدة محاسبته للأمراء والولاة. حكم قرابة اثنتي عشرة سنة ونصف السنة.

توفي شهيداً على يد المجرم أبي لؤلؤة المجوسي في محراب رسول الله ﷺ، وكان حريصاً على الشهادة في المدينة. كان موجهاً للأمة حتى بعد جرحه وقبيل وفاته. فكان شهيداً كما أخبر رسول الله ﷺ بذلك.

عثمان بن عفان رضي الله عنه التصق برسول الله ﷺ منذ بعثته، وكان شاباً عاقلاً، صاهر الرسول ﷺ مبكراً، حيث تزوج من رقية بنت رسول الله ﷺ، وهاجر معها إلى الحبشة ثم هاجرا سوياً إلى المدينة، وجاورا بيت رسول الله ﷺ في المدينة، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة في بعض أسفاره، شارك في أحداث كثيرة في السيرة، منها بيعة الرضوان في غزوة الحديبية، زوّجه الرسول ﷺ من ابنته أم كلثوم بعد وفاة رقية، فكان أول إنسان يتزوج بنتين لنبي، اشتهر بحيائه، شهد له الرسول بالجنة في أكثر من موضع، نفع المسلمين بماله في غزوة تبوك وغيرها، شارك في المسؤولية أثناء خلافة أبي بكر وعمر، بويع بشورى من المسلمين بعد أبي بكر رضي الله عنه، فاستمر في الفتوح وزاد انتشارُ الإسلام في أيامه، واستحدث نظماً جديدة، أول من اتخذ أساطيل بحرية إسلامية، قام بفتوح عدة في أيامه ونجح في تطبيق استراتيجية المد البحري، هدد القسطنطينية وممراتها البحرية أكثر من مرة.

يُعدّ جَمْعُه للقرآن في مصحف واحد وتوحيد الناس على نُسخه في الأمصار من أهم أعماله التي وحدت الأمة على كتاب

الله، تآمَرَ جماعة من المفتونين عليه، فقُتل في داره في المدينة شهيداً كما أخبره الرسول ﷺ.

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه من أهم المعاشرين لرسول الله ﷺ، من أعمامه، شبّ وترعرع مع الرسول في مكة وأحب كل منهما الآخر، امتاز بالفروسية والنجدة والحمية.

أسلم في بداية الأمر غيرةً لرسول الله ﷺ، فحسن إسلامه، هاجر إلى المدينة، وشارك في غزوة بدر، وكان من أشهر المبارزين فيها، استشهد في غزوة أُحُد، فحزن عليه رسول الله ﷺ وآل بيته، ولقبه بسيد الشهداء.

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ، شبيه له بخَلْقه وخُلقه، أسلم مبكراً، وهاجر إلى الحبشة، وكان ممثلاً للمسلمين فيها أمام النجاشي، مدافعاً عنهم، رجع من هجرته مع فتح خيبر فسُرّ به رسول الله ﷺ أيّما سرور، بعثه مع زيد بن حارثة في مؤتة فاستشهد هناك، وعُرف بذي الجناحين، حزن عليه رسول الله ﷺ، وتفقد أولاده بعده، وزوّج امرأته من أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ليقوم على رعاية أولاده وأهله.

ومن المعاشرين للرسول ﷺ عمته صفية بنت عبد المطلب، وهي زوجة العوام بن خويلد أخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، كما أنها أم الزبير بن العوام زوج أسماء بنت أبي بكر، ووالدة عبد الله بن الزبير، أسلمت مبكرة وهاجرت مع ابنها إلى

المدينة، من أوائل من ناداهم الرسول باسمها يوم دعوته على الصفا في مكة، شاركت المسلمين في أُحد والخندق وغيرهما، رثت النبي ﷺ عند موته، عاشت مُكرمة معززة بعد ذلك حتى وفاتها في خلافة عمر.

وممن عايش الرسول ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دافع عن الرسول ﷺ منذ بعثته، وحمل الأمر بعد وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ، شهد مع الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية مع الأنصار في وقت لم يظهر فيه إسلامه، أُسر مع المشركين في بدر، أظهر إسلامه يوم فتح مكة، شارك في غزوة حنين وانتقل مع أولاده للعيش في المدينة، حيث التصق برسول الله ﷺ السنوات الثلاث الأخيرة من عمره، صاحبه في ذلك أبناؤه، وكان محل إكرام من الرسول ﷺ وأصحابه، شارك مع أبنائه في غسل الرسول ﷺ، عاش مكرماً محترماً ذا مكانة خاصة في عصر أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) حيث توفي سنة ٣٢هـ.

اشتهر ابنه الفضل بأنه رديف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، شارك مع والده في تجهيز الجسد الشريف لرسول الله ﷺ.

وابنه عبد الله عُرف بحَبر الأمة، فهو أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم، كان من معلمي الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ، أثنى على علمه عدد من الصحابة، كان من المقربين من الخلفاء الراشدين، من أمراء علي رضي الله عنه ومناصريه، ومن أبناء العباس

عبيد الله، عُرف بالجواد، كان من أجود الناس، عاش مجاهداً في عصر الراشدين، وكان من أمراء علي ﵁.

وقُثم هو أصغر أبناء العباس، رضع مع الحسين بن علي (رضي الله عنهما) من أمه لُبابة بنت الحارث، كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث خالة لأبناء العباس، مما سهل دخولهم حجرات النبي ﷺ بعد انتقالهم للمدينة، حيث أخذوا مباشرة من خالتهم ومن النبي ﷺ، إضافة إلى كونهم من أبناء عم رسول الله ﷺ.

وأكثر الناس معاشرة لرسول الله ﷺ عُمْراً من ولادته حتى وفاته، هي حاضنته أم أيمن وهي امرأة حبشية كانت مولاة لوالده عبدالله ورثها بعد أبيه، رعت النبي ﷺ بعد وفاة أمه، وعايشته في مكة وشهدت زواجه، كان يعتبرها بمثابة الأم، اعتقها وزوجها من مولاه زيد بن حارثة، كانت من أوائل المسلمين، وهاجرت إلى المدينة مع زوجها زيد بن حارثة، كانت أكثر النساء التصاقاً ببنات النبي ﷺ وزوجاته، كان يأنس بها، وتتجرأ عليه أكثر من غيرها، أكرمها أبو بكر وعمر وبقية الصحابة لمحبة الرسول ﷺ لها وهي أم لأسامة بن زيد، توفيت في بداية خلافة عثمان.

وزيد بن حارثة ﵁ حِبُ رسول الله ﷺ ومولاه، اعتبره بمثابة الابن عطف عليه وأدبه، عاش في كنف رسول الله ورعايته، أسلم في أول دعوة الرسول ﷺ، أعتقه الرسول

وزوّجه من أم أيمن، عاشر الرسول ﷺ وعَرفه عن قرب من داخل بيته، دافع عنه في مكة، كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، شهد بدراً والمشاهد مع النبي ﷺ، وزوجه ﷺ من زينب بنت جحش ابنة عمته، فلما طلقها تزوجها الرسول ﷺ من بعده، وقد وردت قصة زواجها في القرآن الكريم، كان قائد المسلمين في مؤتة و بها استشهد.

كان الرسول ﷺ يحب ابنه أسامة، وينظف وجهه بنفسه في صغره، أدبه الرسول ﷺ، وكان يدخل داره كثيراً، ولشدة محبته حاولت قريش أن يشفع لهم في المرأة المخزومية حينما سَرقت.

ولاه الرسول ﷺ على جيش وجهه إلى الشام قبيل وفاته، فثبته أبو بكر على ذلك الجيش، واستعان به الراشدون كلهم وكان محل عنايتهم، اعتزل الفتنة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه.

أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أحد أبناء الأنصار، عينته أمه لخدمة رسول الله ﷺ، فنال هذا الشرف، فكان مع رسول الله ﷺ في داره في حضره وسفره، عامله الرسول أحسن معامله وأدبه ورباه ودعا له ورعاه، صار معلماً للناس بعد رسول الله ﷺ، انتقل إلى البصرة في خلافة عمر، كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ.

كثر ماله وولده وطال عمره ببركة دعاء الرسول ﷺ

ومعايشته له، من أطول الصحابة عمراً عاش في البصرة ومات بها.

سلمان الفارسي رضي الله عنه، رجل من فارس سُرق وبيع لأناس في المدينة، كان نصرانياً، تجول في العراق والشام، وعلم بقرب بعثة خاتم الأنبياء.

جاء للرسول ﷺ في المدينة وسمع منه وآمن به وصدقه ورافقه في كثير من الأحداث، وقال عنه ﷺ: ((سلمان منّا أهل البيت)). لذا يمكن إدراجه معهم بهذا النص ضمن من يتحدث عنهم من آل البيت المؤمنين. وقصة إسلامه مشهورة يستدل بها على معرفة النصارى بالنبي ﷺ وعلاماته وموطنه ودعوته، وهي قصة طويلة يتُحدث عنها ضمن سيرة النبي ﷺ. وقد تعلم سلمان من رسول الله ﷺ وأخذ عنه، وكان داعية للجيوش الفاتحة في فارس وخصوصاً في المدائن، حيث صار أميراً عليها بعد فتحها في خلافة عمر، وكأن الرسول ﷺ يعدّه لنقل رسالته إلى الفرس، وكان متواضعاً زاهداً من أكثر الناس محاسبة لعمر أثناء ولايته، توفي في المدائن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان رجلاً مباركاً على قومه من الفرس وقد وصلهم برسول الله ﷺ وبسنته.

عرفنا من خلال الكتاب أصحاب رسول الله ﷺ ومعايشوه، حيث كان جميع أصحاب النبي ﷺ مباركين على الأمة والإنسانية إلي يوم القيامة.

بشَّر به الأنبياء الأولون واتبعه صالحو بني آدم، خاتم الأنبياء والمرسلين أرحم العباد بالعباد، قادهم ﷺ لصراط الله المستقيم، فهو ﷺ إمام المتقين، تُقدم طاعته على طاعة سائر البشر إلى يوم القيامة.

سيرة رسول الله ﷺ مباركة، حياة نبي ومسيرة دولة ومجتمع وأمة، أحباب وأصحاب سلام وجهاد، عزة ورفعة في كل شيء رحمة وإحسان لكل حي وإنسان. في دراستنا استعراض لكل ما يمس شخص رسول ﷺ وما يلتصق به، معرفة للوحي ومناسباته والهدي وأوقاته، فهو لكل من يريد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً نوراً وهدى وبصيرة وقدوة حسنة. نسأل الله أن يحشرنا في زمرته، ويرزقنا شفاعته ﷺ، ويوردنا حوضه ولا يفتنا بعدة ﷺ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

أولاً، المصادر:

ـ ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات (ت،٦٠٦هـ).

● النهاية في غريب الأثر، تحقيق محمد الراوي ومحمود الطناحي ـ بيروت: المكتبة الإسلامية (د.ت).

ـ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ، ١٢٣٨م).

● الكامل في التاريخ ـ بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.

● أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت)

ـ ابن آدم، يحي القرشي (ت ٣٠٣).

● الخراج ـ بيروت: دار المعرفة (د. ت).

ـ الأزدي، محمد بن عبد الله (ت، ٢٣١هـ).

● تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر ـ القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.

ـ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).

● أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.

ـ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت، ١٥١ هـ).

● سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط٢ ـ قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية، ١٤٠١هـ.

ـ الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت، ٤٣٠هـ)

● دلائل النبوة ـ القاهرة: ١٣٩٧هـ.

ـ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

● حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

ـ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت، ٣٦٩ هـ).

● أخلاق النبي وآدابه، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، ط ١ ـ علم الكتب ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥م.

ـ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة.

● عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا ـ بيروت: مكتبة الحياة ١٩٦٥م.

ـ **الألوسي، محمود شكري.**

● بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط٢ ـ بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (د.ت).

ـ **ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد.**

● المصنف، تصحيح عبد الخالق الأفغاني ـ كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

● المغازي، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط ١ ـ الرياض: دار اشبيليا ١٤٢١هـ.

ـ **البخاري، الحافظ أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت،٢٥٦هـ).**

● صحيح البخاري، (الجامع الصحيح) ـ الرياض: دار اشبيليا ـ بيروت: دار الفكر ط١، ١٤١١هـ. (بالصفحات)

● الرياض، دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.

● الأدب المفرد ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.

ـ **برنابا**

● إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، تحقيق أحمد حجازي السقا ط١ ـ اربد الأردن: دار الأمل ٢٠٠٥هـ.

ـ **ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي.**

● جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر ـ القاهرة: مطبعة المدني ١٣٨١هـ.

ـ **البغدادي، لطف الدين عبد المؤمن بن عبد الحي (٧٣٩هـ).**

● مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ ـ القاهرة : دار إحياء الكتب العلمية ١٣٧٤هـ.

ـ **البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت،٤٨٧هـ).**

● معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا ـ بيروت : عالم الكتب (د. ت).

ـ **البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).**

● فتوح البلدان ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

● أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: ١٣٩٨هـ و١٤٠٠هـ.

ـ **البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).**

● دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

ـ **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سور. (ت ٢٧٩).**

● سنن الترمذي تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت : دار أحياء التراث العربي (د. ت).

● شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل ط١ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣هـ.

● مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر

الدين الألباني ـ عمّان الأردن : المكتبة الإسلامية ـ بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١هـ

● الجامع الصحيح (صحيح الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت : دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.

● أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط١ ـ بيروت : دار الجيل (د. ت)

ـ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ).

● النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ت).

ـ التميمي، سيف بن عمر الأسدي (ت، ١٨٠هـ).

● الردة والفتوح، تحقيق، قاسم السامرائي ـ الرياض : دار أمية ١٤١٨هـ.

ـ التيمي، إسماعيل بن محمد [قوام السنة] (ت، ٥٣٥ هـ).

● دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، ط١ ـ الرياض: دار طيبة ١٤٠٩هـ.

ـ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨ هـ).

● السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤ ـ بيروت : دار إحياء التراث العربي (د. ت).

● مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط٢ ـ القاهرة : مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.

● القرمانية ـ قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه ـ، تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود ـ الرياض: أضواء السلف ط١ ـ ١٤٢٢هـ.

● منهاج السنة ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

ـ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي.

● طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد ـ القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ١٩٥٥

ـ ابن جماعة، عز الدين.

● المختصر الصغير في سيرة رسول الله ﷺ، ط١ ـ القاهرة : عين للبحوث والدراسات ٢٠٠٥م.

ـ الجماعيلي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي.

● الدرة المضيئة في السيرة النبوية سيرة الرسول.

● كتاب الأموال.

ـ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).

● صفة الصفوة، ط٢ ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

● مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط ـ بيروت : دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

● المنتظم في أخبار الأمم ـ حيدر آباد : دار المعارف العثمانية ١٣٥٨هـ .

● تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ـ القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).

● رسائل ورسُل رسول الله ﷺ إلى الملوك والإشراف، تحقيق محمد عبد الرحيم ط١ ـ دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ.

● صفة الصفوة ـ بيروت : دار المعرفة ١٣٩٩ هـ.

● الوفا بأحوال المصطفى ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت)

ـ الحاكم أبي عبد الله النيسابوري.

● المستدرك على الصحيحين بذيله التلخيص للذهبي ـ القاهرة : مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠ .

ـ ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤).

● السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط١ ـ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

● كتاب المحبّر، تحقيق ايلزه ليختن شتيتر ـ بيروت : دار الآفاق (د. ت).

ـ ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت، ٧٧٩هـ)

● المقتفى من سيرة المصطفى، تحقيق مصطفى الذهبي ـ القاهرة : دار الحديث ١٤١٦هـ.

ـ ابن حبيب، أبو مروان عبد الملك السلمي (ت، ٢٢٨هـ).

● تاريخ عبد الملك بن حبيب، مخطوط مصور على ميكروفيلم ـ ألمانيا : معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، تحت رقم ٩٦٥.

ـ ابن حبيب، محمد البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

● كتاب المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد عالم ـ حيدر آباد : الهند.

ـ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

● الإصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

● فتح الباري «شرح صحيح البخاري»، مراجعة عبد الرؤوف سعد وآخرين ـ القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

● تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد الهند، دائرة المعارف ١٣٢٥هـ.

● تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢ ـ بيروت : دار المعرفة ١٣٩٥هـ.

ـ ابن أبي حديدة، محمد بن علي بن أحمد الأنصاري (ت٧٨٣هـ.)

● المصباح المُضي في كُتاب النبي الأمي ورُسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تعليق أحمد فريد المزيدي ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.

ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ).

● جمهرة انساب العرب، راجعه لجنة من العلماء، ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

● حجة الوداع، تحقيق عبد الحق التركماني ـ بيروت : دار ابن حزم ١٤٢٩هـ.

● جوامع السيرة النبوية ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

ـ **الحلبي، علي بن برهان الدين (ت ٩٧٥هـ)** .

● السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، (إنسان العيون) ـ بيروت : دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

ـ **حماد بن إسحاق القاضي (ت ٢٦٧ هـ)** .

● تركة النبي ﷺ والسبل والتي وجهها فيها، تحقيق ودراسة أكرم ضياء العُمري، ط١ ـ المدينة المنورة : ١٤٠٤هـ .

ـ **الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله** .

● معجم البلدان ـ بيروت: دار الكتاب العربي (د. ت).

ـ **الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت، ٩٠٠هـ)** .

● الروض المعطار في خبر الأقطار،ط٢ ـ بيروت : مكتبة لبنان ١٩٨٤م.

ـ **ابن حنبل، الإمام أبي عبد الله أحمد (ت، ٢٤١هـ)** .

● مسند الإمام أحمد ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٨هـ.

● فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ط١ ـ بيروت : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

ـ **الخزاعي، أبو الحسن على بن محمد التلمسانى** .

● تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من

الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، ط١ ـ القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠١هـ.

ـ **الخُشني، أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود (ت، ٦٠٤ هـ.)**

● شرح السيرة النبوية، تحقيق بولس برونله. ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

ـ **الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي.**

● تاريخ بغداد ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

ـ **الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت، ١٠٦٩ هـ)**

● نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ـ بيروت : دار الكتب العملية ٢٠٠١ م.

ـ **الخلاف، أبو بكر بن محمد بن هارون.**

● الحث على التجارة و الصناعة والعمل، ط١ ـ الرياض : دار العاصمة ١٤٠٧.

ـ **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت، ٨٠٨هـ).**

● المقدمة ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٨م.

● تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر) وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ بيروت : مؤسسة الأعلمي ١٣٩١هـ.

ـ **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ).**

● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت : دار صادر (د. ت).

ـ **خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).**

● تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

ـ **الخيضري، محمد بن محمد بن عبدالله.**

● اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، تحقيق محمد الأمين الجكني ط١ ـ المدينة المنورة وبريده : دار البخاري ١٤١٥هـ.

ـ **الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).**

● سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د. م) و(د. ت).

ـ **أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.**

● سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط١ ـ حمص : دار الحديث ١٣٩١هـ.

ـ **الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت، ٣١٠ هـ).**

● الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط١ ـ الكويت : الدار السلفية ١٤٠٧هـ.

ـ **ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت، ٩٤٤ هـ).**

● حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق عبدالله الأنصاري ط٢ ـ مكة المكرمة : المكتبة المكية ١٤١٣هـ.

ـ الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ـ٢٨٢).

● الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عمار، مراجعة جمال الدين الشيال ـ بغداد : مكتبة المثنى (د. ت).

ـ الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).

● تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الراشدين)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

● سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.

● السيرة النبوية، تحقيق، حسام الدين القدسي ـ (بيروت): دار ومكتبة الهلال.

ـ ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت، ٧٩٥ هـ).

● مجالس في سيرة النبي، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأناؤوط ط١ ـ دمشق : دار ابن كثير ١٤٠٨هـ.

● الاستخراج في أحكام الخراج ـ بيروت : دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

ـ ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين (ت، ٧١٠هـ).

● الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد الخاروف، ط١ ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ.

- **ابن زبالة، محمد الحسن (ت ١٩٩هـ).**

● منتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق د. أكرم العمري ط١ ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ١٩٨١م.

- **الزبيدي، أبو الفضل محمد مرتضى.**

● تاج العروس من جواهر القاموس، ط١ ـ القاهرة: المكتبة الخيرية ١٣٠٦هـ.

- **ابن الزبير، عروة بن الزبير بن العوام (ت، ٩٣هـ).**

● مغازي رسول الله ﷺ (أول سيرة في الاسلام) جمع سلوى مرسي الطاهر ط١ ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٥.

- **الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن المصعب (١٥٦ـ ٢٣٦هـ).**

● نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٣ ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

- **الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن عوام الأسدي القرشي (ت، ٢٥٦هـ).**

● الأخبار الموفقيات.

- **ابن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس.**

● سيرة النبي ﷺ المختصرة تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، ط١ ـ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٩هـ.

- **الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢ هـ).**

● شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ـ بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

- **ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الأذري (ت. ٢٥١هـ).**

● الأموال، تحقيق شاكر ديب فياض، ط١ ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ١٤٠٦هـ.

- **الزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب (ت، ١٢٤هـ).**

● مرويات الإمام الزهري في المغازي النبوية، جمع محمد بن محمد عواجي، ط١ ـ المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.

- **السخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت، ٩٠٢).**

● القول التام في فضل الرمي بالسهام ـ المدينة المنورة: مخطوط مصور مكروفيلم بالجامعة الإسلامية رقم ١٧٤١

- **ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠ هـ).**

● السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

● سنن النبي ﷺ وأيامه، استخرجه ورتبه، عبد السلام محمد عمر علوش ط١ ـ المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

● الطبقات الكبرى ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

- **ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت، ٢٢٤هـ).**

● الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢ - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.

- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ).**

● الأنساب، تحقيق عبد الرحمن يحي المعلمي، ط١ - بيروت: نشر محمد أمين دمج ١٤٠٠هـ.

- **السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (٩١١هـ).**

● وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣ - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

- **السهروردي، أبو الحسن محمد البغدادي.**

● تحرير الأحكام في السياسة - اسطنبول: مخطوط في مكتبة السليمانية رقم ٢٨٥٢.

- **السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت٥٨١هـ).**

● الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبد الرؤوف سعد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

- **ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ).**

● عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢ - دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

ـ ابن سيد الناس، أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت، ٦٧١هـ).

● عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

● الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

● الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة، تحقيق محمد السعيد بسيوني ـ بيروت : دار الكتب العلمية.

● مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي ـ الهند : الدار السلفية ١٤٠٣هـ.

● حُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ط١ ـ القاهرة : دار إحياء الكتب العلمية ١٣٨٧هـ.

● تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط٣ ـ القاهرة : مكتبة المدني ١٣٨٣هـ.

ـ ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).

● تاريخ المدينة،تحقيق فهيم شلتوت ـ المدينة المنورة : نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.

ـ الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

● سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد،تحقيق مصطفي عبدالواحد وآخرون ـ القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ.ـ ١٣٩٩هـ.

● أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١ ـ دمشق : دار ابن كثير ١٤١٣هـ.

ـ الطبراني. أبو القاسم سليمان بن أحمد.

● المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط١ ـ الرياض : دار الحرمين ١٤١٥هـ.

ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

● السيرة النبوية تحقيق، جمال بدران ط ١، ١٤١٤هـ.ـ ١٩٩٤ م ـ الدار المصرية اللبنانية.

● تفسير الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ

● تاريخ الأمم والملوك ـ بيروت : دار الفكر (د. ت).

ـ ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي (ت، ٩٥٣ هـ).

● إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ضمن كتاب المصباح المضي في كتاب النبي لابن أبي حديدة، تعليق أحمد فريد المزيدي، ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.

ـ العباسي، أحمد بن عبد الحميد.

● عمدة الأخبار في مدينة المختار، ضبط محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر ط٤ ـ المدينة المنورة : المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (د. ت) .

ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).

● الدرر في اختصار المغازي والسير ـ مكة المكرمة : دار الباز للنشر والتوزيع، (د. ت).

● الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (حاشية على الإصابة) ـ القاهرة : ١٣٢٨هـ.

ـ **ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت، ٢٥٧هـ).**

● فتوح مصر وأخبارها ـ لايدن : ١٩٢٠م

ـ **عبد الرزاق، أبي بكر عبد الرزاق بن همام.**

● مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط٢ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ.

ـ **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ).**

● تاريخ دمشق، صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق مكملة من القاهرة واسطنبول ـ المدينة المنورة : صورة أولى مكتبة الدار ١٤٠٧هـ.

● تاريخ دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي، ط١ ـ دمشق : المجمع العلمي ١٩٨٢م.

ـ **ابن عبد البر، يوسف النمري (ت، ٤٦٣هـ).**

● الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف ط٣ ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٩١م.

ـ **ابن عبد الوهاب، محمد (ت، ١٢٠٦هـ).**

● مختصر سيرة الرسول ـ بيروت : دار العربية للطباعة والنشر (د. ت).

ـ **العصامي، عبد الملك بن حسن المكي (ت ١١١١هـ).**

● سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ١٣٨٠هـ.

ـ **ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت، ١٠٨٩هـ)**.

● شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢ ـ دار المسيرة ١٣٩٩هـ.

ـ **ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا**.

● أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ومعانيها ـ الرياض: عالم الكتب ١٤٠٨هـ.

ـ **الفاكهي، أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩هـ. تقريبًا)**.

● أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١ ـ مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة ١٤٠٧هـ.

ـ **الفريابي، جعفر بن محمد (ت، ٣٠١ هـ)**.

● دلائل النبوة، ومعه المستخرج على دلائل النبوة

ـ **ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد فهد (٨١٢ ـ ٨٨٥هـ)**.

● إتحاف الورى بأخبار أم القرى،تحقيق فهيم شلتوت، ط١ ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.

ـ **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٦هـ)**.

● القاموس المحيط، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة مصطفي البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

● سفر السعادة، تحقيق أحمد السايح وعمر حمزة، ط١ ـ القاهرة: مركز الكتاب ١٤١٧هـ.

- **القاري، علي بن سلطان الملا علي.**

● شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا، تحقيق عبد الله محمد خليلي ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ).**

● المعارف، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي، ط٢ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩٠هـ.

- **القرطبي، عبد الله بن محمد بن فرج المالكي.**

● أقضية رسول الله ﷺ ـ الدوحة: مطابع قطر الوطنية (د. ت).

- **القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح.**

● الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.

- **القسطلاني، أحمد بن محمد (ت، ٩٢٣ هـ).**

● المواهب اللدنية، تحقيق مأمون محيي الدين الجنان، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ.

- **القسطيني، أبي العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ (ت٨١٠هـ).**

● ط١ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

- **القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي (ت، ٨٢١هـ).**

● صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ت).

- **القلقشندي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت، ٨٦٧هـ).**

● الإسراء والمعراج ـ القاهرة : ١٣٥٧هـ.

- **ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١ هـ).**

● جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام تحقيق عبد القادر وشعيب الأرنؤوط ط٢ ـ الرياض : مكتبة المؤيد .

● زاد المعاد في هدي خير العباد ـ بيروت : المكتبة العلمية (د. ت).

● أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ بيروت : دار الفكر العربي (د. ت).

● الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

● الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق وآخرون ـ الرياض : مكتبة الرياض الحديثة (د. ت).

- **ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).**

● حجة الوداع، تحقيق، خالد أبو صالح، ط١ ـ الرياض: دار الوطن ١٤١٦هـ.ـ ١٩٩٦م

● السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ بيروت : دار المعرفة ١٣٩٦هـ.

● الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، ط١ ـ دمشق : مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩هـ.

● تفسير القرآن العظيم، ط٢ ـ الرياض: دار كنوز اشبيليا ١٤٣٠هـ.

● البداية والنهاية، ط٣ ـ بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

ـ **ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ).**

● سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة: ١٣٧٣هـ.

ـ **مالك بن أنس، الإمام (ت، ١٧٩هـ).**

● الموطأ، مراجعة فاروق سعد، ط٨ ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.

ـ **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠ هـ).**

● أعلام النبوة ـ بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

● الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.

ـ **ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت، ٢٠٩هـ).**

● أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق يوسف علي بديوي ـ بيروت: مكتبة التربية ١٤١٠هـ.

● المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت، ٦٩٤هـ).

● الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة الخانجي ١٣٧٢هـ.

ـ **المزي، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ).**

● تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، ط١ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.

ـ **مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).**

● الجامع الصحيح ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة (د. ت).

● ذات الأرقام

ـ **المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي الحنبلي (ت٦٠٠هـ).**

● الدرة المضيئة في السيرة النبوية «سيرة النبي وأصحابه العشرة»، حققه خالد عبد الرحمن بن حمد الشايع، ط٢ ـ دار بلنسية ١٤٢١هـ.

● مختصر منهاج القاصدين ـ بيروت: ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥هـ.

ـ **المقريزي، أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ).**

● المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (القول الإبريزي) ـ القاهرة : مطبعة التوفيق ١٨٩٨م .

● إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، حققه، محمود محمد شاكر ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ـ **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).**

● لسان العرب ـ بيروت : دار صادر (د. ت).

ـ **الموسوي، محمد بن عبد الله الحسيني الشهير ب ـ (كبريت).**

● رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد طنطاوي ط٢ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٨٥هـ .

ـ **ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود.**

● أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال، ط٣ ـ مكة المكرمة : دار الثقافة ١٤٠١هـ.

ـ **ابن النديم، أبو الفرج يعقوب بن اسحق المعروف بالوراق (ت، ٣٨٠هـ).**

● الفهرست ـ بيروت : مكتبة خياط (د. ت) .

ـ **النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ـ٣٠٣هـ).**

● كتاب الوفاة، وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح ط١ ـ الشارقة : دار الفتح ١٤١٥هـ.

● سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

ـ **ابن النفيس، علي علاء الدين بن أبي الحزم القرشي .**

● الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، تحقيق عبد المنعم عامر وأحمد هريدي ـ القاهرة : وزارة الأوقاف المصرية ١٤٠٨هـ .

ـ **النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦ هـ).**

● شرح صحيح مسلم، إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير، ط٣ ـ دمشق : دار الخير ١٤١٦هـ.

ـ **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ـ٧٣٣هـ).**

● نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.

ـ **ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).**

● السيرة النبوية. حققها، مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبي ـ القاهرة: دار الكنوز الأدبية، (د.ت).

ـ **الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد (ت، ٤١٥ هـ).**

● تثبيت دلائل النبوة ـ شبرا القاهرة : دار المصطفى ٢٠٠٦م.

ـ **الهيثمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت، ٩٧٤هـ).**

● أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، تحقيق أبي الفوارس أحمد ابن فريد المزيدي، ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.

ـ **الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر.**

● مجمع الزوائد و منبع الفوائد ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

ـ **الواحدي النيسابوري، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد.**

● أسباب النزول، تحقيق كمال بيسوني علي ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

ـ **الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).**

● المغازي، تحقيق مارسدن جونس ـ بيروت : عالم الكتب (د. ت).

ـ **اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت، ٥٤٤هـ).**

● الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت) .

ـ **اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).**

● تاريخ اليعقوبي ـ بيروت : دار صادر ١٣٧٩هـ.

ـ **أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).**

● الأحكام السلطانية،تحقيق محمد حامد الفقي، ط٣ ـ بيروت : دار الفكر ١٣٩٤هـ.

ـ **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).**

● كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ ـ القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

ثانياً : المراجع

ـ **إبراهيم، محمد إبراهيم محمد.**

● الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ ط١ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

ـ **ابن إدريس، عبد الله بن عبد العزيز.**

● مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ـ الرياض : جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ.

ـ **إسحاق، رشيد محمد هارون.**

● صحيفة المدينة، رسالة ماجستير ـ الرياض: جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ.

ـ **أبو إسحاق، رفائيل.**

● تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا ـ بغداد : ١٩٧٦م.

ـ **أحمد، إبراهيم خليل .**

● محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ـ الكويت : دار المنار ١٤٠٩هـ.

ـ **الأسطل، علي رضوان.**

● الوفود في العهد المكي، وأثرها الإعلامي ط١ ـ الزرقاء الأردن : مكتبة المنار ١٤٠٤هـ .

ـ **أرشيبالد، ر. لويس.**

● القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة شفيق غربال ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م.

ـ **آرمسترنج، كارين.**

● سيرة النبي محمد، ترجمة، د. فاطمة نصر د. محمد عنانى، ط٢ ـ (القاهرة): شركة سطور ١٩٩٧م.

ـ **ارنولد، سير توماس .**

● الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ـ القاهرة : ١٩٧٠م.

ـ **الأعظمي، محمد مصطفى.**

● كُتَّاب النبي، ط١ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ.

ـ **الآغا، مسعود يحيى.**

● الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي ط ٢ ـ السعودية الرياض : الجمعية التاريخية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

ـ **الأفغاني، سعيد.**

● أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣ ـ بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.

● عائشة والسياسة ط٢ ـ دمشق: المكتبة الهاشمية ١٩٥٧م.

ـ **الألمعي، زاهر بن عواض.**

● مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش دراسة تحليلية، ط٤ ـ الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٣هـ.

ـ **الألوسي، محمود شكري.**

● بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مراجعة محمد بهجة الأثري، ط٢ ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت).

ـ **الأنصاري، إسماعيل.**

● الإسراء والمعراج من تفسير ابن كثير. (تجريد وترتيب وتعليق) ـ الرياض : دار الصميعي ١٤٢٨هـ.

ـ **الأنصاري، عبد القدوس.**

● طريق الهجرة النبوية ط١ ـ جدة : مطابع الروضة ١٣٩٨م.

ـ الأنصاري، ناجي محمد حسن.

● عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ط١ ـ المدينة المنورة : النادي الأدبي ١٤١٦هـ.

ـ أنيس، د. إبراهيم، وآخرون.

● المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة ـ اسطنبول: المكتبة الإسلامية (د. ت).

ـ بارتولد، فاسيلي فلاديمير.

● تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط٤ ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٦٦م.

ـ باشميل، محمد أحمد.

● غزوة بدر الكبرى ـ بيروت : دار الفكر ١٩٧٤م.

● غزوة أحد. من معارك الإسلام الفاصلة تقديم محمود شيت خطاب ط٢ ـ القاهرة : المطبعة السلفية ١٤٠٥هـ.

● غزوة الأحزاب ـ بيروت : دار الفكر ١٩٨٧م.

● غزوة بني قريظة ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر: بيروت ١٩٧٦م .

● صلح الحديبية. تقديم عبدالله التل ـ بيروت : دار الفكر ١٩٨٣م.

● غزوة خيبر ط٣ ـ بيروت: دار الفكر ١٣٩١هـ.

● غزوة مؤتة ـ بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.

● فتح مكة ـ بيروت : دار الفكر ١٣٩٤هـ.

● العرب في الشام قبل الإسلام، ط١ ـ بيروت : دار الفكر ١٣٩٣هـ.

● غزوة حنين، ط١ ـ بيروت : دار الفكر ١٩٨٣م.

● غزوة تبوك ـ بيروت : دار الفكر ١٩٧٨م.

ـ **باقادر، عبد الله بن أحمد.**

● الكفاءات الإدارية في السياسة الشرعية ـ جدة : دار المجتمع ١٤٠٦هـ.

ـ **باقشيش، محمد.**

● مغازي موسى بن عقبة. (١٤١هـ) ـ أغادير المغرب : جامعة ابن زهر ١٩٩٤م.

ـ **الباكري، حسين بن أحمد.**

● مرويات غزوة أُحُد. جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدراسات العليا شعبة السنة الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ١٣٩٩هـ. ١٤٠٠هـ.

ـ **بامدحج، محمد بن عيظة بن سعيد.**

● غزوة أحد دارسة دعوية، ط١ ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤٢٠هـ.ـ ١٩٩٩م.

ـ **باوزير، أحمد محمد العليمي.**

● مرويات غزوة بدر ط١ ـ مكتبة طيبة ١٤٠٠هـ.ـ ١٩٨٠م.

ـ **بدران، عبد القادر (ت، ١٣٤٦هـ).**

● تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر، ط٢ ـ بيروت : دار الفكر ١٣٩٩هـ.

ـ **بردويل، فرنان.**

● البحر المتوسط في المجال والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام ـ دمشق : وزارة الثقافة السورية ١٩٩٠م.

ـ **البستاني، بطرس.**

● معارك العرب في الشرق والغرب ـ بيروت: دار مارون عبود ١٩٨٧م.

ـ **البستي، أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي.**

● السيرة النبوية وأخبار الخلفاء صححه وعلّق عليه، الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء ط ١ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ **بفانموللر، جوستاف.**

● سيرة النبي في تصورات الغربيين، ترجمة محمود حمدي قنديل، ط١ ـ البحرين : مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـ.

ـ **أبو بكر، علي الشيخ أحمد.**

● معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، ط١ ـ الرياض : مكتبة الثرية ١٤١٣هـ.

ـ **بل، آيدرس هـ.**

● مصر من الاسكندر حتى الفتح العربي دراسة، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي ـ القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٨م.

ـ **البلادي، عاتق بن غيث.**

● على طريق الهجرة، رحلات في قلب الحجاز ـ مكة : دار مكة ١٣٩٨م.

• معالم مكة التاريخية والأثرية، ط٢ ـ مكة : دار مكة.

• معجم قبائل الحجاز ـ مكة المكرمة : دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ.

• معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١ ـ دار مكة ١٤٠٢هـ.

• أودية مكة المكرمة، ط١ ـ دار مكة : ١٤٠٥هـ.

ـ **البوطي، محمد سعيد رمضان.**

• فقه السيرة ـ دمشق : دار الفكر ٢٠٠٨م.

ـ **البيتي، عبد العزيز بن عمر.**

• الإدارة الدستورية في عهد النبوة ـ المدينة : الجامعة الإسلامية ١٤١٦هـ.

ـ **بيغولو فيسكيا.**

• العرب على حدود بيزنطة و إيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ـ الكويت: المجلس الوطني للفنون والآداب ١٤٠٥هـ.

ـ **بينز، نورمان.**

• الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ـ القاهرة : ١٩٥٠م.

ـ **التركي، عبدالله عبد المحسن.**

• الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ط١ ـ الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

ـ **الترمانيني، عبد السلام.**

● أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول (أهم أحداث التاريخ الإسلامي) ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

ـ **التلمساني، عمر.**

● شهيد المحراب ـ القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

ـ **التميمي، محمد بن خليفة بن علي.**

● حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة ـ الرياض: أضواء السلف ١٤١١هـ.

ـ **الثعالبي، عبد العزيز.**

● محاضرات في تاريخ الأديان ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م.

● معجزة محمد رسول الله، مراجعة محمد اليعلاوي ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٩م.

ـ **جاد، محمد عبد السميع.**

● الوفود في العهد النبوي وأثرها في الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدعوة بكلية أصول الدين بالأزهر ـ القاهرة: ١٩٧٤م.

ـ **جاد، أحمد.**

● وفاة الحبيب وما كان في الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ ـ القاهرة: دار الغد ٢٠٠٣م.

ـ **الجبري، عبد المتعال محمد .**

● السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ـ القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٩م.

ـ **جريس، غيثان بن علي.**

● افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية ـ نادي أبها الأدبي ١٤١٣هـ.

ـ **الجزائري، أبو بكر.**

● هذا الحبيب يا محب ـ المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ٢٠٠١م.

● منهاج المسلم ـ الرياض : دار السلام ١٤٢٣هـ.

ـ **الجعوان، محمد بن ناصر بن عبد الرحمن.**

● فتح مكة وآثارها التشريعية في الفقه الإسلامي ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية (د. ت).

ـ **جمجوم، سميرة محمد عمر .**

● المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم ـ جدة : دار المجتمع ١٩٨٧م.

ـ **جمعة، أحمد خليل.**

● نساء أهل البيت، ط٢ ـ دمشق : دار اليمامة ١٩٩٦م .

ـ **الجمل، إبراهيم محمد حسن.**

● زوجات النبي ﷺ و أسرار الحكمة في تعددهن ـ القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٣م.

ـ **الجمل، أحمد عبد الغني النجولي.**

● هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة ـ المنصورة : دار الوفاء ١٤٠٩هـ.

ـ **الجميل، محمد بن فارس.**

● النبي ﷺ ويهود المدينة ط١ ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ٢٠٠٢م.

● رحلة الرسول إلى الشام ومقابلة بحيرا الراهب ـ بحث غير منشور (في حينه).

ـ **الجويني، مصطفى الصاوي.**

● معارف من السيرة النبوية ـ الإسكندرية : منشأة المعارف ١٤٠٨هـ.

ـ **حافظ، عبد السلام هاشم.**

● سيرة نبي الهدى والرحمة ـ مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٢هـ.

ـ **الحجيلي، عبدالله بن محمد.**

● الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام، دراسة فقهية تاريخية وثائقية أعمال ندوة المكتبات الوقفية ـ المدينة المنورة : ١٩٩٩م.

ـ **الحداد، أحمد عبد العزيز بن قاسم.**

● أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ـ بيروت: ط٢ ـ دار الغرب الإسلامي، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

- **الحديثي، نزار عبد اللطيف .**

● الأمة والدولة في سياسة النبي والخلفاء الراشدين ـ بغداد : دار الحرية ١٩٨٧م.

● أبو بكر الصديق، بالاشتراك مع خالد الجنابي، ط١ ـ العراق : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٩م .

- **الحربي، علي بن جابر.**

● منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ط١ ـ القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٦هـ .

- **الحربي، محمد بن أحمد بن ناصر .**

● اقرأ باسم ربك، ط١ ـ جازان: نادي جازان الأدبي ١٤٢٣هـ.

- **حركات، إبراهيم.**

● السياسة والمجتمع في العصر النبوي ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٩٩٠م .

- **الحسيني، محمود أبو الفيض المنوفي.**

● سيرة سيد المرسلين صاحب الشريعة ورسول الله محمد ـ القاهرة : دار نهضة مصر ١٩٧١م .

- **حسيني، مولوي س. أ. ق.**

● الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي، مراجعة، عبد العزيز عبد الخالق ـ القاهرة: مكتبة القاهرة (د. ت).

- **الحليسي، نواف بن صالح.**

● رحلة الشتاء والصيف، ط (د.م)١ ، ١٤١٤هـ.

● حماده، فاروق.
● مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط١ ـ بيروت : دار القلم ١٤٢٥هـ.
● الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع ـ بيروت : دار القلم ١٤٢٣هـ.
● خطبة الفتح الأعظم «فتح مكة المكرمة» ـ مكة : دار الثقافة ١٩٨٣م.
● العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ط١ ـ دمشق : دار الفكر ١٤٢٦هـ.
● مراجع مختارة عن حياة الرسول ﷺ ـ الرياض : دار العلوم ١٩٨٢م.

ـ **الحمد، محمد بن إبراهيم.**
● الحوار في السيرة النبوية ـ الكويت : وزارة الأوقاف ١٤٢٩هـ.

ـ **حمدان، نذير.**
● الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢ ـ جدة : دار المنارة ١٤٠٦هـ.

ـ **حمدي، مجدي.**
● أبو بكر الصديق رجل الدولة ط١ ـ الرياض : دار طيبة ١٤١٥هـ.

ـ **حميد الله، محمد.**
● مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٤ ـ بيروت : دار النفائس ١٤٠٣هـ.

ـ **ابن حميد، صالح بن عبدالله وعبد الرحمن بن ملوح ـ إشراف ـ، مع مجموعة من المختصين.**

● نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ط٢ ـ جدة : دار الوسيلة ١٤٣١هـ.

ـ **خاطر، خليل إبراهيم ملا.**

● محبة النبي ﷺ بين الإنسان و الجماد ـ حلب: دار القلم العربي ١٤١٨هـ.

ـ **الخالدي، عبدالله بن صالح وعبد اللطيف بن محمد الحسن.**

● محبة النبي ﷺ وتعظيمه ط١ ـ الرياض : دار البيان ١٤٢٦هـ.

ـ **الخراشي، عبدالله.**

● النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي، رسالة دكتوراه كلية الآداب ـ الرياض : جامعة الملك سعود ١٤١٨هـ .

ـ **الخشاب، يحيى.**

● التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ـ القاهرة : جامعة الدول العربية ١٩٦٩م.

● تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام ـ القاهرة : (د.ت).

ـ **خطاب، محمود شيت.**

● غزوة بدر الكبرى، ط١ ـ دمشق: دار قتيبة ١٩٩٠م.

● الوسيط في رسالة المسجد في الإسلام ـ بيروت: دار القرآن ١٤٠١هـ.

● السفارات النبوية ـ بغداد : المجمع العلمي ١٩٨٦م.
● المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، ط١ ـ بيروت : دار الفتح ١٣٨٦م.
● الرسول القائد ط ٢ ـ القاهرة: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ١٩٦٠م.
● دروس عسكرية من السيرة النبوية، ط٦ ـ بيروت : دار الفكر ٢٠٠٢م.

ـ **الخطراوي، محمد العيد.**

● المدينة في العصر الجاهلي، الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ـ جدة: مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ.

ـ **الخطيب، عبد الكريم.**

● النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء ـ بيروت : دار المعرفة ١٩٧٥م.

ـ **الخطيب، علي أحمد.**

● عمر بن الخطاب، حياته علمه وأدبه. ـ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٦هـ.
● التفسير الإعلامي للسيرة النبوية ـ بيروت : دار الجيل ١٩٩٢م.

ـ **أبو خليل، شوقي.**

● الهجرة حدث غير مجرى التاريخ ـ بيروت : دار الفكر ١٩٨٠م.
● غزوة مؤتة ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٢م.

● غزوة الخندق ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٢م.

● غزوة أحد ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٢م.

● بدر الكبرى ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٢م.

● غزوة تبوك ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٢م.

● أطلس السيرة النبوية ـ دمشق : دار الفكر ١٤٢٣هـ.

● صلح الحديبية ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٣م.

● غزوة خيبر ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٣م.

● فتح مكة ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٣م.

● حنين والطائف ـ دمشق : دار الفكر ١٩٨٣م.

ـ **خليل، عماد الدين.**

● دراسة في السيرة، ط١٥ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

● المستشرقون والسيرة ـ الدوحة : دار الثقافة ١٤١٠هـ.

ـ **الخميس، عثمان محمد.**

● أحاديث بشأن السبطين ـ الرياض : دار الآل و الأصحاب.

● كنوز السيرة ط ٢ ـ (الكويت) : غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

ـ **بن خميس، عبد الله.**

● معجم اليمامة، ط٢ ـ الرياض : دار اليمامة ١٤٠٠هـ.

ـ **الخولي، محمد عبد العزيز.**

● الأدب النبوي، ط١ ـ بيروت : دار القلم ١٤٠٦هـ.

ـ **الخياري، أحمد ياسين الخياري.**

● تاريخ ومعالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، تحقيق عبيد الله كردي، ط ١ ـ المدينة المنورة : النادي الأدبي ١٤١٠هـ.

ـ **خياط، عبد الله.**

● حِكم وأَحكام من السيرة النبوية ـ الرياض : دار الرفاعي ١٩٨١م.

ـ **أبو داهش، د. عبد الله بن محمد.**

● شعراء حول الرسول ﷺ، ط١ ـ الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ **داود، عبد الأحد.**

● محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة حمد فهد الزين ط١ ـ الرياض : مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ.

ـ **الدرع، محمد خير.**

● نبي الإسلام شخصيته حياته رسالته، ط١ ـ دمشق : دار الفكر ٢٠٠٢م.

ـ **دروزة، محمد عزة.**

● سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم ـ بيروت : المكتبة العصرية (د. ت).

● عصر النبي وبيئته قبل البعثة، ط٢ ـ بيروت : دار اليقظة، ١٣٨٤هـ.

- **درمنغم إميل.**
- حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢ ـ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩م .

- **الدملوجي، فاروق.**
- تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة ـ بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

- **الدمنهوري، عادل عبد الغفور عبد الغني.**
- مرويات السيرة النبوية في العهد المكي إلى نهاية حديث الإسراء والمعراج، رسالة ماجستير ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٤٠٩هـ.
- مرويات عروة بن الزبير في السير و المغازي جمع ودراسة، رسالة دكتوراه. ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ.

- **الدمياطي، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف .**
- السيرة النبوية، تحقيق أسعد محمد الطيب ـ حلب : دار الصابوني ١٤١٦هـ.

- **الدميري، مصطفى.**
- العلاقات العامة في عصر النبوة ـ مكة المكرمة : مكتبة المنارة ١٩٨٨م.

- **بن دهيش، منيرة عبد الملك.**
- دور المسجد في القرن الأول الهجري ط١ ـ مكة المكرمة : مكتبة الأسدي ١٤٢٥هـ.

- **ديدات، أحمد.**

● ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، ترجمة إبراهيم خليل أحمد، موقع. (www.4shared.com).

- **ديورانت، ول.**

● قصة الحضارة ج٢ م١ (الشرق الأدنى القديم)، ترجمة أحمد بدران، ط٢ ـ القاهرة: ١٩٦١م.

- **دينيه، فونس اتيين (ناصر الدين).**

● محمد رسول الله، تقديم شيخ الأزهر ـ القاهرة: ١٩٥٦م.

- **الرافعي، مصطفى بن محمد بن عبد الله العلوي.**

● إتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين ـ المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٤٠٤هـ.

- **الراوي، محمد.**

● المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة، ط ٢ ـ الرياض: العبيكان ١٤٢٧هـ.

- **الرحيلي، سليمان بن ضفيدع.**

● الطريق النبوي إلى بدر معالم وعبر ـ المدينة المنورة: ١٤١٩هـ.

- **رزق الله، أحمد مهدي.**

● السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١ ـ الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.

● صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ط١ ـ دار إمام الدعوة ١٤٢٧هـ.

ـ رستم، أسد.

● الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط١ ـ بيروت : دار المكشوف ١٩٥٦م.

● الرشيد، عبد الله محمد.

● القيادة العسكرية في عهد الرسول،الرياض: دار المعارف، ١٩٨٧م.

ـ الرشيد، ناصر بن سعد..

● سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشأته وموقعه، ط١ ـ القاهرة : دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

ـ رضا، محمد رشيد.

● الإمام علي بن أبي طالب، ط١ ـ القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ـ ١٣٥٨هـ.

● ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ.

● خلاصة السيرة المحمدية ـ القاهرة : دار النشر للجامعات ١٤٣٠هـ.

● محمد رسول الله ـ بيروت : دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.

● الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ـ بيروت : عالم الكتب ٢٠٠٥م.

● الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.

● السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٨١م.

● أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

● الوحي المحمدي ـ القاهرة : دار المنار ١٣٦٧هـ.

ـ الرفاعي، صالح بن حامد سعيد.

● الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ط ١ ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ـ مجمع المصحف ١٤١٣هـ.

ـ الرفاعي، عبد العزيز.

● الرسول كأنك تراه، حديث أم معبد ـ دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.

ـ رنسيمان، ستيفن.

● الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م .

ـ روزنتال، فرانز.

● علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة، صالح أحمد العلي، ط٢ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

ـ الزبيدي، محمد حسن.

● الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ـ القاهرة : ١٩٧٠م.

- **الزهراوي، عبد الحميد.**

● خديجة أم المؤمنين ـ القاهرة : سلسلة كتب الهلال ١٣٨٣هـ.

- **أبو زهرة، محمد.**

● خاتم النبيين، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ـ قطر : ٢٠٠٨م.

- **الزيد، زيد بن عبد الكريم.**

● فقه السيرة، ط ٣ ـ الرياض : دار التدمرية ١٤٢٨هـ.

- **زيدان، جورجي.**

● العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق حسين مؤنس ـ القاهرة : دار الهلال (د. ت).

- **الزين، سميح عاطف.**

● خاتم النبيين محمد، ط٢ ـ بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ.

- **زينو، محمد بن جميل.**

● قطوف من الشمائل المحمدية، وزارة الأوقاف الكويتية ـ الكويت : إدارة الثقافة الإسلامية ٢٠٠٩م.

- **سالم، زهير.**

● الطريق إلى تبوك ـ عمان : دار عمار للنشر والتوزيع ١٩٠٠م.

- **سالم، السيد عبدالعزيز.**

● دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بيروت : دار النهضة ١٩٧٣م.

ـ **سالم، السيد عبد العزيز، وأحمد مختار العبادي.**

● تاريخ البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ـ الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨١م.

ـ **سالم، عبدالله نجيب.**

● ابتسامات نبوية، ط١ ـ الكويت : دار اقرأ ١٤٢٧هـ.

ـ **سالم، عطية محمد.**

● وصايا الرسول ـ الأردن : دار الجوهرة ١٤٢٦هـ.

ـ **ساليفان، رتشارد.**

● ورثة الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ـ الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٥م.

ـ **السامرائي، ثائر حامد محمد و خليل إبراهيم السامرائي.**

● المظاهر الحضرية للمدينة النبوية في عصر النبوة (١ ـ ١١هـ) ـ الموصل : مطبعة الزهراء الحديثة ١٤٠٥هـ.

ـ **السباعي، مصطفى.**

● السيرة النبوية دروس وعبر، ط٧ ـ القاهرة : دار السلام ١٤٢٨هـ.

ـ **السحار، عبد الحميد جودة.**

● محمد رسول الله والذين معه. القاهرة : ١٩٦٥م وهو عدة أجزاء.

● عام الوفود ـ القاهرة : مكتبة مصر ١٩٧٧م.

- وفاة الرسول ـ القاهرة ١٩٦٥م.
- مولد الرسول ـ القاهرة ١٩٦٥م.

ـ **سرور، محمد جمال.**

- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ـ القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

ـ **سزكين، فؤاد محمد.**

- تاريخ التراث العربي، المجلد الأول الجزء الأول (علوم القرآن والحديث) والمجلد الثاني الجزء الثاني (التدوين التاريخي) ترجمة محمد فهمي حجازي ـ الرياض: جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.

ـ **سعادة، خليل.**

- أنجيل برنابا ترجمة من الإنجليزية، تعليق أحمد حجازي السقا ـ الأردن : دار الأمل ٢٠٠٥م.

ـ **السعداوي، محمد حمزة.**

- أولاد النبي ـ مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.

ـ **السعود، سليمان.**

- أحاديث الهجرة جمع وتحقيق ودراسة ـ برمنجهام بريطانيا : مركز الدراسات الإسلامية ١٤١١هـ.

ـ **السقا، أحمد حجازي.**

- نبوة محمد في الكتاب المقدس ط١ ـ القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٩٨هـ.

ـ **سكاكيني، وداد.**

● أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ ـ القاهرة : ١٩٤٥م.

ـ **سلطان، عبد المنعم عبد الحميد.**

● تاريخ عُمان والخليج في صدر الإسلام ـ الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٧م.

ـ **السلفي، محمد لقمان.**

● الصادق الأمين ﷺ، ط١ ـ الرياض : دار الداعي ١٤٢٧هـ.

ـ **السلومي، عبد العزيز.**

● ديوان الجند، ط١ ـ مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٦هـ.

ـ **سليمة، محمد موفق.**

● علي بن أبي طالب ـ دمشق: دار الهدى للنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ.

● حديث الإفك ـ دمشق : دار الفتح ١٤٠٩هـ.

● بنات النبي ـ دمشق: دار الهدى للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ.

ـ **السندي، أكرم حسين.**

● مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، رسالة ماجستير، كلية الحديث ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٤٠٠هـ.

ـ **السندي، عبد القادر بن حبيب الله.**

● الذهب المسبوك في تحقيق راويات غزوة تبوك ـ الكويت : مكتبة المعلا ١٤٠٦هـ.

ـ **السنيدي، عبد الرحمن بن علي.**

● التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل المجاورة للمدينة في العهد النبوي ـ المدينة المنورة : بحث منشور في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٤ .

● السيرة النبوية عند البيهقي، مع دراسة مقارنة لأبرز مؤرخي السيرة المعاصرين له في المشرق خلال القرن الخامس الهجري ـ الرياض: جامعة الإمام ـ عمادة البحث العلمي ١٤٢٦هـ .

ـ **السويكت، سليمان بن عبد الله.**

● محنة المسلمين في العهد المكي ـ الرياض : مكتبة التوبة ١٤١٢هـ.

ـ **الشافعي، عبد السلام محمود.**

● موقعة مؤتة ـ بيروت : المكتبة العصرية ١٩٧٥م.

ـ **شاكر، محمود.**

● السيرة النبوية، ط٣ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

● التاريخ الإسلامي (قبل البعثة) ط٣ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

● مع الهجرة إلى الحبشة ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٩٨٧م .

ـ **الشامي، صالح.**

● أضواء على دراسة السيرة ط ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٤١١هـ.

● من معين السيرة، ط١ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ .

● من معين الشمائل، ط١ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٨هـ.
● أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال ـ دمشق : ١٤١٢هـ.

ـ **شجاع، عبد الرحمن عبد الواحد.**

● اليمن في صدر الإسلام ـ دمشق : دار الفكر ١٤٠٨هـ.

ـ **شراب، محمد محمد حسن .**

● المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ـ دمشق : الدار الشامية ١٩٩١م.

ـ **الشراري، نايف.**

● دومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأُموية، ط١ ـ الرياض : دارة الملك عبد العزيز ١٤٢٦هـ.

ـ **الشرقاوي، عبد الرحمن.**

● الفاروق عمر بن الخطاب، ط١ ـ القاهرة: مركز الأهرام ١٤٠٧هـ.
● محمد رسول الحرية ـ القاهرة : دار الشروق ١٤١٠هـ.
● الصديق أول الخلفاء ـ القاهرة : دار الشروق ٢٠٠٩م.

ـ **الشريف، أحمد إبراهيم .**

● مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ـ القاهرة : دار الفكر العربي (د. ت) .
● دولة الرسول في المدينة، ط١ ـ بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٨م.

ـ **الشريف، محمود.**

● الرسول في القرآن ـ القاهرة : دار ومكتبة الهلال ١٩٨٦م.

ـ **الشعيبي، أحمد قائد.**

● وثيقة المدينة المضمون والدلالة، سلسلة كتاب الأمة ط١ ـ الدوحة قطر: وزارة الأوقاف ١٤٢٦هـ.

ـ **شقرة، محمد إبراهيم.**

● السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطّرة، ط١ ـ الرياض : مكتبة المعارف ١٤١٨هـ.

ـ **شلبي، أحمد.**

● الرسول في بيته صلوات الله وسلامه عليه. القاهرة : دار النهضة ١٩٩٠هـ.

ـ **شلبي، رؤوف.**

● المجتمع العربي قبل الإسلام ـ القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٧٧م.

ـ **شلبي، محمود.**

● حياة أبي بكر ـ القاهرة : دار الجيل ١٩٧٩م.

● حياة فاطمة عليها السلام ـ بيروت : دار الجيل ١٤٠٧هـ.

ـ **شما، سمير.**

● النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ الرياض: جامعة الرياض ١٤٠٢هـ.

- **الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين.**

● البعوث والغزوات النبوية ـ القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٦م.

- **الشنقيطي، محمد الأمين عوض الله.**

● السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري ـ الكويت: ١٤١٤هـ.

● أبو شهبه، محمد بن محمد.

● السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط ٧ ـ دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ.ـ ٢٠٠٣م.

- **الشهري، عوض بن أحمد.**

● مرويات غزوة خيبر، (جمع وتحقيق ودراسة) رسالة ماجستير ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٠هـ.

- **الشيباني، محمد شريف.**

● الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة ـ بيروت: دار الحضارة ١٩٨٨م.

- **شيخو، لويس.**

● النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليين ـ بيروت: دار المشرق ١٩٦٧م.

● منطقة الحيرة ـ بيروت: المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٤م.

- **الصابوني، محمد علي.**

● شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، (د.م) ١٩٨٠م.

ـ **أبو صالح، خالد مصطفي.**

● مرض النبي ووفاته وأثر ذلك على الأمة، ط ١ ـ الرياض : دار الوطن ١٤١٤هـ.ـ ١٩٩٣م .

ـ **الصالح، صبحي.**

● المنطقة الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ ـ بيروت : ١٩٨٠هـ.

● مباحث في علوم القرآن، ط١٦ ـ بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٥م.

● النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ ـ بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٠م.

ـ **صالحية، محمد عيسى.**

● المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ـ القاهرة : معهد المخطوطات العربية ١٩٩٣م .

ـ **الصلابي، علي بن محمد بن محمد.**

● أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية). ط ٣ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

● الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق. شخصيته وعصره ـ. الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.

● فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ـ الإسكندرية : دار الإيمان ٢٠٠٢م.

● تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ـ الإسكندرية : دار الإيمان ٢٠٠٢م.

● أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب ـ الإسكندرية : دار الإيمان ٢٠٠٣م.

● أمير المؤمنين الحسن بن علي شخصيته وعصره ـ. الإسكندرية: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

ـ **الصواف، محمد محمود.**

● زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن ـ عمان : مطبعة الحرية ١٩٦٤م.

ـ **الصوياني، محمد.**

● السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة. ط٣ ـ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٣٠هـ.

● القصيمية ((دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية)) ـ الرياض : دار طيبة ١٤٠٩هـ.

ـ **الضحيان، د. عبد الرحمن إبراهيم.**

● الإدارة والحكم في الإسلام، ط٤، (د. م) ١٤١٧هـ.

● الإدارة في الإسلام، ط١ ـ جدة : دار الشروق ١٤٠٧هـ.

ـ **ضيف، شوقي.**

● تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٩٦م.

ـ **آل بو طامي، أحمد بن حجر.**

● الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ـ الدوحة : مكتبة الثقافة ١٣٩٧هـ.

- **الطاهر، سلوى مرسي.**

● بدايات الكتابة التاريخية عند العرب أول سيرة في الاسلام «عروة بن الزبير بن العوام»، ط١ ـ المغرب: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م.

- **طرهوني، محمد بن رزق.**

● صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية ط١ ـ الرياض: دار ابن تيمية ١٤١٠هـ.

- **الطريفي، ناصر بن عقيل.**

● القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ط١ ـ جدة: دار المدني ١٤٠٦هـ.

● طعيمة، صابر.

● الأدب النبوي في ضوء العلم الحديث ـ بيروت: دار الجيل

- **الطنطاوي، علي.**

● أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ جدة: دار المنارة ١٤٠٦هـ.

- **الطنطاوي، علي وناجي.**

● أخبار عمر بن الخطاب وأخبار عبد الله بن عمر ط٨ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

- **الطهطاوي، رفاعة رافع.**

● نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١ ـ القاهرة: دار الذخائر ١٤١٩هـ.

ـ **الطهطاوي، محمد عزت.**

● محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ـ القاهرة : مكتبة النور ١٤٠٦هـ .

ـ **طويلة، عبد الوهاب عبد السلام.**

● بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ ـ الرياض : دار السلام ١٩٩٨م.

● وجاء النبي المنتظر، ط٢ ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

ـ **الظاهري، أبو تراب.**

● ذهول العقول بوفاة الرسول ـ جدة : دار القبلة ١٤٠٤هـ.

● أصحاب الصفة ـ جدة : دار القبلة للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ.

ـ **العاني، عبد الرحمن عبد الكريم.**

● الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٩م.

ـ **عامري، سامي.**

● محمد ﷺ في كُتب اليهود والنصارى والبوذيين والمجوس والهندوس والسيخ، ط١ ـ (القاهرة) : مركز التنوير الإسلامي ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

ـ **العبادي، عبد الله عبدالرحيم.**

● خصائص لسيد المرسلين، ط١ ـ الدوحة قطر : دار الثقافة ١٤٢٧هـ .

ـ **عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ).**

● نساء النبي عليه الصلاة والسلام ـ القاهرة : دار الريان ١٤٠٧هـ.

● مع المصطفى ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٩٢م.

● أم النبي ـ الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٩م.

● بنات النبي ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.

ـ **عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.**

● المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

ـ **عبد الرزاق، يوسف.**

● معالم دار الهجرة ـ المدينة : عالم النهضة الحديثة ١٤٠١هـ.

ـ **عبد الغني، محمد إلياس.**

● بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط٢ ـ المدينة : مركز طيبة ١٤١٨هـ.

ـ **العبد اللطيف، عبد الحليم إبراهيم.**

● حديث الإفك، ط١ ـ بريدة : نادي القصيم الأدبي ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ **عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم.**

● أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، دراسة حديثة، رسالة دكتوراه ـ. المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ.

- **بن عبد الله، صالح بن عبد الرحمن.**

● عمر بن الخطاب، ط٢ ـ الرياض: دار القاسم ١٤٠٦هـ.

- **عبد الوهاب، محمد فهمي.**

● محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه. القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٩م.

- **العبودي، محمد ناصر.**

● المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم) ـ الرياض: دار اليمامة ١٣٩٩هـ.

- **العبيدي، عبد الجبار.**

● الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، ط٢ ـ الرياض: دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.

- **عتر، حسن ضياء الدين.**

● نبوة محمد ﷺ في القرآن، ط١ ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤١٠هـ.

- **العتوم، علي.**

● تجربة مؤتة ـ عمان الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة ١٤٠٦هـ.

- **العتيبي، محمد بن عوض.**

● نجران في عصر النبوة والخلافة الرائدة ـ رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام ـ الرياض: ١٤٣٠هـ. غير منشورة.

ـ **عثمان، عثمان عبد.**

● السياسة الخارجية للدولة الإسلامية والإستراتيجية العليا في إدارة الصراع الدولي كما جدد قيادتها الرسول ﷺ ط١ ـ بيروت : دار مكتبة الهلال ١٩٩٤م.

ـ **عثمان، محمد فتحي.**

● من أصول الفكر السياسي الإسلامي، دراسة لحقوق الإنسان ولوضع رئاسة الدولة في ضوء الشريعة الإسلامية وتراثها التاريخي والفقهي، ط٢ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

ـ **العجلان، عبد العزيز بن محمد.**

● أبو المعتمر سليمان التيمي ومروياته في السيرة النبوية، رسالة ماجستير ـ الرياض : مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، للعام الجامعي ١٤٢٢هـ. (غير منشوره).

ـ **العدوي، إبراهيم أحمد.**

● الأمويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية) ـ القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية ١٣٧٢هـ.

ـ **العربي، محمد ممدوح.**

● دولة الرسول في المدينة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

ـ **عرجون، محمد الصادق إبراهيم.**

● محمد رسول الله ﷺ ـ بيروت : دار العلم ١٤٠٥هـ.

ـ **العريني، السيد الباز.**

● الدولة البيزنطية ـ القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٢م.

- **عساف، أحمد محمد.**

● قبسات من حياة الرسول - دار أحياء العلوم ١٤٠٥هـ.

- **العسكر، محمد بن صالح.**

● العلاقة بين دولة الرسول ﷺ والقبائل العربية المقيمة حول المدينة (١ - ١١هـ) رسالة دكتوراه -. مقدمة لقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الملك سعود ١٤٢٢هـ. (غير منشوره).

- **عيسى، أحمد عبد الرحمن.**

● كتاب الوحي، ط١ - الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ.

- **عطية، عصام بن محمد.**

● لماذا نحب محمداً - الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٢٨هـ.

- **العقاد، عباس محمود.**

● عبقرية عمر رضي الله عنه - صيدا، لبنان: المكتبة العصرية، (د. ت).

● عبقرية محمد - القاهرة: دار النهضة مصر ١٩٨٠م.

● عبقرية الصديق - صيدا، لبنان: دار المكتبة العصرية، (د. ت).

- **عقيل، عقيل حسين.**

● محمد ﷺ من وحي القرآن ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٣٢هـ.

- **العقيلي، محمد أرشيد.**

● السفارات النبوية إلى ملوك العالم وأمراء أطراف الجزيرة العربية - دار أحياء العلوم ١٤٠٦هـ.

- **العلي، إبراهيم.**
  - صحيح السيرة النبوية، ط٢ ـ بيروت: دار النفائس ١٤١٦هـ.
- **علي، جواد.**
  - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٦م.
- **علي، خالد سيد.**
  - رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل ـ الكويت: دار التراث ١٤٠٧هـ.
- **علي، سر الختم عثمان.**
  - تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية ـ الرياض: دار العلوم ١٤٠٢هـ.
- **العلي، صالح أحمد.**
  - تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة المنورة ـ بغداد: ١٩٦٩م.
  - الدولة في عهد الرسول ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩م.
  - محاضرات في تاريخ العرب (الدولة العربية قبل الإسلام) ١٩٦٠ (د. م).
- **عماره، محمد.**
  - الإسلام وفلسفة الحكم، ط٢ ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م.

ـ **العمري، بريك بن محمد أبو مايلة.**

- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ط١ ـ الدمام : دار ابن الجوزي ١٤١٧هـ.
- غزوة مؤتة ط١ ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٤٢٤هـ.ـ ٢٠٠٤م.
- بدر الكبرى المدينة والغزوة ط ١ ـ دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ **العُمري، أكرم ضياء.**

- الرسالة و الرسول، ط١، ١٤١٠هـ. (د. م).
- المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين ط١ ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ .
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر النبوة ط١ ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤١٧هـ.
- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى. ط١ ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ.ـ ١٩٨٣م.
- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ ـ المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.
- عصر الخلافة الراشدة، ط١ ـ مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ .
- موقف الاستشراق من السيرة النبوية ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤١٦هـ.

ـ **العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.**

- أبعاد إدارية واجتماعية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية ـ الرياض : مطبعة سفير ١٤٢٦هـ.

● أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني (عهد معاوية بن أبي سفيان نموذجاً) بحث منشور ضمن كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية ط١ ـ الرياض : ١٤٢٦هـ.
● استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ط١ ـ الرياض : مطبعة سفير ١٤٢٧هـ.
● مبادئ التخطيط و الإدارة في السيرة النبوية، ط١ ـ الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٨هـ.
● الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤٢٢هـ .
● الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ط٣ ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤٢٠هـ.
● الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ ـ الرياض : دار اشبيليا ١٤١٩هـ.

ـ **العواجي، محمد بن محمد.**

● مرويات الإمام الزهري في المغازي ط١ ـ المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي للجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.
● أهمية دراسة السيرة والعناية بها في حياة المسلمين، بحث ضمن أعمال ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة النبوية ـ المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ١٤٢٥هـ.

ـ **عواد، كوركيس.**

● مصادر التراث العسكري عند العرب، ط١ ـ بغداد : المجمع العلمي بغداد ١٤٠٣هـ.

ـ **العودة، سليمان بن حمد .**

● السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ط١ ـ الرياض : جامعة الإمام ١٤١٩هـ.

● الهجرة الأولى في الإسلام (فقه المرويات)، ط١ ـ الرياض : دار طيبة ١٤١٩هـ .

● قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ط١ ـ الرياض : دار المسلم ١٤١٦هـ .

● عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ط١ ـ دار طيبة ١٤٠٥هـ.

ـ **عوض الله، السيد أحمد أبو الفضل.**

● مكة في عصر ما قبل الإسلام ط١ ـ الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ١٩٨١م.

ـ **العياري، شفيق إبراهيم.**

● الدولة الإسلامية في المدينة في عصر الرسول ﷺ ـ القاهرة: كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤١٨هـ .

ـ **العياشي، إبراهيم بن علي.**

● المدينة بين الماضي والحاضر ـ المدينة المنورة : المكتبة العلمية ١٣٩٢هـ.

● غزوة بدر الكبرى ـ المدينة المنورة : النادي الأدبي ١٩٨١هـ.

ـ **عيسى، د. أحمد عبد الرحمن.**

● كُتاب الوحي، ط١ ـ الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ **محمد بن عبد الله غبان.**

● فتنة مقتل عثمان. ط١ ـ الرياض : مكتبة العبيكان ١٤١٩هـ.

● شهداء غزوة بدر الكبرى، ط ١٥ ـ الرياض : الجمعية التاريخية السعودية ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

● مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه جمعاً ودراسة (رسالة دكتوراه) ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د.ت).

ـ **الغزالي، محمد.**

● فقه السيرة، ط٧ ـ القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.

ـ **الغضبان، منير محمد.**

● المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٢ ـ الزرقاء، الأردن : مكتبة المنار ١٤٠٦هـ.

● فقه السيرة النبوية، معهد البحوث ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٩٨٩م .

ـ **الغلاييني، مصطفى.**

● لباب الخيار في سيرة المختار ط٣ ـ القاهرة : المكتبة الرحمانية ١٣٤١هـ.

ـ **الغيث، خالد بن محمد.**

● استشهاد عثمان ووقعة الجمل من مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية، ط١ ـ جدة : دار الأندلس الخضراء ١٤١٨هـ.

ـ **أبو فارس، محمد عبد القادر.**

● في ظلال السيرة النبوية، الإسراء والمعراج ـ عمّان الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ.

● في ظلال السيرة النبوية، الصراع مع اليهود ـ دار الفرقان، ١٤٠٩هـ.

● في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية ط١ ـ عمّان : دار الفرقان ١٤٠٢هـ.

● غزوة الحديبية ـ عمان الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.

ـ فاشا، سهيل.

● لمحات من تاريخ نصارى العراق ـ بغداد : مطبعة شفيق ١٩٨٢م.

ـ الفالوزة، أبو إبراهيم محمد بن إلياس.

● الموسوعة العلمية في صحيح السيرة النبوية، ط١ ـ الصفا : ١٤٢٣هـ.

ـ فرج، بسام عطية.

● نبينا رأي العين، ط٢ ـ عمان الأردن : دار الفاروق ١٤٣١هـ.

ـ الفنيسان، سعود بن عبد الله.

● غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم ط١ ـ دار اشبيليا ١٤١٨هـ.ـ ١٩٩٧م .

● مرويات أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في التفسير ـ الرياض: مكتبة التوبة ١٤١٣هـ.

ـ الفهيد، محمد عبد العزيز.

● غزوات الرسول ـ ﷺ الرياض : المؤلف ١٤١٤هـ .

ـ **الفوزان، صالح بن فوزان.**

● حقوق النبي بين الإجلال و الإخلال ط١٠ ـ الرياض : دار البيان ١٤٢٦هـ.

ـ **الفيومي، محمد إبراهيم.**

● تاريخ الفكر الديني الجاهلي ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٨٢م.

ـ **قاسم، عون الشريف.**

● نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، دراسة في وثائق العهد النبوي، بيروت ط٢ ـ دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ.

ـ **ابن قاسم، محمد بن عبد الرحمن.**

● أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة ـ بيروت : دار القلم ١٩٩٦م.

ـ **القرشي، غالب عبد الكافي.**

● أوليات الفاروق ـ المنصورة : دار الوفاء ٢٠٠٠م.

ـ **القرضاوي، يوسف.**

● الرسول المعلم، ط٤ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

ـ **القريبي، إبراهيم بن إبراهيم.**

● مرويات غزو بني المصطلق وهي ((غزوة المريسيع)) ـ المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية (د. ت).

● مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ـ المدينة المنورة: ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤١٢هـ.

- **قطب، محمد علي.**

● قبسات من الرسول ـ بيروت : دار الشروق ١٩٨٤هـ.

● غزوات رسول الله وسجل الشهداء ـ بيروت : المكتبة العصرية ١٤٢٥هـ.

- **قلعه جي، محمد رواس.**

● دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، ط١ ـ بيروت: دار النفائس ١٩٨٨هـ.

● قراءة جديدة للسيرة النبوية ـ الكويت : دار البحوث العلمية ١٩٨٤م.

● قراءة سياسية، للسيرة النبوية، ط٢ ـ بيروت : دار النفائس بيروت ١٤٢٠هـ.

● محمد في الكتب المقدسة ـ حلب : المكتبة العربية ١٣٩٢هـ .

● موسوعة فقه عثمان بن عفان ـ بيروت : دار النفائس ٢٠٠٧م.

● موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ط١ ـ الكويت : مكتبة الفلاح ١٤٠١هـ.

- **القيسي، نوري حمودي .**

● مواقف من السيرة النبوية ـ بيروت :عالم الكتب ١٩٨٥م .

- **كامل، عبد العزيز.**

● دروس من غزوة أحد ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٧٩هـ .

- **الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.**

● نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ـ بيروت : دار الكتب العلمية (د. ت) .

ـ **كحالة، عمر رضا.**

● معجم المؤلفين ـ دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

● معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

ـ **كحك، مروان.**

● تهذيب سيرة ابن هشام ـ الرياض: دار طيبة ١٤١٩هـ.

ـ **الكردي، راجح عبد الحميد.**

● شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي ـ الأردن: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

ـ **كريستنسن، آرثر.**

● إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام ـ القاهرة: ١٩٥٧م.

ـ **كعكي، عبد العزيز عبد الرحمن إبراهيم.**

● معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ط١ ـ المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.

● المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ط١ ـ المدينة المنورة: ١٤٢٠هـ

ـ **كلزية، عبد الوهاب.**

● الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.

ـ **الكليب، عبد الملك.**

● علامات النبوة ـ دمشق: وحي القلم ٢٠٠٨م.

ـ **الكمداني، أديب.**

● فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية ـ دمشق : دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ .

ـ **كولن، محمد فتح الله.**

● الرسول ﷺ قائداً التنظير والتطبيق ـ اسطنبول : دار النيل ١٤٢٥هـ.

ـ **اللحام، حنان.**

● هدى السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، ط٢ ـ بيروت : دار الفكر ١٤٢٣هـ.

● الفاروق مع النبي.

ـ **كينث كانتزر ومجموعة من العلماء.**

● التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أعدته لجنة لاهوتية مكونة من ١٣ عنصراً برئاسته. القاهرة : شركة ماسترميديا ١٩٩٧م .

ـ **المالكي، حسن جبر.**

● وفود القبائل على الرسول وانتشار الإسلام في جزيرة العرب، ط١ ـ الكويت : وزارة الإعلام ١٩٨٧م.

ـ **ماهر، سعاد.**

● مساجد في السيرة النبوية ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

ـ **لمعي، صالح.**

● المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري ـ بيروت : دار النهضة ١٩٨١م.

ـ **اللميلم، عبد العزيز بن محمد.**

● رسالة المسجد في الإسلام، ط١ ـ الرياض : ١٤٠٧هـ.

ـ **لوبون، غوستاف.**

● حضارة العرب، نقله الى العربية، عادل زعيتر. دار إحياء التراث العربي. ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

ـ **لوقا، نظمي.**

● محمد في حياته الخاصة ـ القاهرة : دار الهلال ١٩٦٩م.

● محمد، الرسالة والرسول ـ القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٥٩م.

ـ **مال الله، محمد.**

● أبو بكر الصديق ـ الرياض : مكتبة ابن تيمية ١٤١٠هـ .

● ذو النورين عثمان بن عفان، (د.م) ط١ ، ١٤١٠هـ.

ـ **المبارك فوري، صفي الرحمن.**

● الرحيق المختوم ـ المنصورة: دار الوفاء (د. ت).

ـ **مجدلاوي، فاروق.**

● الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، ط٣ ـ عمان الأردن: روائع مجدلاوي للنشر ٢٠٠٣م.

ـ **مجلس الكنائس العالمي.**

● الكتاب المقدس، ط١ ـ بيروت لبنان : جمعية الكتاب المقدس ١٩٩٣م

ـ **المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.**

● الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ((السيرة

والمدائح النبوية)) ـ مؤسسة آل البيت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ **مجموعة من الباحثين.**

● حضارة العراق، ط١ ـ بغداد ١٩٨٥م.

ـ **محمد، قطب إبراهيم.**

● السياسة المالية للرسول ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

ـ **المدخلي، إبراهيم بن محمد.**

● مرويات غزوة الخندق، عمادة البحث العلمي ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٢٤هـ.

ـ **مرزوق، عبد الصبور.**

● السيرة النبوية في القرآن الكريم ـ مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، (د. ت).

ـ **المرصفي، سعد.**

● الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي ـ الكويت: دار الفلاح ١٤٠٢هـ.

ـ **مستو، محيي الدين ديب.**

● مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى ـ جامعة الكويت ١٤٠٨هـ.

ـ **المسند، عبد العزيز بن عبد الرحمن.**

● النهج المحمدي ـ الرياض: النادي الأدبي ١٤٠٠هـ.

ـ **المصري، د. جميل عبد الله.**

● أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ـ المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤١٠هـ.

ـ **معدي، الحسيني الحسيني.**

● الرسول ﷺ في عيون منصفة ط١ ـ القاهرة: دار الكتاب العربي ٢٠٠٦م.

ـ **المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد.**

● الأطلس التاريخي لسيرة النبي ﷺ، ط٢ مكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢٤هـ.

ـ **المكي، نجم الدين أبي القاسم عمر محمد بن فهد الهاشمي.**

● الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ـ مكة المكرمة: ط ٢ ـ مكتبة الأسدي، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ـ **المليجي، عاطف قاسم أمين.**

● أسماء النبي في القرآن والسنة ـ القاهرة: عالم الفكر ١٤١٩هـ.

ـ **المنجد، صلاح الدين.**

● معجم ما أُلِّف عن رسول الله ـ بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٢م.

● السيرة النبوية الشريفة وعبرتها الخالدة وموعظتها الحسنة.

ـ **مؤنس، حسين.**

● التاريخ الصحي للرسول ﷺ ـ القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٠م.

ـ **النجار، زغلول.**

● خواطر في معية خاتم الأنبياء ﷺ ط ٣ ـ القاهرة: نهضة مصر ٢٠٠٨م.

ـ **النجار، عبد الوهاب**

● قصص الأنبياء ـ القاهرة : دار التراث (د.ت).

ـ **النحوي، عدنان علي رضا.**

● النبي العظيم والرحمة المهداة ـ الرياض: دار النحوي ٢٠٠٦م.

ـ **نخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة الإسكندرية والقوات البحرية المصرية.**

● تاريخ البحرية المصرية ـ جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣م.

ـ **النخيلان، ندى.**

● أمهات المؤمنين وأثرهن في مجتمع المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير، جامعة الأميرة نورة ـ كلية الآداب، قسم التاريخ ١٤٣٠هـ.

ـ **الندوة العالمية للشباب الإسلامي.**

● الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٣ ـ الرياض: دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٨هـ.

ـ **الندوي، أبو الحسن علي الحسني.**

● السيرة النبوية، تقديم، د. يوسف القرضاوي ط٣ ـ دار القلم ١٤٢٧هـ.

ـ **الندوي، محمد لقمان الأعظمي.**

● مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ ـ دار الاعتصام ١٩٨٩م.

ـ **النملة، على إبراهيم حمد.**

● مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين ـ الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٢هـ.

● المستشرقون والسنة والسيرة ـ بيروت: مكتبة بيسان ١٤٣١هـ.

ـ **نيازي، عبد الكريم عبد الله.**

● لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ـ بيروت: مركز الصف الإلكتروني، ١٤٠٧هـ.

ـ **هارون، عبد السلام.**

● تهذيب سيرة ابن هشام ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

ـ **هارت، مايكل.**

● أعظم مائة رجل في التاريخ، ترجمة أنيس منصور ـ القاهرة: ط٩، المكتب المصري ١٩٩٧م.

ـ **الهاشمي، حسين بن حيدر محبوب.**

● جمهرة أنساب أمهات المؤمنين، ط١ ـ بريدة السعودية : دار البخاري ١٤١٨هـ.

ـ **الهاشمي، عبد المنعم.**

● محاولات اغتيال النبي ﷺ، ط١ ـ الكويت : مكتبة البخاري ١٤١١هـ.

- النبي ﷺ والنساء ط١ ـ الكويت : مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ.
- ابناء النبي ﷺ وأحفاده، ط١ ـ الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٩هـ.
- أزواج النبي ﷺ، ط١ ـ الكويت : مكتبة ابن كثير ١٤٢٥هـ .
- قادة النبي ﷺ ـ دمشق : دار ابن كثير ١٤١٤هـ.
- أصهار رسول الله ـ الرياض : دار الهجرة للطباعة والنشر ١٤٠٨هـ.

ـ الهاشمي، محمد علي.

- شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم ط١ ـ بيروت :عالم الكتب ١٤٠٣هـ.

ـ هايد، ف.

- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده ـ.القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

ـ هلال، إبراهيم إبراهيم.

- حديث هرقل وكتاب الرسول إليه. القاهرة: دار الصحوة ١٩٩٨م.

ـ الهلابي، عبد العزيز.

- ما حقيقة رحلة قريش إلى الشام ـ الرياض : مجلة دارة الملك عبدالعزيز المجلد ٢٢ العدد ٤ لسنة ١٩٩٦م.

- **الهواري، سيد.**

● الإدارة بالأهداف، ط٤ ـ القاهرة : مكتبة عين شمس ١٩٩٩م.

● الإدارة والأصول والأسس العلمية ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٧٦م.

- **هيكل، محمد حسين.**

● حياة محمد ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٨١م.

● عثمان بن عفان ـ القاهرة : دار المعارف ١٩٩٨م.

● في منزل الوحي ـ بيروت : دار الكتب العلمية ٢٠٠٧م.

● الصديق أبي بكر، ط٢ ـ القاهرة : مطبعة مصر ١٣٦٢هـ.

- **الواعي، توفيق يوسف.**

● الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ـ المنصورة : دار الوفاء ١٤٠٣هـ.

- **وتر، محمد ضاهر.**

● فن الحرب في عهد الرسول ﷺ ـ دمشق : دار الفكر ١٤٠٥هـ.

- **وجدي، محمد فريد.**

● دائرة معارف القرن العشرين ط٣ ـ بيروت : دار المعرفة ١٩٧١م.

- **الوزان، د. عدنان بن محمد بن عبد العزيز.**

● حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية، ط١ مجلد ٥ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٢٥هـ.

ـ **الوكيل، محمد السيد.**

● المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، ط١ ـ دار المجتمع ١٤٠٦هـ.

● تأملات في سيرة الرسول ـ جدة : دار المجتمع ١٩٩٥م.

● الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وحلفائه ط١ ـ جدة : دار المجتمع ١٤٠٦هـ.

ـ **ولد أباه، محمد أباه.**

● موكب السيرة النبوية رسول الهجرة ـ الدوحة: دار الثقافة ١٩٨٥م.

ـ **ولد داده، محمد.**

● جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، ط١،الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٧هـ .

● ولفنسون، إسرائيل.

● تاريخ اليهود في بلاد العرب ـ القاهرة : ١٩٢٧م .

ـ **اليامي، ضيدان بن عبد الرحمن.**

● بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة (وثيقة المدينة) ط١ ـ الرياض : مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ .

ـ **يماني، محمد عبده.**

● علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ ـ جدة : دار القبلة ١٩٩٢م.

● بدر الكبرى، المدينة والغزوة ط١ ـ جدة : دار القبلة ١٤١٥هـ .

● إنها فاطمة الزهراء ـ جدة : مؤسسة علوم القرآن ٢٠٠٤ م.

- اليوسف، عبد القادر.

- الإمبراطورية البيزنطية - بيروت : ١٩٦٦م.

مراجع أجنبية:

- . Jewish Encyclopedia. Y. 11 P. 415
- . Gospel of Barnaba
- R. Goltheril, «Achri stristian Bahira legencl». Zcits Chrift Fur Assyriologie, 13 (1898) pp. 189-242: 14 (1898) pp. 203-268, 151900. pp. 56-102, 16 (1903) pp. 125-166).

مواقع إلكترونية:

- . www.4shared.com http://www.4shared.com
- . www.ar.wikipedoa.com http://www.ar.wikipedoa.com
- http://www.hurras.org بتاريخ ٢٧/ ١١/ ٢٠١٠.
- http://www.ahlalhdeeth.com بتاريخ ٧/ ١١/ ٢٠١٠.

سيرة ذاتية للمؤلف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

- مواليد بريدة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧ م.
- دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تاريخ وحضارة النظم الإسلامية في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.
  - ■ أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(سابقاً).
  - ■ عضو مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية.
  - ■ عضو جمعية دراسات الشرق الأوسط الأمريكية.
  - ■ عضو اتحاد المؤرخين العرب. والخليجيين .
  - ■ عضو المجلس البلدي لمدينة الرياض.
  - ■ شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والندوات والدورات في أمريكا وأوربا واستراليا ونيوزيلندا والعالم العربي.
  - ■ له ما يزيد على خمسة وثلاثين بحثًا منشوراً وتسعة عشر كتاباً مطبوعاً، وهي:
    - ـ الفتوح الإسلامية عبر العصور.
    - ـ الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين.

ـ الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ.
ـ كتاب المغازي لابن أبي شيبة.
ـ أبو بكر بن أبي شيبة وآثاره التاريخية.
ـ أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية.
ـ الأمن في حياة الأنبياء عليهم السلام.
ـ انتخابات المجالس البلدية ـ تجربة ذاتية ـ الرياض.
ـ حضاريات في الفتوح الإسلامية.
ـ استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين.
ـ مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية.
ـ لوحات وطنية.
ـ القوى العالمية والمكاييل.
ـ فضاءات ثقافية في العدل والتاريخ والإعلام.
ـ رسول الله وخاتم النبيين (دين ودولة).
ج١ ـ علم السيرة العالم والمصطفى والوحي.
ج٢ ـ الاضطهاد والهجرة والتنمية.
ج٣ ـ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا.
ج٤ ـ العالمية والدولة الإنسانية.
ج٥ ـ المعايشون للمصطفى ﷺ.

الفهارس العامة لكل الأقسام

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثالث

فهرس القسم الرابع

فهرس القسم الخامس

الفهارس العامة لكل الأقسام